يوليو ٢٠٢١ / العدد ٢١

النور

للدراسات الحضارية والفكرية

- الإنسان مجهول أو معلوم؟
- أهمية الإيمان في الحياة الاجتماعية
- معرفة الله تعالى وأثرها على العمل الإيجابي
- البحث الدّلالي عند بديع الزمان سعيد النورسي
- العلامة الملا سعيد النورسي وجهوده في علم المنطق

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم
THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenandemirtas@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛
د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛
أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛
أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

سعيد طاقطاق، حسن الحفيظي

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

العدد: ٢١/ يوليو ٢٠٢١

Pasifik Ofset: Cihangir Mah. Güvercin Cad. No: 3/1 Baha İş Merkezi A Blok Kat: 2 34310

Haramidere – İSTANBUL / TÜRKİYE

Tel: +90 212 412 17 00

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6

Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY

Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)

Fax: +90 212 527 80 80

info@nurmajalla.com

https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur

www.iikv.org

النور للدراسات الحضارية والفكرية

١- التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير– يوليو)، تصدر عن مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم.

تُعد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢- تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.[1]

---

[1] ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد الحادي والعشرين ..... أ.د. عمار جيدل: ٣

الدراسات والبحوث

– معالم الإصلاح والتجديد المشتركة بين الشاه ولي الله الدهلوي
وبديع الزمان النورسي..... د. ابراهيم الوجاجي: ٩
– أهمية الإيمان في الحياة الاجتماعية ..... أ.د عمار جيدل: ٣٥

ملف العدد

– الإنسان مجهول أو معلوم؟.....أ. د. أميد نجم الدين جميل المفتي: ٦١
– البحث الدّلالي عند بديع الزمان سعيد النورسي في رسائل النور
رسالة المعجزات القرآنية أنموذجاً .....أ.د. دلدار غفور حمدامين: ٨٥
– معرفة الله تعالى وأثرها على العمل الإيجابي
من خلال رسائل النور للإمام بديع الزمان النورسي .....أ.م.د. عادل عبد الله حمد: ١٢١
– العلامة الملا سعيد النورسي وجهوده
في علم المنطق..... د. لقمان عثمان عمر البَحركي: ١٦٧

– معلومات عن النشر في المجلة: ١٩٢
– Contents: ١٩٣

كلمة العدد الحادي والعشرين

أ.د. عمار جيدل

عرف العالم جائحة ''كورونّا الفتّاكة'' وفقدنا في خضم معركة الإنسانية معها أساتذة وعلماء ورجال بذل أعزّاء علينا بما بذلوه في خدمة الدين ومن ثمّ الإنسانية، ففقدت الأمة الإسلامية البقية الباقية من الشهود الأواخر على رسائل النور ومؤلّفها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، والذي يُعَدُّ أحد أوفى طلاب رسائل النور في عصرنا، الأستاذ محمد فرنجي، فلم تفقده مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم التي كان رئيسا لهيئة أمناءها فحسب، بل فقده طلاب النور في العالمين الشرقي والغربي على السواء، وافاه الأجل صبيحة يوم السبت الموافق ٢٠٢٠/١٠/٠٣م، وشيّعه إلى مثواه الأخير جمهور غفير من طلاب النور في تركيا، رحمه الله وأجزل له المثوبة، وجعل ما بذله في ميزان حسناته، اللهم أكرم نزله وأنزله منازل الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده.

جاء هذا العدد في ظل هذه الجائحة، فكانت سببا في تأخّر إنجاز العدد في الوقت المحدد، فتوقّفت في ظلها الأقلام عن الكتابة، وحُبِسَت العقول عن التدوين والمباحثة، فكان لزاما علينا التفكير الجماعى فى هيئة تحرير المجلة والإدارة القائمة عليها على الوفاء باستمرار صدور العدد الواحد والعشرين، وقد بذلنا في ذلك الوسع، نفتّش في الأرشيف لعلّنا نظفر بما ينفع القرّاء الكرام، كما تابعنا أعمال المؤتمرات السالفة نقتبس منها للقارئ ما يفيده من معارف وبحوث، وفي الوقت نفسه أتحفنا أساتذة أفاضل ببحوث راقية تمثّل نوع وفاء لرسائل النور والعلم المستفاد منها.

اشتمل العدد جملة من الدراسات والبحوث لثلّة من الأساتذة في التعليم العالي من مختلف البلاد الإسلامية، فخصصنا القسم الأول من العدد للدراسات، اشتملت على دراستين، الأولى للدكتور إبراهيم الوجاجي من المغرب، وللعلم فالدكتور الوجاجي من أبرز المتخصصين في شاه ولي الله الدهلوي، ودراسته الموسومة بـ ''معالم الإصلاح والتجديد المشتركة بين شاه ولي اله الدهلوي وبديع الزمان النورسي''،

ركّزت على المقارنة بين الأستاذين شاه ولي الله الدهلوي وبديع الزمان سعيد النورسي، وهي ولا شكّ دراسة أحاطت بعناصر الموضوع ووفّته حقه من المقارنة الموضوعية النافعة. أمّا الثانية فهي بعنوان ''أهمية الإيمان في الحياة الاجتماعية'' الأستاذ الدكتور عمار جيدل من الجزائر، وللدكتور جيدل بحوث ودراسات عديدة عن رسائل النور والفكر المنبثق عنها.

الملف: مجلة النور في ضيافة كردستان العراق

آثرنا في هذا ملف العدد أن يكون على خلاف المعهود، فكانت الأعداد السابقة تتمحور ملفاتها على فكرة مركزية مستفادة من الدراسات التي أنجزت خدمة لبيان وتيسير رسائل النور، إلاّ أنّ هذا العدد اخترنا فيه ملفا لبلاد إسلامية تمثّل قطعة منّا، قطعة عزيزة على قلوبنا وعزيزة على كلّ من يروم نهضة حضارية شاملة ومتكاملة في عالمنا الإسلامي، ونظرا لتوفّر دراسات جادة من أساتذة وباحثين من هذه البلاد الإسلامية، ونظرا للخدمات العلمية التي أنجزت في هذه الرقعة المباركة عن رسائل النور، فكان من الوفاء لها أن نخصص ملف العدد لبحوث متنوّعة من أهلها، إنّها كردستان العراق، وقد حوى الملف جملة من البحوث والدراسات المتنوّعة من أساتذة من تخصصات عديدة، فكانت الدراسة الأولى بعنوان: الإنسان مجهول أو معلوم؟ قراءة رسائل النور. أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي. أستاذ الفقه وأصوله بكلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين – أربيل. فكانت إجابة وافية عن السؤال الذي عليه مدار دراسته، مستثمرا ما ورد في رسائل النور من بحث لقضية الإنسان. أما الدراسة الثانية فكانت موسومة بـ ''البحث الدّلالي عند بديع الزمان سعيد النورسي في (رسائل النور) رسالة المعجزات القرآنية أنموذجاً'' أنجزها اللغوي الأستاذ الدكتور دلدار غفور حمدامين من كلية اللغات بجامعة صلاح الدين – أربيل، فكانت دراسة رائدة من باحث متخصص في الدراسات الدلالية، إذ كانت رسالته في الماجستير متمحورة على القضية نفسها، فكانت الدراسة شافية كافية لمن رام التعرّف على البحث الدلالي في رسائل النور. وخصصت الدراسة الثالثة لموضوع ''معرفة الله تعالى وأثرها على العمل الإيجابي – من خلال رسائل النور للإمام بديع الزمان النورسي''، أ.م.د. عادل عبد الله حمد، رئيس قسم الشريعة بكلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين – أربيل. فكان البحث إحاطة ماتعة يتعرّف منها القارئ على أثر معرفة الله على العمل الإيجابي، ولا عجب أن تكون الدراسة بهذا التفصيل، خاصة وكاتبها

من المختصين في العقيدة والفكر الإسلامي. أما الدراسة الأخيرة فهي دراسة عن المنطق في رسائل النور، وعنوانها: ''العلامة الملا سعيد النورسي وجهوده في علم المنطق.'' أنجزها الدكتور لقمان عثمان عمر البَحركي، وهو باحث من كردستان العراق، أمضى كثيرا من حياته العلمية والتعليمية في خدمة الدراسات المنطقية، فعرف بتدريس كتب المتقدمين المنطقية، كما اشتهر بما نشره في خدمتها، لهذا فهي دراسة من متخصص ومن ثمَّ ينتظر أن تكون مفيدة لمن أراد معرفة مساهمات الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في علم المنطق.

هذا محتوى العدد، وتنتظر هيئة تحرير المجلة والقائمين عليها إسهاماتكم العلمية في قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التفكير أو التذكير، كما تستقبل المجلة كلّ المحاولات الجادة التي تروم العودة بالأمة إلى أصالتها بأفق إنساني جاد وإيجابي عملي، كما ترحّب بكلّ دراسة فاحصة وممحِّصَة للخبرة المعرفية الإسلامية، والخبرة المعرفية الإنسانية ذات الصلة بالنفع الإنساني العام أو تلك التي اتّخذت من التشغيب على أمّتنا برنامجا وهدفا، مرحبا بالدراسات التأصيلية والدراسات المقارنة فضلا عن النقدية، لا نشترط غير مراعاة القواعد العلمية الموضوعية خدمة للأمة والإنسانية، رائدنا في كلّ ذلك حرية الفكر المحكوم بالصحّة واليُسْر والنفع العام، بقصد التأسيس لإيجابية التصوّرات والتصرّفات. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

* * *

الدراسات والبحوث

معالم الإصلاح والتجديد المشتركة بين الشاه ولي الله الدهلوي وبديع الزمان النورسي

د. ابراهيم الوجاجي[1]

الملخص

تتناول هذه الدراسة تجربتين إصلاحيتين رائدتين في العالم الإسلامي لشخصيتين اختلفتا زمانا ومكانا وظروفا، واتحدتا غاية ومنهجا؛ إنهما ولي الله الدهلوي الهندي (ت ١١٧٦هـ/١٧٦٢م)، وبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م).

يهدف الباحث من خلال دراسة هاتين التجربتين إلى إبراز معالم الإصلاح والتجديد المشتركة بينهما، ذلك أنه بالرغم من الفارق الزمني والتباين المكاني بينهما، فقد عاش الرجلان أوضاعا متشابهة من حيث الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية، وواجها تحديات متقاربة، وهذا ما جعل منهجيهما في الإصلاح يتفقان على جملة من الأسس الفكرية والقضايا المنهجية.

وقد تطرقت الدراسة إلى تحديد وتحليل أربعة معالم مشتركة؛ وهي: مركزية القرآن الكريم في المشروع الإصلاحي، وسلامة الفطرة أساس كل إصلاح، والسلوك والأخلاق، وكليات القرآن ومقاصد الشريعة.

الكلمات المفاتيح: الإصلاح والتجديد، الدهلوي، النورسي

* * *

Abstract

The Sings of Mutual Revival and Reform by Shah Walliyyullah ad-Dahlawi and Said Nursi

Dr. Ibrahim al-Wajaji

This study deals with two prominent personalities in the Islamic world. They were both known as reformers in their methods and ams, but they lived in different times and places. They are the Indian Waliullah Dehlawi (1703–1762) and Said Nursi known as Badiuzzaman (1876–1960).

The researcher aims at the study of these two experiences to highlight the common manifestations of reform and renewal in them. Although the two mène lived in two different times, but they lived in similar social, religious and political situations. They also faced similar challenges. As a result, their approaches in reform agreed intellectually and methodically.

[The study mentioned an analysis and identification of four common manifestations: 1. The centrality of the Quran in the reform project. 2. Integrity is the foundation for reform. 3. Behavior and ethics. 4. Purposes of Sharia Law and the Purposes of the Quran.

Key words: reform and renewal. Dehlawi and Nursi.

* * *

إن الموضوع الذي أتناوله في هذه الدراسة كان في أصله تساؤلا علميا عرضته على المشاركين في مؤتمر دولي عن فكر بديع الزمان النورسي بالعاصمة الهندية نيودلهي،[2] حيث اكتشفت من خلال العروض والمداخلات قواسم مشتركة في الجهود الإصلاحية بين ولي الله الدهلوي الهندي (ت ١١٧٦هـ/١٧٦٢م)، وبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م). فكان هذا المؤتمر المحطة الأولى في اكتشاف أسرار هذه الشخصية الإصلاحية الفذة، وكنت يومئذ منشغلا بإعداد أطروحة الدكتوراه عن الحكيم والمصلح الهندي الشاه ولي الله الدهلوي. ومع تقدمي في الأطروحة، ومع سبر أغوار شخصية بديع الزمان النورسي تيقنت أن الله عز وجل قد قيض للأمة

الإسلامية من يجدد لها أمر دينها من خلال هذين الرجلين الفريدين في زمنين ومكانين مختلفين.

لقد اتفقت كلمة كثير من الباحثين على أنَّ الرجلين من رجال الإصلاح والتجديد، فبينهما تشابه كبير، يتجلى في عدد من الأسس الفكرية والقضايا المنهجية التي يعتمدها كل منهما، ويرجع ذلك إلى اشتراكهما في الرغبة الأكيدة على تفعيل العودة إلى الأصلين الكتاب والسنة واهتمامهما بالمشرب الصوفي.

وبالرغم من الفارق الزمني بينهما فقد عاشا أوضاعا وتحديات متشابهة من حيث الأوضاع السياسية المتمثلة في بداية انهيار السلطة الإسلامية وتهديدات الاستعمار. ومن حيث الأوضاع الاجتماعية والدينية، حيث واجه الرجلان تحديات متقاربة منها: مشكلة العرقيات، والعقائد المنحرفة، وانتشار المذاهب المادية الإلحادية، واستفحال ضلالات وأباطيل بعض الصوفية.

ولأجل بيان القسط المشترك بينهما، اخترت التفصيل في أربعة معالم وجدتها مشتركة بين هذين المصلحين:

- المعلم الأول: مركزية القرآن الكريم؛
- المعلم الثاني: سلامة الفطرة أساس كل إصلاح؛
- المعلم الثالث: السلوك والأخلاق؛
- المعلم الرابع: كليات القرآن ومقاصد الشريعة.

وقبل تحليل هذه المعالم أرى أن أقدم ترجمة موجزة للشاه ولي الله الدهلوي، لتقريب هذه الشخصية إلى القارئ الكريم لاسيما في تركيا، ليكون على بينة من موضوع هذه الدراسة، كما أنني لن أستعرض ترجمة لبديع الزمان النورسي، فهو كما يقال: أشهر من نار على علم.

ترجمة الإمام الدهلوي[3]

ولد أحمد بن عبد الرحيم في قرية ''فُلَت'' بـ ''مظفر نكر'' القريبة من دهلي عاصمة الهند، في ١٤ من شوال ١١١٤هـ الموافق لـ ٢ من مارس ١٧٠٣م أواخر عهد السلطان ''أورنجزيب'' (أحد سلاطين الدولة التيمورية العظام)، ونشأ في بيت علم وصلاح؛

كان فقيهاً حنفياً، صوفياً، مفسّراً، من المحدّثين، درس الطب والحكمة، والمنطق الفلسفة، ومال إلى الزهد والتصوف، فالتَفَّتْ قلوب مسلمي شبه القارة الهندية حوله.

بعد وفاة والده سنة (١١٣١ هـ–١٧١٩م) جلس للتدريس، وبعد أن أمضى اثني عشر عاما رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ثم لازم الحرم المكي وجاور هنالك، والتقى بشيوخ مكة وفقهائها ومحدثيها؛ فروى عنهم وتتلمذ على أيديهم، وأجازوه براوية الحديث، ثم عاد إلى بلده أوائل سنة (١١٤٥هـ–١٧٢٢م) ليستأنف حياة الدرس والتعليم والإصلاح، حيث دعا إلى التصوف السني القائم على الاعتقاد والعمل بما جاء في الكتاب والسنة، وجرى عليها جمهور الصحابة والتابعين، وقام بتنقية التصوف الشائع في الهند من الشوائب التي لحقت به من الفلسفات غير الإسلامية، ونادى بفتح باب الاجتهاد وعدم التقيد بآراء الفقهاء الأربعة.

لقد أثرت جهود الشيخ الإصلاحية في تلامذته، وعلى رأسهم ابنه الشاه عبد العزيز، الذي كان كوالده نابغًا في الحديث والفقه، فحمل راية أبيه بعد وفاته، ووقف للإنجليز حين أخذوا يستبدون بالأمر في الهند. وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال تُوفِّي الشيخ في ٢٦ من المحرم ١١٧٦هـ – الموافق لـ ١٧ من غشت ١٧٦٢م.

وقد ترك رحمه الله مؤلفات عظيمة بلغت أكثر من ٥٠ كتابًا، من أشهرها:

''حجة الله البالغة في أسرار الحديث وحكم التشريع''؛

''الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف''؛

''عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد'': عرض فيه لكثير من الأحكام المتعلقة بالاجتهاد؛

''الفوز الكبير في أصول التفسير''، تكلم فيه عن الأشياء التي لا بد لمن يقوم بالتفسير أن يلم بها؛ حتى يكون على بينة من أمره حين يعرض لآيات القرآن الكريم؛

''المسوَّى من أحاديث الموطأ''، شرح فيه أحاديث موطأ الإمام مالك؛

''شرح تراجم أبواب البخاري''؛ ''فتح الرحمن في ترجمة القرآن'': ترجم فيه القرآن إلى اللغة الفارسية.

لقد دلت تصانيفه على نبوغه ورسوخه في العلوم حتى فاق أهل عصره. وقد قال عنه العلامة الفاضل بن عاشور رحمه الله: ''ولم يخل القرنان: الثاني عشر والثالث عشر بالمشرق والمغرب من رجال يتطلعون في تحاريرهم الفقهية وفتاويهم، إلى السمو عن منزلة التحرير والتخريج إلى حد محدود؛ مثل: البسولي والرهوني في المغرب، وبيرم الثاني وإسماعيل التميمي بتونس، وابن عابدين بالشام. ولكن اثنين ارتفعا ارتفاعاً فائقاً إلى مقام الاجتهاد، أولهما من الهند وهو ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)، وثانيهما الإمام الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، فهذان هما اللذان استقلا بالنظر في المسائل استقلالاً تاماً شاملاً، وجددا معاني الأصول ومعاني الأحكام''.[4]

المعلم الأول: مركزية القرآن الكريم

يُعتبر القرآن الكريم منطلق الإصلاح والتجديد والتأصيل عبر تاريخ الأمة الإسلامية، إلاّ أنّ التجارب تختلف بحسب الأشخاص وظروف كل زمان ومكان. وسأركز هنا على بعض الجوانب المُجَلِّيَة لمركزية القرآن الكريم في المشروع الإصلاحي عند الشاه ولي الله الدهلوي وبديع الزمان سعيد النورسي.

ارتبط ولي الله الدهلوي بالقرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، فذكر في كثير من مؤلفاته أنه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ودرس التفسير وارتبط بمعانيه وحِكَمه، حتى استنبط منه علوما فاق بها أهل عصره، وفي تقرير هذه المعاني، قال بأنّه : ''نال حظه من تلاوته وفهمه وتدبره''.[5]

لقد كان همُّ الدهلوي أن يربط العامة بالقرآن الكريم من خلال تيسير فهمه على الأفراد، حتى يكسر الحاجز الموهوم بين كلام الخالق المعبود جل وعلا وبين عباده. ومن جهة أخرى أراد أن يؤكد آراءه الفكرية والعقدية من خلال تفسير القرآن، فأوَّلَ الحروف المقطعة في أوائل السور، وخالف الجمهور في أسباب النزول. وكان أول من ترجم القرآن إلى الفارسية، ولقي بسبب هذه الترجمة معارضة شديدة كادت أن تودي بحياته، إلا أن إيمانه بضرورة الانطلاق من القرآن وتمكين العامة منه زوده بالإصرار لاستكمال مشروعه النهضوي الذي أطلقه من المدرسة الرحيمية بدهلي، فبثّ نور القرآن في عموم المسلمين، وحارب به العقائد الفاسدة في الهند وحاج به أهل الإلحاد والكفر وأصلح به أحوال المؤمنين.

وقد صنّف كتاب ''فتح الرحمن في ترجمة القرآن'' إلى الفارسية، ثم ''الزهراوين'' في تفسير سورتي البقرة وآل عمران، ثم ''الفوز الكبير في أصول التفسير''، ناهيكم عن ''تأويل الأحاديث في تأويل قصص الأنبياء''. كل ذلك من أجل ربط محكم القرآن ومتشابهه بكل فرد على حدة، وبتنزيل منهج القرآن في مجتمعه.

إن ارتكاز الدهلوي على القرآن في حركته التجديدية، قصد منه التأليف بين مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية، وهذا ما وفق فيه إلى حد بعيد. فهو الإمام الذي أجمعت عليه جل طوائف المسلمين بالهند، لأنَّه نبذ العصبية المذهبية، ورزق فتحا عظيما في إدراك المذاهب الفقهية والعقدية.

أما بديع الزمان النورسي فاستهل علاقته بالقرآن الكريم بالخروج عن شكليات أهل علوم القرآن، وحاول تعريف القرآن عبر الوحي المنظور والتفكر الوجداني، ولا شك أنه ملمّ بتعريفات المفسرين وعلماء القرآن، لكنه لم يكن يقصد صياغة تعريف رسمي أو حدّي على طريقة المناطقة. ولذلك جاء بتعريف في فقرات من البيانات والعبارات؛ قال رحمه الله: إن الكلام الإلهي سبحانه لا نهاية له.[6] وذلك بسر الآية الكريمة: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا.﴾ الكهف:١٠٧

وجوابا لكل سائل عن ماهية القرآن؛ قال رحمه الله: ''هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم (...)، وكذا هو مرب للعالم الإنساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية، وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد الهادي إلى ما خلق البشر له''.[7]

ومرد مَنْح القرآن الكريم أعلى مقام من بين الكلمات جميعا في نظر بديع الزمان؛ أن القرآن قد نزل من الإسم الأعظم، ومن أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى. فهو كلام الله بوصفه رب العالمين، وهو أمره بوصفه إله الموجودات، وهو خطابه بوصفه خالق السماوات والأرض، وهو مكالمة سامية بصفة الربوبية المطلقة، وهو خطابه الأزلي باسم السلطنة الإلهية العظمى. وهو سجل الالتفات والتكريم الرحماني، نابع من رحمته الواسعة المحيطة بكل شيء. وهو مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الألوهية إذ في بداية بعضها رموز وشفرات، وهو الكتاب المقدس الذي

ينثر الحكمة. ولأجل هذه الأسرار أطلق على القرآن الكريم بما هو أهله ولائق به؛ إسم: كلام الله![8]

يظهر أنّ الدهلوي والنورسي ينهلان من مشكاة واحدة، فتجمع بين مسعيهما الرغبة الملحّة في العودة إلى القرآن الكريم، وربط عموم المسلمين بالقرآن الكريم تدبّرا وفهما وعملا بمقتضاه.

قال الدهلوي: ''لما فتح الله عليّ بابا من الذكر الحكيم؛ خطر لي أن أُقَيد تلك الفوائد النافعة التي تنفع إخواني في تدبر كلام الله عز وجل، وأرجو أنّ مجرّد فهم هذه القواعد يفتح للطلاب طريقا واسعا إلى فهم معاني كتاب الله تعالى''.[9]

فتمعن في هذا الفتح الرباني تجد نظيرا له عند بديع الزمان، ويستشف هذا المعنى من قوله:[10] ''وفكرت كيف يمكن أن تقاوم كل هذه الظلمات المتراكمة، وأنواع الغربة المتداخلة، فاستغاث قلبي قائلا: يارب أنا غريب وحيد ضعيف غير قادر عليل، عاجز شيخ لا خيار لي، فأقول الغوث الغوث، أرجو العفو وأستمد القوة من بابك يا إلاهي. وإذا بنور الأمان وفيض القرآن ولطف الرحمان يمدني من القوة ما يحول تلك الأنواع الخمسة من الغربة إلى خمس دوائر نورانية من دوائر الأنس والسرور، فبدأ لساني يردد ''حسبنا الله ونعم الوكيل''، وتلا قلبي الآية الكريمة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. التوبة:١٢٩

لقد تعمق الرجلان في الفلسفة والكلام، وآثرا المنهج القرآني لربانيته، وتوسع الدهلوي كثيرا حتى إنك تصنفه ضمن الفلاسفة المتكلمين، إلا أنه لايحيد عن منهج التوسط والاعتدال.

أما بديع الزمان فيبين لنا أن إيثار القرآن مرده إلى كون الوحي المنزل من عند الله الحكيم العليم ينظر إلى الجوهر، والفلسفة تنظر إلى المنظر. وتربية القرآن للفرد روحية، وتربية الفلسفة نفعية. وتربية القرآن للجماعة تربية على الحق والتعاون لنيل رضا الله، وتربية الفلسفة تربية على المنفعة والصراع والتزاحم.

وقد عقد موازنة ومقارنة بين حكمة القرآن الحكيم والعلوم الفلسفية، فاستنتج ''أن القرآن الكريم ببياناته القوية النافذة، إنما يمزق غطاء الألفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة''. أما ''معجزات الفلسفة فهي تخفي جميع معجزات القدرة

الإلهية تحت غطاء الألفة والعادة".[11] ولكي يُقنع المكابرين العاندين ذكر أمثلة محسوسة، حيث قال: "فشاهد في ضوء هذه الأمثلة ثروة القرآن الطائلة وغناه الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة، وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل".[12]

لقد خلص الدهلوي إلى أن دراسة القرآن وفهمه يُعَدَّان أقوى طرق علاج فساد العقيدة وانحرافها، وأكثرها تأثيرا. وتيقن أن دراسة القرآن الكريم والتدبر فيه هو أقوى الطرق وأحسنها لإصلاح المجتمع المسلم وعلاجه.[13] فبعد عودته من الحجاز عمل على نشر تعاليم القرآن الكريم، فقام بإلقاء دروس القرآن شرحا وتفسيرا وترجمة.

أما بديع الزمان فيبدأ بالحديث عن نفسه وعما أوتي من القرآن قبل أن يتحدث عن إصلاح غيره. فلشدة وثوق صلته بكلام الله تعالى وتأثيره وتأثره. قال (رحمه الله): "إنّه مهما يظهر من قوّة التأثير، وبهاء الجمال في أسلوب كتاباتي فإنها ليست مني، ولا مما مضغه فكري. بل هي من لمعات ضرب الأمثال التي تتلألأ في سماء القرآن العظيم، وليس حظي فيها إلا الطلب والسؤال منه تعالى مع شدة الحاجة والفاقة، وليس لي إلا التضرُّع والتَوَسُّل إليه سبحانه مع منتهى العجز والضعف".[14]

ومن تأمل هذا الكلام أدرك أن الاضطرار والاستعانة بالله أسمى مراتب العبودية، فقد اعترف الأستاذ النورسي بفضل القرآن عليه، وكيف يبين ضعفه وعجزه أمام القوي الجبار، ومن عجز عن إدراك السِرّ فلا بد أن يُسَلِّم أن سلامة القلب تورث الفتح المبين. وقد علم النورسي ذلك علم اليقين، فاشترط سلامة القلب على من قصد مشاهدة جمال القرآن. قال رحمه الله: "لقد شاهدت أن مشاهدة جمال القرآن تابعة لدرجة سلامة القلب وصحته. فمريض القلب لا يشاهد إلا ما يشوه له مرضه! فأسلوب القرآن والقلب كلاهما مرآتان ينعكس كل واحد في الآخر".[15]

وما النورسي في حقيقته إلا تلميذ مخلص للقرآن، فهو يعطيك زبدة تأملاته في أسلوب بسيط عميق وجمل قصيرة مُوحِيَة قد تغريك بساطتها فتمد يدك إليها محاولا تلمسها فإذا بك تقع على خلاصة مركزة، قد تدفعك أنت أيضا إلى التأمل ومزيد القراءة حتى تستطيع أن تتذوق ما يريده منك صاحب الحكمة.[16]

ولأن مشروعه الإصلاحي ربطه بغايات سامية تتجاوز شخصه، كان يَنْهَى طلبته عن التَعَلُّق بشخصه أو الترويج لنفسه فأخلص في عمله، ورجا أن تستمر مدرسته القرآنية

الإيمانية بعد مماته، فعبر عن رغبته تلك قائلا: ''أما من حيث العمل للقرآن، فلقد وهب لي الله سبحانه وتعالى إخوانا ميامين في العمل للقرآن والإيمان. وستؤدى تلك الخدمة الإيمانية عند مماتي في مراكز كثيرة بدلا من مركز واحد. ولو أسكت الموت لساني، فستنطلق ألسنة قوية بالنطق بدلا عني وتديم تلك الخدمة. بل أستطيع القول إن بذرة واحدة تحت التراب تنشئ بموتها حياة سنبلة وتتقلد مائة من الحبات الوظيفة بدلا عن حبة واحدة. فآمل أن يكون موتي كذلك وسيلة لخدمة القرآن أكثر من حياتي''.[17]

وأختم هذا المعلم بما حكاه عن نفسه وهو منصت لكتاب الله تعالى، قال (رحمه الله): ''كنت أنصت يوما إلى القرآن الكريم من حفاظ كرام في جامع بايزيد بإستنبول، وذلك في أيام شهر رمضان المبارك، وإذا بي أسمع كأن صوتا معنويا صرف ذهني إليه، دون أن أرى شخصه بالذات، فأعرت له السمع خيالا، ووجدته يقول:

– إنك ترى القرآن ساميا جدا ولامعا جدا، فهلا نظرت إليه نظرة حيادية؟ ووازنته بميزان محاكمة عقلية حيادية؟ أعني: افرض القرآن قول بشر! ثم انظر إليه بعد هذا الفرض هل تجد فيه تلك المزايا والمحاسن؟'' فاكتشف من خلال هذا الحوار مع نفسه أنّه مغتر، ففتّش في نفسه عن مصدر هذا الاغترار، وسجّل ما فَتِح الله به عليه، فقال: ''اغتررت به في الحقيقة، فافترضت القرآن قول بشر، ونظرت إليه من تلك الزاوية، وإذا بي أرى نفسي في ظلام دامس، فقد انطفأت أضواء القرآن الساطعة، وعمّ الظلام الأرجاء، كما يعم الجامع كله؛ إذا مسَّ أحدهم مفتاح الكهرباء. فعلمت عندها أن المتكلم معي هو شيطان، يريد أن يوقعني في هاوية. فاستعصمت بالقرآن نفسه، وإذا بنور يقذفه الله في قلبي، أجد نفسي به قويا قادرا على الدفاع. وحينها بدأت المناظرة مع الشيطان''.[18]

المعلم الثاني: سلامة الفطرة أساس إصلاح النفوس

إن هذا المبحث يستحق من الاهتمام والبحث ما هو جدير به من حيث هو مشترك إنساني وأساس كل إصلاح للنفس الإنسانية؛ فبديع الزمان يعتبر سلامة الفطرة ضمانا لبناء الانسان وإصلاحه وهكذا كان المصلحون من قبله. فالفطرة هي طبيعة الإنسان التي خلق عليها منذ نشأته الأولى، فكل إنسان مولود على الفطرة قبل أن تتدخل أيدي المنشئين والمربين وبيئته لتؤثر على طبيعته وخلقته الأولى (الصفحة البيضاء النقية)،

يقول سبحانه ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيَعْلَمُونَ﴾الروم:٣٠

ويقول النَّبِيُّ ﷺ: ''كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ.''[19]

عناية الدهلوي بالفطرة:

بيَّن الإمام الدهلوي (رحمه الله) أن الفطرة هي الدين الذي لا يختلف باختلاف الأعصار، والأنبياء كلهم مجمعون عليه.[20] ولذلك أسس مشروعه التجديدي والاصلاحي على سلامة الفطرة، فكان دأبه في تقريراته أن يربط كل سلوك يسعد النفس الإنسانية بسلامة الفطرة كما صنع في بيان حقيقة الطهارة.[21] فلما تصدى لإصلاح النفوس وعلاجها استهل بتشخيص أدوائها، فبيَّن أن الحُجُبَ المانعة من ظهور الفطرة ثلاثة،[22] ففصَّل القول في حجاب الطبع، وحجاب الرسم، وحجاب سوء المعرفة، ثم بَيَّنَ طُرُق رفع هذه الحجب للرجوع إلى أصل تلك الفطرة القابلة لكل أنواع البر. وحينما ترجع نفس الانسان إلى أصل خلقتها تجد في روحها لطيفة نورانية تميل بطبعها إلى الله عز وجل ميل الحديد إلى المغناطيس، وهذا أمر مدرك بالوجدان.[23]

عناية النورسي بالفطرة:

قال بديع الزمان (رحمه الله) عن نور الفطرة: ''عرفت بنور الايمان أنَّ الذي خلقني ويديم حياتي هو في منتهى السخاء والرحمة واللطف وفي غاية القدرة والإبداع. وعرفت ماذا يعني التسبيح والتقديس والحمد والشكر والتكبير والتعظيم والتوحيد والتهليل وأمثالها من وظائف الفطرة وغاية الخلقة ونتائج الحياة. فعلمت بعلم اليقين سبب كون الحياة أرقى مخلوق في الكون، وسرّ كون كل شئ مسخراً للحياة، وحكمة وجود **شوق فطري** لدى الجميع نحو الحياة، وأن روح الحياة إنَّما هو الايمان.[24]

وتجد عند الأستاذ بديع الزمان تأكيدا زائدا وتوضيحا رائدا لما انتقل بالفطرة من المدلول الضيق إلى رحب القانون الكلي. قال (طيب الله ثراه): ''ما دام الميل نحو الكمال قانونا فطريا في الكون، –وقد أدرج في فطرة البشرية–، فإن الحق والحقيقة سيظهران في المستقبل على يد العالم الإسلامي.''[25]

إن الفطرة بهذا المنظور هي التي ستقود العالم إلى الحق، وتُخَلص المستضعفين من بطش المستكبرين. ولعل شيخنا وأستاذنا الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله اغترف من منهل بديع الزمان لما ألف كتابه ''الفطرية: بعثة التجديد المقبلة''،[26] فنحى منحى تجديديا في الطرح والمعالجة وهو قد خَبِر رسائل النور وفقه مغزاها. وقد اعتبر بديع الزمان أن شرائع الدين وأخلاقه منسجمة مع الفطرة؛ حيث قال: ''إن الفطرة لا تكذب''.[27] وأن ''الصلاة المفروضة هي وظيفة الفطرة وأساس العبودية والدين المفروض''.[28]

إن الحجاب أمر فطري للنساء، تقتضيه فطرتهن (...)، وإن رفع المدنية السفيهة الحجاب وإفساحها المجال للتبرج يناقض الفطرة الانسانية. وإنّ أمر القرآن الكريم بالحجاب –فضلاً عن كونه فطرياً– يصون النساء من المهانة والسقوط، ومن الذلة والأسر المعنوي ومن الرذيلة والسفالة، وَهُنَّ مَعْدَنُ الرأفة والشفقة والرفيقات العزيزات لأزواجهن في الأبد.[29]

أما في مجال الإصلاح الاجتماعي فينظر بديع الزمان بنظرة المجرب المحنك الواثق أن من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لايستثمر مساعيه، ولن يكون النجاح حليفه في أمور الخير والرقي ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون. فإن مالت عن ذلك فستكون جميع أعماله مبذولة في سبيل التخريب والشر.

ومن تجليات إشاراته إلى الفطرة بجملة أبعادها، قوله: ''فما دام الانسجام مع قانون الفطرة ضرورياً، فإن تنفيذ قانون المساواة المطلقة لا يمكن إلاّ بتغيير فطرة البشر ورفع الحكمة الأساسية في خلق النوع البشري''.[30] ولما عرض أسباب التوفيق جعل مراعاة الفطرة مناط التوفيق، حيث قال: ''اعلم أن من أراد التوفيق يلزم عليه أن يكون له مصافاة مع عادات الله، ومعارَفَة مع قوانين الفطرة، ومناسبة مع روابط الهيئة الاجتماعية، وإلاّ أجابته الفطرة بعدم الموفَّقية جوابَ إسكات''.[31] واستخلص الأستاذ النورسي ''أنَّ الإسلامية هي الدين الفطريّ لنوع البشر وأنها حق، ولهذا لاينقطع إن رقّ''.[32] ويضرب المثل بمحمد عليه الصلاة والسلام ''مع أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب، ومع عدم قوته الظاهرية وعدم حاكميته له أو لسلفه، وعدم ميل تحكم وسلطنة، قد تشبث بقلبه بوثوق واطمئنان في موقع في غاية الخطر وفي مقام مهم بأمر عظيم فغلب

على الأفكار، وتحبب الى الأرواح، وتسلط على الطبائع، وقلع من أعماق قلوبهم العادات والأخلاق الوحشية المألوفة الراسخة المستمرة الكثيرة، ثم غرس في موضعها في غاية الإحكام والقوة".[33]

المعلم الثالث: الأخلاق والسلوك

يلاحظ دارس مصنفات الدهلوي والنورسي –بالرغم من الفارق الزمني بينهما–[34] وجود تشابه كبير في تصور القضايا الكبرى، والأسس الفكرية في حلّها. ويرجع ذلك إلى اشتراكهما في الرغبة الملحة في العودة إلى الأصلين (الكتاب والسنة)، مع عناية جلية بالتزكية ومشارب الإصلاح الأخلاقي، فضلاً عن تشابه المناهج المتبعة في مواجهة الانحرافات التي عرفتها مجتمعاتهما.

= السمة العامة للبيئتين:

يشكل وجود الأفكار الإلحادية والمذاهب المادية السمة البارزة والمشتركة بين بلاد الأناضول والهند مع استفحال بشبه الجزيرة الهندية، وهذا ما كان يُفضى إلى الاضطرابات السياسية والاجتماعية. فقد دبَّ الضعف إلى سلطة المسلمين المركزية، مما يَسَّر اجتماع كلمة المناوئين للدين الإسلامي في مواجهة الإسلام والمسلمين، فتعرّض المسلمون للتقتيل من قِبَل الهندوس والسيخ والأوربيين.

لقد شاركت الطرق الصوفية في واجب الدفاع عن استنبول دار الخلافة ضد هجمات النصارى لمدة تزيد عن الخمسمائة وخمسين عامًا، وأسهمت في توطيد أركان الدولة الإسلامية في الهند، فالتحمت مواقفها بوجدان الناس، فلذلك لم يكن النورسي ولا الدهلوي ليتجاهلا هذا المعطى المتجذّر في المجتمع خاصة في تلك الظروف الحالكة التي مرّت بها البلدان آنذاك.

وقد قام الشيخان (الدهلوي، والنورسي) كل في مكانه وزمانه وظروفه بمجهودات جبارة لإنقاذ المسلمين من الإلحاد والكفر ونظريات المذاهب المادية والتصوف المنحرف، فكانت غايتهما واحدة، مع منهجية متباينة في التعامل مع الطرق الصوفية، فرضتها طبيعة المرحلة، وانقلاب الأوضاع رأساً على عقب. فوجب تغيير استراتيجية التعامل مع التصوف كأخلاق، واسترجاع سمته الأساسية (مقاومة الخلود إلى

الأرض)، والتي يصير بها وسيلة لصدّ الحملات الخارجية، والتهديدات التي تواجهها السلطنة الإسلامية بالهند ومركز الخلافة العثمانية.

فالدهلوي لازم التصوف منذ أيام تعليمه، وبلغ فيه المراتب العليا بعد أن خلف أباه في منصبه، ويعد من العلماء المتصوفة الكبار الذين زانوا تصوفهم بالشريعة. وقد انتقده البعض في كثير من كلامه الصوفي مما يدرج في باب العرفان. أما النورسي فقد اتخذ موقفا ظاهرا من التصوف، وله في ذلك حكم وأسرار.

قال النورسي: ''وفي حوالي التاسعة من عمري وجميع الأهلين وأقاربي ينتسبون إلى الطريقة النقشبندية''،[35] وهي ذات الطريقة التي ينتسب إليها الدهلوي. وقد انتشرت أولا بين الأتراك في الجمهوريات السوفياتية السابقة ومن ثمَّ انتقلت إلى الهند وتلك صلة أخرى بين الشيخين.

وقال النورسي أيضا: ''وعلى الرغم من أنني منتسب إلى الطريقة القادرية ومشربها يجري حكمها فِيَّ دون اختيار مني، إلا أن الانشغال بالعلم كان يعيق الاشتغال بالطريقة الصوفية''.[36] وهذا شأن الدهلوي كذلك، إذ يَظهر من سيرته أنه عكف على التعليم والتصنيف، فجعل الاشتغال بالتصوف تبعا لا أصالة.

أما السر في عدم اشتغاله بالتصوف، فهو أن العمل الإصلاحي والتجديدي يلزمه الإيمان والعمل، ومجابهة الفتن الهوجاء، لا الزهد والانكفاء والتسابق على مراتب الولاية.

ومن روائع أقواله المأثورة في حسم الخلاف المحتمل بينه وبين الطرق الصوفية، –سيما وأن هذه الأخيرة تقعد عن العمل بالإيمان–، قوله وكأنه رد عليهم: ''لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف''.[37]

ولا شك أن العمل على إنقاذ الإيمان في القلوب وتجديده في النفوس، وهداية الضالين والمنحرفين، وإقامة الحجة على الملحدين، أعظم أثرا وأكبر أجرا من الاجتهاد في نيل مقامات العارفين، والترقي في درجات السالكين، لأن هذا العصر عصر إنقاذ الإيمان، وليس عصر الطريقة والولاية. قال بديع الزمان رحمه الله: ''إن خدمة رسائل النور هي إنقاذ الإيمان، أما الطريقة والمشيخة فهي تكسب المرء مراتب الولاية. وإن إنقاذ إيمان شخص من الضلال أهم بكثير وأجزل ثوابا من رفع عشرة من

المؤمنين إلى مرتبة الولاية، حيث إن الإيمان يكسب الإنسان السعادة الأبدية ويضمن له ملكا أوسع من الأرض كلها. أما الولاية فإنها توسع من جنة المؤمن وتجعلها أسطع وأبهر''.[38]

فأخطر شيء في هذا الزمان في نظر بديع الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والأوهام، وليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن.[39]

وقد كان الدهلوي أيضا يخشى في عصره الميل عن هذه الجادة، ولهذا صرّح بأن العبرة بالتمسك بالشريعة، وأن من لم يتعلمها ويتمسك بالفقه والحديث لم يصح له السلوك في التصوف. بل كان يُنكر على بعض غلاتهم وجهالهم ويغلظ لهم العبارة، وينتقد بدعهم وضلالاتهم وشركياتهم ويسعى في صلاحهم.[40]

وفي نفس الجبهة تجد الأستاذ النورسي يقف مدافعًا عن التصوف المحرر في ضوء الكتاب والسنة، ويحذر من الغلو والتطرف، ويبرأ من البدع والأباطيل. ويقول في الرد على أصحاب الشطح: ''إن مثل صاحب الشطحات كمثل ضابط صغير برتبة ملازم، تستخفه نشوة القيادة وأذواقها في محيط دائرته الصغرى، فيتخيل نفسه في لحظة انتشاء وكأنه المشير الذي يقود الفيالق والجحافل، فتختلط في ذهنه الأمور''.[41] وإنصافا منه رحمه الله تعالى تجده يثني على المواقف التاريخية لبعض الطرق الصوفية، حيث اعتبرها ''إحدى القلاع الثلاث التي تتحطم على جدرانها الصلدة هجمات النصارى بسياساتهم ومكايد الذين يسعون لإطفاء نور الإسلام''.[42]

إن النورسي قد نهض برسالة التجديد في بلد كان للتصوف فيه حضور تاريخي كبير، وكانت فيه طرق شارك بعضها في واجب الدفاع عن استنبول دار الخلافة ضد هجمات النصارى، فالتحم موقفها بوجدان الناس. فلذلك لم يكن للنورسي أن يتفرغ لمناهضة تلك الطرق ومقاومتها، وهو الداعية الذي جعل آكد عمله المحافظة على الإيمان في وقت تجردت فيه معاول الهدم إلى اجتثاثه واستئصاله من النفوس.

وعليه؛ يجب على كل من تشبع برسائل النور أن يفقه موقف بديع الزمان من التصوف بأناة وتؤدة، وسيكتشف إعمال سد الذرائع كأصل من أصول حكمه، ولاكتشاف ذلك تأمل قوله: ''لقد كنت أقول إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة، فالبدع تحول دون ذلك. مفكرا في حقائق الإيمان وحدها. ولكن الزمان أظهر أنه يلزم لكل صاحب طريقة بل الألزم له أن يدخل دائرة رسائل النور التي هي أوسع الطرق.[43]

فهذه البدع هي الحائل بين الطريقة والتصوف اللذين يعتبرهما سرا إنسانيا رفيعا وكمالا بشريا ساميا.

لقد كان همّ الرجلين (الدهلوي والنورسي) إنقاذ المسلمين بإنقاذ إيمانهم، الذي به بفضل من الله ينقذون مجتمعاتهم من الإلحاد و انحرافات بعض المتصوفة، الذين قادوا الأجيال إلى الركون والسكون، بعنوان الزهد والخلاص الفردي. بينما الأولياء الربانيون كانوا يسلكون الطريق الوعرة ذات المحن والابتلاءات، وهم أشد إيمانا وعزما في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

المعلم الرابع: الكليات القرآنية ومقاصد الشريعة

جرت عادة المجددين في الشريعة أن يعمدوا إلى ربط الاجتهاد والفقه بالأصول وبالمقاصد، وتجديد الفروع بما يقتضيه الواقع والسياق، ولذلك قال الإمام أبو حامد الغزالي: ''وإنما قبلة المجتهد مقاصد الشرع''.[44] ولا شك أن انتساب الرجلين إلى مجال الإصلاح والتجديدي العملي الميداني أفضى إلى اتحادهما في هذا المنهج. ولذلك اهتم الرجلان بالكليات القرآنية وبمقاصد الشريعة، وبإبراز خصائص الإسلام وغاية رسالته الوجودية. ومن هنا نعلم سر اهتمامهما كثيرا بالمقاصد الشرعية. فالدهلوي لاحظ سر أثر المقاصد في مجتمعٍ مختلف العقائد كالهند، حيث توصل إلى أن الكشف عن مصالح الناس والاهتمام بمنافعهم هو من مقومات وحدة المجتمع وسبب تلاحمهم، فقدم فقه المقاصد[45] على كل فن وعلم، حيث قال في مقدمة كتابه حجة الله البالغة: ''وإن أدق الفنون الحديثية بأسرها عندي وأعمقها محتدا، وأرفعها منارا، وأولى العلوم الشرعية عن آخرها فيما أرى، وأعلاها منزلة أعظمها مقدارا هو علم أسرار الدين الباحث عن حِكَم الأحكام ولمياتها وأسرار خواص الأعمال ونكاتها، فهو والله أحق العلوم بأن يصرف فيه من أطاقه نفائس الأوقات ويتخذه عدة لمعاده بعدما فرض عليه من الطاعات، إذ به يصير على بصيرة فيما جاء به الشرع''.[46]

أما بديع الزمان النورسي فتفطن إلى السر نفسه، فاهتم اهتماما بالغا بالمقاصد القرآنية حتى صارت هذه المقاصد قبلته في مشروعه وهمومه وكتاباته. وبناء على استقرائه وما أفاض الله عليه من حكمة وجد أن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره

الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة مع العبودية، فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب.[47]

فالقرآن الكريم في نظر النورسي بَيَّنَ سبيل سعادة الدارين، ووضح غايات خلق الكون، وما فيه من المقاصد الربانية موضحا ما يحمله ذلك المخاطب الكريم من الإيمان السامي الواسع الذي يضم الحقائق الإسلامية كلها، عارضا كل ناحية من نواحي هذا الكون الهائل ومقلبا إياه كمن يقلب خارطة أو ساعة أمامه''.

فالرؤية النورسية للمقاصد القرآنية[48] تعد تلك الحلقة التي ربطت بين تجليات كتاب الله تعالى المسطور (القرآن)، والظواهر العلمية لكتاب الله تعالى المنظور (الكون)، والتي من خلالها تفك مغاليق الوجود والكون والإنسان والغاية.[49] فليس الوحي المنظور إلا وسيلة لتحقيق العبودية، ولذلك يوجه الناس إلى أن ''المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلية تجاه تظاهر الربوبية''.[50] وهذا منسجم مع الهدف الكلي الأعظم الجامع والوظيفة الأساس التي جاء القرآن ليؤديها، وهي تعليم شؤون دائرة الربوبية.[51] ومن تجليات هذا نجد ''أن القرآن الكريم يذكر في أكثر الأحيان قسماً من الخلاصات والفذلكات في خاتمة الآيات. فتلك الخلاصات: إما أنها تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها، وإما أنها تحيل قضاياها إلى العقل وتحثه على التفكر والتدبر فيها، أو تتضمن قاعدة كلية من مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية وتؤكدها. ففي تلك الفذلكات بعض إشارات من حكمة القرآن العالية، وبعض رشاشات من ماء الحياة للهداية الإلهية، وبعض شرارات من بوراق إعجاز القرآن.''[52]

أما ولي الله الدهلوي فقد نحا في مقاصد القرآن منحى آخر؛ حيث قرر أن القرآن اشتمل على علوم خمسة أساسية، حتى وكأن القرآن نزل بالأصالة لهذه العلوم الخمسة، وهي:

١– علم الأحكام: كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات أو المعاملات، أو الاجتماع أو السياسة المدنية، ويرجع تفصيل هذا العلم وشرحه إلى الفقيه؛

٢– علم الجدل: وهي المحاجة مع الفرق الأربع الباطلة، اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، ويرجع في شرح هذا العلم وتعريفه إلى المتكلم؛

٣– علم التذكير بآلاء الله: كبيان خلق السموات والأرض وإلهام العباد ما يحتاجون إليه، وبيان الصفات الإلهية؛

٤– علم التذكير بأيام الله: وهو بيان تلك الوقائع والحوادث التي أحدثها الله تعالى إنعاما على المطيعين ونكالا للمجرمين (كقصص الأنبياء –عليهم الصلوات والتسليمات– ومواقف شعوبهم وأقوامهم معهم)؛

٥– علم التذكير بالموت وما بعد الموت: كالحشر والنشر والحساب والميزان، والجنة والنار، ويرجع تفصيل هذه العلوم وبيانها وذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بها إلى الواعظ والمذكر.[53]

وكأني بالدهلوي هاهنا فصل ما ذهب إليه الفقيه المالكي ابن العربي رحمه الله تعالى الذي أجمل علوم القرآن الكريم في ثلاثة أصناف:توحيد، وتذكير، وأحكام.[54]

وقد اهتم المعاصرون بهذا الموضوع اهتماما خاصا لاسيما مع الصحوة المقاصدية، ونجد الطاهر بن عاشور حصر مقاصد القرآن في ثمانية: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح؛ وتهذيب الأخلاق؛ والتشريع؛ وسياسة الأمة، والقصص وأخبار الأمم السالفة، والتعليم بما يناسب حالة عصر المُخاطَبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، والمواعظ والإنذار، والتحذير والتبشير، والإعجاز بالقرآن.[55]

أما الأستاذ محمد الغزالي فحصر مقاصد القرآن في خمسة محاور وهي:[56]

الله الواحد؛ والكون الدال على خالقه؛ والقَصص القرآني؛ والبعث والجزاء ؛ والتربية والتشريع.

ولئن أدلى النورسي بدلوه في مقاصد القرآن، إلا أنه تميز باهتمامه البالغ بمقاصد السور القرآنية، ونجد مثل هذا الاتجاه عند عبد الحميد الفراهدي في ''دلائل النظام''. وعند سيد قطب في تفسيره ''في ظلال القرآن''.

لقد بين النورسي أن مقاصد القرآن الأربعة تتجلى في كل سورة من سوره، وآية من آياته. ''فكما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في القرآن كله، كذلك قد تتجلى في سورة سورة، بل قد يلمح بها في كلام كلام، بل قد يرمز إليها في كلمة كلمة''.[57] فكل سورة من سور القرآن في حكم قرآن مستقل، ولما كان القرآن خطابا للجميع، –ولا يتسنى لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء –أدرج الحكيم

الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره، لاسيما الطويلة حتى صارت كل سورة قرآنا صغيرا، فيسهل السبيل لكل أحد.[58] فأغلب السور المطولة والمتوسطة –التي كل منها كأنها قرآن على حدة– لا تكتفي بمقصدين أو ثلاثة من مقاصد القرآن الأربعة.[59]

ولفهم هذه المقاصد نبه النورسي إلى قاعدة جليلة لاستيعابها وفقهها من غير تيه ولا اختلال. وتتجلى هذه القاعدة في ''عدم التعمق في تفصيل الوسائل لئلا ينتشر البحث بالاشتغال بما لا يعني فيفوت المقصد، ولهذا السر أبهم القرآن وأهمل وأجمل في بعض المسائل الكونية''.[60]

إن هذا الانزياح إلى تفصيل الوسائل والغفلة عن المقاصد، قد حصل في العلوم الشرعية باعتبارها وسائل لإدراك هذه المقاصد القرآنية. فمن تتبع تاريخ نشأة وتطور هذه العلوم سيجد أنها انتقلت في فترة زمنية من خدمة هذه المقاصد إلى التيه في نقاش عقيم، فتضخمت مباحث علمية ثانوية من غير جدوى إيهاما بخدمة هذه المقاصد. وقد حصل هذا في علم الكلام حيث انتقل منها الدخيل إلى علمي الأصول والفقه، وتم حشو التفاسير بما لاطائل منه، فاختل توازن هذه المقاصد عند عموم المكلفين. فتجسدت تلك الإعاقة في التدين، فاهتم الناس بالصور والأشباح، وأغفلوا عن الحقائق والكليات. ولذلك أولى النورسي عناية خاصة لقضية التوازن في هذه المقاصد حيث أشار إلى أن جامعية القرآن الخارقة في مقاصده وغاياته، قد راعت الرعاية التامة وجسدت وأقامت موازنة مطردة مطابقة لدساتير الفطرة وقوانينها، ومتحدة معها في المقاصد والغايات فحافظت على الميزان والتوازن.[61]

لقد اهتم الدهلوي والنورسي بمقاصد الشريعة حتى تبوأت مكانة مركزية في المشروع الإصلاحي لكل منهما، ولعل الدافع المشترك في نظري راجع إلى إرادتهما العودة إلى صفاء الدين وجوهره، وتصفية تدين الناس مما علق به من تأثير ثلاثة أمور، قد لا تكون على سبيل الحصر ولكنها الغالبة:

أولاها: تنقية العقائد من رواسب الوثنية وفتنة الإلحاد؛ وثانيها: التخلص مما علق بتدين الناس من تأثير غلاة الصوفية، وثالثها: الإيغال في الفروع الفقهية والانهماك بالجزئيات وإهمال الكليات والمقاصد الشرعية. وهذه النقطة الثالثة تجسد فيها إعمال المقاصد جليا؛ لأن الفقه أحكام شرعية عملية لازمة لسلوك المكلفين باستمرار.

فأما الدهلوي فقد اتخذ مقاصد الشريعة منارة لتجديد الفقه وتجاوز جموده ومحاولة التوفيق بين المذاهب الفقهية الأربعة، وقد بين منهجه الفقهي وتحدث عن نفسه أنه لا يدعي الاستقلال وقد وضع نصب عينيه معرفة مقاصد الشريعة، واعتبر مجال النظر عند الفقهاء علم المصالح والمفاسد، لا علم الشرائع والحدود؛ وفي هذه الأمور امتنع من قبول تفريعات المتأخرين وتخريجاتهم، ويقف على ما كان في القرون الأولى.[62]

ومثل هذا الموقف نجده أيضا عند النورسي، ''ولعل عدم انشغاله كثيرا بالأحكام الفقهية الجزئية وعنايته أكثر بإحياء فقه المقاصد فيه دلالة على الرؤية التي يصدر عنها فكر الرجل وإدراكه للمرحلة التاريخية التي تمر منها الأمة الإسلامية والتي تستدعي عدم الانحسار داخل الفقه بمعناه الضيق والذي تضخم عبر قرون التخلف على حساب الفقه السياسي والاجتماعي، والتوجه نحو استبصار القواعد الكلية والحكم العلية والمقاصد السامية لأحكام الشريعة ونصوص القرآن الكريم حتى يتجدد الفقه ويستعيد وظيفته الفاعلة في توجيه حركة الحياة ويضبطها بروح الشريعة ويحررها من العجز والجمود والركون إلى الأرض والانشغال بتوافه الدنيا والإعراض عن أنوار الإيمان وحقائق التوحيد''.[63]

إن توافق الرجلين على تجديد التدين من مدخل مقاصد الشريعة لا يعني اتفاقهما في التصور والتنزيل، فقد استقل كل منهما بمنهجه في التنزيل مراعاة لسياقه وانسجاما مع ظروفه وتحدياته. فالدهلوي تميز في التأصيل الفطري للمصالح، وكذا في تصنيف مقاصد الشريعة إلى نوعين: مقاصد تشترك الشريعة الإسلامية فيها مع سائر الشرائع، ومقاصد تنفرد بها باعتبارها شريعة خاتمة وعالمية. كما تفرد في هذا الباب أيضا بالانتقال بالفقه الإسلامي إلى نظرية الارتفاقات كدلالة عظيمة على ارتباط كل التشريع بمصالح الانسان، إضافة إلى إبداعه في الكشف عن أسرار الشريعة في ترابط فذ قدم فيه أبواب الفلسفة والايمان والعبادات والمعاملات والأخلاق والاحسان والاجتماع والسياسة في ترابط واتساق محكم يكشف عن تكامل الشريعة الاسلامية. ناهيكم عن تميزه في مسألة إرجاع تفاصيل أسرار التشريع إلى أصلين هما مبحث البر والإثم ثم مبحث السياسات الملية. وكان رحمه الله يرى أن مقاصد الشريعة علم المنتهي لا المبتدئ، لأنه ''علم دقيق لا يخوض فيه إلا من لطف ذهنه واستقام فهمه''.[64]

أما النورسي فله نفس تجديدي غير مسبوق في عرض أسرار الشريعة، وفي بيان تناسقها وتوافقها مع جمال الكون وحكمة خالقه. ولذلك يستعمل في التأصيل لهذه المقاصد مفردات وأمثلة منبعثة من تأمله ووجدانه الروحي، فتجده في عرضه لأسرار الشريعة أقرب إلى الحكيم الترمذي في تعليله الشريعة بالمصالح الذوقية. وقد تنبه إلى صنيع الحكيم الترمذي أستاذنا الدكتور أحمد الريسوني حين قال عن كتابه ''الصلاة ومقاصدها'': ''فهو كتاب في صميم موضوعنا، وإن كان صاحبه ينحو في تعليلاته منحى ذوقياً إشارياً أكثر منه منحى علميا منضبطا''.[65]

ويتضح هذا الأمر من خلال بعض النماذج، فعندما بين اختلاف مراتب مقاصد الدين قال: ''فكما أن لكل من الألماس والذهب والفضة والرصاص والحديد قيمتها الخاصة، وخاصيتها الخاصة بها، وهذه الخواص تختلف، والقيم تتفاوت. كذلك مقاصد الدين تتفاوت من حيث القيمة والأدلة''.[66]

فإثبات حكمة الشريعة ينطلق فيه بديع الزمان من المحسوس إلى المجرد؛ أي من الوحي المنظور إلى الوحي المسطور مراعاة لأفهام المتلقين، ''فما نشاهده على سطح الأرض من انتظام واطراد في خلق المخلوقات وتدبير أمورها، وتجديدها باستمرار في كل موسم يدل بالبداهة على حكمة عامة تغمر الموجودات هذه الحكمة العامة تدل بالضرورة على حكيم مطلق الحكمة إذ لا صفة دون موصوف''.[67] وكذلك ''العلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان (...)، هذه العلوم التي هي حكمة الأشياء يمكن أن تكون حكمة حقيقية بمشاهدة التجليات الكبرى لاسم الله الحكيم جل جلاله في الأشياء وهي تجليات تدبير وتربية ورعاية، وبرؤية هذه التجليات في منافع الأشياء ومصالحها تصبح تلك الحكمة حكمة حقاً؛ أي باستنادها إلى ذلك الاسم الحكيم وإلى ذلك الظهير، وإلا فإما أن تنقلب إلى خرافات وتصبح عبثاً لا طائل من ورائها أو تفتح سبيلاً إلى الضلالة كما هو الحال في الفلسفة الطبيعية المادية''.[68]

ولا ينبغي أن يفهم من هذا الاستمداد أن النورسي قد نبذ المنهجية الأصولية أو استدرك عليها، فقد تجد بديع الزمان في مواطن أخرى بلسان الأصوليين يقرر القواعد، ويستنبط ويعلل الأحكام، ويُعمل المقاصد، ويوفق ويرجح. فمن ذلك قوله: ''إن دائرة الحاجة واسعة سعة دائرة النظر''.[69] و ''إن مصلحة محققة لا يضحى بها في

سبيل مضرة موهومة''.[70] و''إنه لا تتغير الأحكام الشرعية بحسب الحكم بل بحسب العلل الحقيقية''.[71]

ومما يجلي درجته العلمية في هذا المجال أنه عقد موازنة في رسالة ''الاجتهاد'' بين سفيان ابن عيينة، ومن هو في مستوى ذكائه في هذا العصر، وخلُص من هذه الموازنة إلى: ''أن ما حصل عليه سفيان في عصره من القدرة على الاستنباط في عشر سنوات، لا يمكن أن يحصل عليه من هو بمستوى ذكائه في هذا العصر في مائة سنة''.[72]

لقد كان نظر النورسي نظرا مقاصديا صادرا عن عقلية أصولية مجددة تستكشف المصالح خلف الأحكام، وتعتمد على الكليات التشريعية وتجعل منها حكما في فهم النصوص، فتراه يرد الجزئي إلى الكلي، والفرع إلى الأصل، ويميز بين المقاصد الأصلية والمقاصد التبعية، لا تستغرقه الجزئيات ولا تستهويه الأشكال، وإنما يغوص غوص العارف المتقن فيتبين الحكم والغايات، والمقاصد والجواهر، ويجعل الآيات تنطق بأسرارها.[73]

وكخلاصة عامة، فإن الرجلين النورسي والدهلوي؛ يمتحان من معين واحد، والأدلة على ذلك متضافرة، وتبدو جلية لمن لديه اطلاع على تراثهما. ويكفي أنهما تناولا المقاصد بصورة نسقية تعرض الإسلام عرضًا شموليًا، عقيدة وشريعة، مدنية وأخلاقًا، بحيث تمثلت علله الجزئية ومقاصده الكلية بصورة مترابطة ومتناسقة تنبئ عن الفهم الكلي لشمولية الاسلام.ومن تم العناية الفائقة بالأهداف والغايات الحضارية العمرانية والأبعاد الأخلاقية السلوكية في التشريع الإسلامي.

خاتمة

إن هذه المعالم الأربعة: مركزية القرآن الكريم، وسلامة الفطرة، والسلوك والأخلاق، وكليات القرآن ومقاصد الشريعة، التي تناولتها الدراسة، لا ينبغي الاقتصار عليها في دراسة المشترك بين المصلحين العظيمين: ولي الله الدهلوي وبديع الزمان النورسي. فمن جهة قد يظن القارئ أن الدراسة استوعبت المعالم المشتركة بينهما، وهذا مما يتعذر تحقيقه، لأن سير وتراجم العلماء والمصلحين كالمعين الذي لا ينضب، فلذلك تتعدد زوايا دراستها، فلو بادر باحث آخر إلى البحث في هذا المضمار

لاكتشف معالم أخرى لم تستوعبها الدراسة، كفقه الواقع، والمواقف السياسية، واستشراف مستقبل الإسلام والمسلمين وغير ذلك...

ومن جهة أخرى يجب الإقرار أن هذه المعالم الأربعة التي تناولتها الدراسة، يستحق كل معلم منها أن يستقل بدراسة وافية مستفيضة، ومن شأنها تعزيز الدراسات المقارنة التي تبحث عن المشترك والتميز بين بديع الزمان النورسي وأعلام الإصلاح والتجديد في المجال الإسلامي.

إن التركيز في هذه الدراسة على المعالم المشتركة بين الدهلوي والنورسي، يجب ألا يؤدي بنا إلى الغفلة عن مميزات كل واحد منهما في شخصيته ومنهجه وسياقه، لأن تجربتي الرجلين اختلفتا في كثير من الجزئيات، إلا أنّهما حملا همَّ الأمة الإسلامية في أجلِّ صورة لنكران الذات، وانطلقا من المنبع الصافي للإسلام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فهما من مشكاة واحدة، قيضهما الله تعالى لوظيفة الأنبياء. ولذلك استمر تأثيرهما الإيماني والعملي بعد وفاتهما، واستمرت رسالتهما الساعية إلى إعلاء كلمة الله وإصلاح أحوال المسلمين.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن العربي، أبو بكر المعافري. ''قانون التأويل''. دراسة وتحقيق: محمد السليماني. (جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية. بيروت، مؤسسة علوم القرآن. الطبعة الأولى ١٩٨٦).
- ابن عاشور، محمد الطاهر. ''التحرير والتنوير''. (تونس، الدار التونسية للنشر: ١٩٨٤)
- الأنصاري فريد. ''الفطرية بعثة التجديد المقبلة''. (الرباط، منشورات دار السلام، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩).
- البخاري؛ محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. (نشر دار طوق النجاة الطبعة الأولى: ١٩٨١).
- البطيوي عبد العزيز. ''أساسيات منهج الفكر المقاصدي عند النورسي''. مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، السنة الخامسة العدد ٩. (استنبول، يناير ٢٠١٤).
- بوخلخال عبد الوهاب. ''فلسفة الانسان في نوايا الحقيقة''. مجلة حراء، العدد ٢٩ (استنبول، ٢٠١٢).
- جيدل عمار، حقيقة مقاصد رسائل النور: استمداداتها وامتداداتها. (القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م).
- الحسيني الندوي، سعيد حسن مرتضى. ''المكتبة القرآنية في الهند في القرن الثاني عشر الهجري''. (بيروت، دار الكتب العلمية، سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية، ٢٠١٧).
- الدهلوي ولي الله، ''التفهيمات الإلهية''. (سلسلة مطبوعات المجلس العلمي دابهيل سورت الهند، طبعة: ١٣٥٥ه).
- الدهلوي ولي الله، ''الفوز الكبير في أصول التفسير''، تعريب: سلمان الحسيني النَّدوي، (القاهرة، دار الصحوة، الطبعة الثانية: ١٤٠٧ ه/١٩٨٦).

- الدهلوي ولي الله، ''حجة الله البالغة''. تحقيق: سيد سابق. (بيروت، دار الجيل لبنان الطبعة: الأولى: ٢٠٠٥م).
- الدهلوي، ولي الله. ''اتحاف النبيه فيما يحتاج إليه المحدث والفقيه''. تعريب: محمد عزير شمس. (لاهور، المكتبة السلفية. الطبعة الأولى: ٢٠٠٣).
- الريسوني أحمد. ''نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي''. (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٩٩٠).
- السيالكوتي محمد بشير. ''الإمام المجدد المحدث: الشاه ولي الله الدهلوي'' حياته و دعوته. (بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٩٩٩).
- الغزالي محمد، ''المحاور الخمسة للقرآن الكريم''؛ دار الشروق. مصر، د.ط.
- الغزالي، أبو حامد. ''حقيقة القولين''. تحقيق: مسلم الدوسري. مجلة الجمعية الفقهية السعودية. العدد الثالث، (الرياض، جمادى الأولى ١٤٢٩/٢٠٠٨).
- المزوري، أردوان مصطفى إسماعيل، مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران. داسة تحليلية تقويمية. مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، السنة الخامسة العدد ٩ (استنبول، يناير ٢٠١٤).
- مظهر الصديقي محمد ياسين، الإمام الشاه ولي الله الدهلوي: عرض موجز لحياته وفكره، تعريب: سيد عليم أشرف الجائسي. (عليكره الهند، منشورات مركز الشاه ولي الله الدهلوي للبحوث العلمية، معهد العلوم الإسلامية جامعة عليكره الاسلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠١).
- معوض علي، عبد الموجود عادل. ''تاريخ التشريع الإسلامي: دراسات في التشريع وتطوره ورجاله''. (بيروت، دار الكتب العلمية، طبعة ٢٠٠٠).
- النورسي، بديع الزمان سعيد اللمعات، كليات رسائل النور٣. (القاهرة، دار سوزلر للنشر، دت).
- النورسي، بديع الزمان سعيد. ''إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز''، كليات رسائل النور٥. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة: ٢٠٠٢).
- النورسي، بديع الزمان سعيد. ''الشعاعات''، كليات رسائل النور ٤. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. (إستنبول، دار سوزلر للنشر ١٩٩٣).
- النورسي، بديع الزمان سعيد. ''الكلمات''، كليات رسائل النور١، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر. (استنبول، دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة: ٢٠١١).
- النورسي، بديع الزمان سعيد. ''المثنوي العربي النوري''، كليات رسائل النور ٦، (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى: ١٩٩٥).
- النورسي، بديع الزمان سعيد. ''المكتوبات''، كليات رسائل النور٢. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة: ٢٠٠١). ص ٣٠
- النورسي، بديع الزمان سعيد. ''الملاحق في فقه دعوة النور''، كليات رسائل النور٧. ترجمة إحسان الصالحي. (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة: ١٩٩٩).
- النورسي، بديع الزمان سعيد. ''سيرة ذاتية''، كليات رسائل النور ٩. إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي. (استنبول، دت).
- النورسي، بديع الزمان سعيد. ''صيقل الاسلام''، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة :٢٠٠٢).
- الوجاجي ابراهيم، تجديد الدرس الأصولي عند الإمام ولي الله الدهلوي. أطروحة دكتوراه تحت إشراف: د. عبد الحميد عشاق، بدار الحديث الحسنية، الرباط، ٢٠١٦.

* * *

الهوامش

[1] أستاذ بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية. عين الشق، جامعة الحسن الثاني. الدار البيضاء المغرب.

[2] عقد المؤتمر الدولي بجامعة جواهر لال نهرو بنيو دلهي باشتراك مع مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم المؤتمر الدولي تحت عنوان: ''فهم وإدراك رسائل النور وبديع الزمان''، في شباط / فبراير ٢٠١٢.

[3] ترجمته في: محمد بشير السيالكوتي، الإمام المجدد المحدث: الشاه ولي الله الدهلوي، حياته و دعوته. (بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٩٩٩). محمد ياسين وظهر الصديقي الإمام الشاه ولي الله الدهلوي: عرض موجز لحياته وفكره، تعريب: سيد عليم أشرف الجائسي. (عليكره الهند، منشورات مركز الشاه ولي الله الدهلوي للبحوث العلمية، معهد العلوم الإسلامية جامعة عليكره الاسلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠١).

[4] علي معوض عادل عبد الموجود، تاريخ التشريع الإسلامي: دراسات في التشريع وتطوره ورجاله. (بيروت، دار الكتب العلمية، طبعة ٢٠٠٠). ٢/٢٢٥.

[5] ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، تعريب: سلمان الحسيني النَّدوي، (القاهرة، دار الصحوة، الطبعة الثانية: ١٤٠٧ه/١٩٨٦). ص ١٧.

[6] بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، كليات رسائل النور ٤، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. (إستنبول، دار سوزلر للنشر ١٩٩٣). ص ١٨٩.

[7] بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، كليات رسائل النور١، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر. (استنبول، دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة: ٢٠١١). ص ٢٦٥.

[8] المرجع نفسه، ص ٢٦٥.

[9] الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير. م س، ص ١٧.

[10] بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، كليات رسائل النور٢، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة: ٢٠٠١). ص ٣٠.

[11] النورسي، الكلمات، ص ١٤٨.

[12] المرجع نفسه، ص ١٥١.

[13] سعيد حسن مرتضى الحسيني الندوي، المكتبة القرآنية في الهند في القرن الثاني عشر الهجري. (بيروت، دار الكتب العلمية، سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية،٢٠١٧). ص ٢٥٥.

[14] المكتوبات، ص ٤٨٧.

[15] بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، كليات رسائل النور ٦، (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى: ١٩٩٥). ص١٥٧.

[16] عبد الوهاب بوخلخال، فلسفة الانسان في نوايا الحقيقة، مجلة حراء، (العدد ٢٩ استنبول: ٢٠١٢).

[17] النورسي، المكتوبات، ص ٥٤٩.

[18] المرجع نفسه، ص ٣٩٩-٤٠٠.

[19] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث ١٣٣٠.

[20] ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق: سيد سابق. (بيروت، دار الجيل لبنان الطبعة: الأولى: ٢٠٠٥م). ١/٥٨.

[21] المرجع نفسه، ١/١٦١.

[22] المرجع نفسه، ١/١٦٩.

[23] المرجع نفسه، ١/ ٢٠٤.

[24] النورسي، الشعاعات، م س. ص ٨٤.

[25] بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الاسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة :٢٠٠٢). ص ٥٠١.

[26] فريد الأنصاري، كتاب الفطرية بعثة التجديد المقبلة.(الرباط، منشورات دار السلام، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩).

[27] النورسي، المثنوي العربي النوري. ص ٤٣٠.

[28] النورسي، الكلمات، م س. ص ٤٢.

[29] اللمعات، كليات رسائل النور٣. (القاهرة، دار سوزلر للنشر، دت) ص٣٠٠.

[30] المرجع نفسه، ص ٢٥٧.

[31] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، كليات رسائل النور٥. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة :٢٠٠٢). ص ١٧٠.

[32] المرجع نفسه، ص ١٧٠.

[33] نفسه.

[34] مات الدهلوي سنة ١٧٦٢ ووُلد النورسي ١٨٧٧.

[35] بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، كليات رسائل النور ٩.إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي. (استنبول، دت). ص ٤١.

[36] نفسه.

[37] النورسي، المكتوبات، م س. ص ٢٧.

[38] بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، كليات رسائل النور٧. ترجمة إحسان الصالحي. (القاهرة، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة: ١٩٩٩). ص ١٣٣.

[39] المرجع نفسه، ص ٣٤٤.

[40] لمزيد من التفصيل عن موقف الدهلوي من التصوف، ينظر كتابه: التفهيمات الإلهية، (سلسلة مطبوعات المجلس العلمي دابهيل سورت الهند، طبعة: ١٣٥٥ه) ٢٠٥/١.

[41] المكتوبات، م س، ص ٥٧٦.

[42] المرجع نفسه، ص ٥٧٤.

[43] النورسي، الملاحق. م س، ص ٣٤٤.

[44] أبو حامد الغزالي، حقيقة القولين. تحقيق: مسلم الدوسري. مجلة الجمعية الفقهية السعودية. (الرياض، العدد الثالث، جمادى الأولى ١٤٢٩/٢٠٠٨). ص ٣١٢.

[45] خصصت فصلا مستقلا لدراسة مقاصد الشريعة عند الدهلوي في أطروحة الدكتوراه: تجديد الدرس الأصولي عند الإمام ولي الله الدهلوي. تحت إشراف: د، عبد الحميد عشاق، (الرباط، دار الحديث الحسنية ٢٠١٦).

[46] الدهلوي، حجة الله البالغة ٢١/١.

[47] النورسي، المثنوي العربي النوري، م س. ص٧٥.

[48] لمزيد من التفصيل في المقاصد القرآنية عند الأستاذ النورسي ينظر: جيدل عمار، حقيقة مقاصد رسائل النور: استمداداتها وامتداداتها. (القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م).

[49] أردوان مصطفى إسماعيل المزوري، مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران. داسة تحليلية تقويمية. مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، السنة الخامسة العدد ٩. (استنبول، يناير ٢٠١٤). ص ١٥٤.

[50] الكلمات، مرجع سابق، ص٢٩٣.

[51] المرجع نفسه، ص ٢٩٤.

[52] المرجع نفسه، **ص ٤٧٨**.

[53] الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، م س. ص ٢٩.

[54] أبو بكر بن العربي المعافري، قانون التأويل. دراسة وتحقيق: محمد السليماني. (جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية. بيروت، مؤسسة علوم القرآن. الطبعة الأولى ١٩٨٦). ص ٥٤١.

[55] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير.(تونس، الدار التونسية للنشر: ١٩٨٤) ١/٣٩.

[56] هذه المحاور فصلها محمد الغزالي في كتابه ''المحاور الخمسة للقرآن الكريم''؛ دار الشروق. مصر، د.ط.

[57] النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، م س، ص٢٤.

[58] النورسي، الكلمات م س، ص ٢٦٦. المكتوبات، م س، ص ٢٦٧-٢٦٨.

[59] النورسي، الكلمات، م س، ص: ٥٢٥.

[60] النورسي، المثنوي العربي النوري، م س. ص ٧٥.

[61] النورسي، الملاحق، م س، ص ١٨٣-١٨٤.

[62] ولي الله الدهلوي، اتحاف النبيه فيما يحتاج إليه المحدث والفقيه. تعريب: محمد عزير شمس. (لاهور، المكتبة السلفية. الطبعة الأولى: ٢٠٠٣). ص٢٥٦. ٢٥٧.

[63] عبد العزيز البطيوي، أساسيات منهج الفكر المقاصدي عند النورسي، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، السنة الخامسة العدد ٩ يناير ٢٠١٤ استنبول تركيا. ص ١٢٤.

[64] الدهلوي، حجة الله البالغة ١/ ٣٩٥.

[65] أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٩٩٠). ص ٢٦.

[66] النورسي، صيقل الإسلام، م س. ص ٤٧.

[67] النورسي، الكلمات، ص781.

[68] النورسي، الكلمات. ص٢٩١.

[69] النورسي، الكلمات،م س. ص٢٣١.

[70] المرجع نفسه، ص ٨٦٢.

[71] المرجع نفسه، ص ٦٠.

[72] المرجع نفسه، ص ٥٦٩.

[73] عبد العزيز البطيوي، أساسيات منهج الفكر المقاصدي عند النورسي، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، السنة الخامسة العدد ٩ يناير ٢٠١٤ استنبول تركيا. ص ١٢٣-١٢٤.

أهمية الإيمان في الحياة الاجتماعية

أ.د. عمار جيدل[1]

الملخص

يُنْتَظرُ من علماء الاجتماع والسياسة والأخلاق من المعنيين بشؤون الإنسان وأخلاقه واجتماعه العناية بما يداوون به جروح الإنسان العميقة الفردية والجماعية، يضمّدون جراحه الغائرة العميقة، ويأتون بما سيملأ هذا الفراغ الرهيب في حياة عموم البشر، تنطلق هذه الدراسة من أطروحة مفادها: إنّ في الإيمان صيدلية كبيرة متنوّعة بحسب حاجات الناس عبر مختلف حقب التاريخ، وفيها إجابات شافية وكافية لحلّ مشكلات الإنسان، وقد قدّمت رسائل النور أنموذجا حيّا فيما استفادته من قبسات نورانية من الإيمان كما عبّر عنه القرآن، وفي هذا المقام يتبادر إلى ذهن المهتم السؤال الآتي: الإيمان لم يغب في حياة الأفراد والأمّة، فلما تأخّر تأثيره، وغاب حضوره، وإن كانت له هذه القيمة وهذا التأثير فلما نراه بيننا من غير أن يكون له هذا الأثر المنتظر على الحياة الاجتماعية؟

اخترت للمرافعة عن هذه الأطروحة التي عليها مدار الدراسة، وضع الخطّة الآتية:

أولا: الإيمان في رسائل النور.

ثانيا: الإيمان إنقاذ للإنسان.

ثالثا: الإيمان مصدر الإنسانية الحقّة.

رابعا: مسالك تأسيس الإيمان.

خامسا: ثمرات الإيمان.

سادسا: مبررات الاهتمام بتجديد خطاب الإيمان.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، رسائل النور، مشكلات الإنسان، تجديد الخطاب.

Abstract

The Significance of Faith (Iman) in Social Life

Prof. Dr. Amar Djidel

Scholars in the fields of social science, politics, ethics and anthropology are expected to heel wounds and make human life a better one. The message this paper conveys is: faith is a big pharmacy that has a huge variety of treatments according to the variety of human needs throughout the ages. It provides solutions to man's problems. The Epistles of Light presents a sample of how faith, as the Noble Quran presents it, can cure. The following question in this respect comes up: if faith does exist, why its impact is decreasing and why it's great value is not seen clearly among us? This research papers is divided into six sections:

1- Faith in"The Epistles of Light".
2- Faith is the salvation of humanity.
3- Faith is true humanity.
4- The road to establishing faith.
5- The fruits of faith.
6- The purposes of the importance of renewing the faith discourse.

Keywords: faith, Epistles of Light, human problems, renewing discourse

* * *

أولا: الإيمان في رسائل النور

ليس من غرضنا التوقّف عند التعريفات الاصطلاحية، وضبطها، فمهمّتنا في هذا المقام رصد التعريفات الوظيفية ذات البعد العملي في رسائل النور، فليس القصد تحقيق القول في التعريفات والموازنة بينها، بل الغرض أن نهتم بالمهمّة الوجودية للإيمان نفسه، وستلاحظ أنّ النظر إلى الإيمان في رسائل النور عرض مميّز، يجتهد في سبر أغواره والتركيز على أبعاده الوجودية، فهو في رسائل النور، انتساب إلى الله، وأخوة كونية، وخدمة، ودعوة إلى الله، وهو مسلك الحياة الكاملة التي تُعَدُّ طريقا معبّدا لاستجلاب السعادتين. ويمكن تلخيص فكرة هذا المبحث في الجدول الآتي:

أولا: الإيمان في رسائل النور.				
١	٢	٣	٤	٥
الإيمان نسب	الإيمان أخوة كونية	الإيمان خدمة	الإيمان ضامن الحدّ الأدنى من الدين	الإيمان سعادة الإنسان

١- الإيمان نسب:

يعدُّ الإيمان في رسائل النور بمثابة نسبةٍ، يَنسِبُ الإنسانَ إلى مالكه، وهو ما يجعل الإيمان عاملا أساسيا في التأكيد على قيمة الإنسان لكي يكون أهلا للثواب الدائم، ومن مقتضيات صحة النسب الإيماني الامتثال، والذي يتجلى في إصلاح التصوّرات والتصرّفات وفق مقتضى الأمر والنهي الإلهيين، ومن ثمّ كان الكفر قطعا لهذه النسبة، وعزوف عن الامتثال، وفساد للتصوّرات والتصورات على حدّ سواء...

قال الأستاذ: ''وجهةُ النسبة إنّما تنظر إلى الصَّنعة، فيكون مدارُ النظر حينئذ إلى المصنوعية والصنعة. فبالإيمان تزيد قيمة الإنسان إلى أن تَصيرَ الجنةُ ثمنَه''، وحيث يتهيّأ تمام التأهيل، ''تكون الخلافةُ رتبتَه، ويطيق على حمل الأمانة... وأمّا الكفر فهو قاطع النسبة، وقاطعُ الوصلة... فإذا انقطعت النسبةُ استتر الصنعُ، وانتكست الصنعةُ واختفى التجلي، وظهرت المادّةُ، وانقلبت المرآةُ، وسقطت القيمة إلى دركة يتمنَّى الكفارُ العدمَ، أو ينقلب ترابا.''[2]

ولهذا الانتساب الإيماني دور مهمٌّ في اكتساب عناصر القوة المعنوية والحفاظ عليها، لأنّ المؤمن يستند بهوية الانتساب الإيماني إلى سلطان عظيم ذي قدرة مطلقة، وما دام قد ظفرَ بنقطة استناد مثل هذه بهويّة الانتساب الإيماني، يمكنه إذن الاستنادُ والاعتماد على قوة عظيمة وقدرة مطلقة. ومن كان هذا شأنه أحسّ بقوة معنوية هائلة، فيشعر المتحلي بها بامتلاك الاقتدار الإيماني ما يمكّنه من تحدّى جميع الأعداء في العالم وليس الماثلين أمامه فقط، لذا يردّد بثقة ومن أعماق روحه ''حسبنا الله ونعم الوكيل''.[3]

٢- الإيمان أخوة كونية:

الإيمان في رسائل النور أساس الانخراط في الأخوة الكونية بين المؤمن وسائر المخلوقات التي تشاركه في المخلوقية، وهي (المخلوقية) نفسها عنوان الحاجة والافتقار إلى الله في وجودها وبقائها ومصيرها، إذ الله هو موجدها وممدّها بعناصر البقاء فضلا عن كونه مالك مصيرها، فيخرجك هذا الإيمان من صحراء الفصل إلى واحة الوصل، تسرّحك هذه الأخوّة الكونية من عداوة المكونات إلى جنة لقائها وخدمتها، فتمنعك هذه الأخوة من معاداة ما حولك ومن حولك إلاّ بحقّها.

تؤكّد رسائل النور هذه المعاني في كثير من النصوص، منها قول الأستاذ: ''الإيمان يؤسس الأخوّة بين كل شيء، لا يشتد الحرصُ والعداوةُ والحقد والوحشة في روح المؤمن، إذ بالدقة يَرى أعدى عدوِّه نوعَ أخ له...''، وهو ما به يمتاز عن الكفر الذي ''يؤسس أجنبيةٌ وافتراقا –لا اتصال فيها– بين كل الأشياء، يشتد في الكافر الحرصُ والعداوةُ والتزام النفس والاعتمادُ عليها. ومن هذا السر صاروا غالبين في الحياة الدنيا. ولأن الكافر يرى في الدنيا مكافأة حسناتِه في الجملة، والمؤمن يرى جزاءَ بعضِ سيّئاته في الدنيا''.[4]

الأخوة في هذا السياق ليست معرفة نظرية إنّها مبدأ يفسّر العلاقة بين المكوّنات، ويضع بينها صلات قربى ومنفعة وتسخير، ويستأصل علاقات عداوة المكونات، وبالتالي فإنّ الأخوة مبدأ ميسّر لضبط العلاقة بالكائنات، فليست هذه الكائنات آلهة أو أشباه آلهة أو أعداء، إنّهم إخوة في المخلوقية، تربطها علاقات التسخير والارتفاق.

الإيمان في رسائل النور إذن أخوّة مع الكائنات ونسب إلى المالك الواحد الأحد، وهو بهذا حركة تنموية إيجابية، وليس معرفة جافة، حركة تعمل على الانخراط التام

في الخدمة الإيمانية التي تتجلى في موقف المؤمن المترجم في شعاب الحياة، وبهذا فعّل هذا الاستعمال الإيمان المعرفي ليتحوّل إلى موقع حركي، يستوعب كلّ ميادين الفعل الإنساني في جملة متعلّقاتها الإنسانية والكونية.

٣- الإيمان خدمة:

تبعث الأخوة –المشار إليها أعلاه– في المؤمن تفعيل خدمة كلّ ما ومن حوله من المخلوقات، مراعيا في علاقته بها الأخوة، فلا يسوغ الإضرار بها وإعدامها وإفسادها، ولا يتصرّف فيها المؤمن تصرّف المالك، إذ المخلوق مِلْك لخالقه، وما يرفل فيه من نِعَمٍ مَوْقُوف عليه الانتفاع بها لا التصرف فيها تصرّف المالك، ولو تصرّف فيها وفق هذه قاعدة المستخلف لكان مراعيا للأخوة بأجلى صورها، وبقدر مراعاة هذه الأخوة العامة يكون البذل في خدمة الخلق مرضاة للحق، والعكس صحيح، إذ العداوة تفرض تضييع الخدمة بما ينفع نوع الإنسان، فالخدمة ليست اصطفافية ولا طائفية، بل هي إنسانية الأفق وإنسانية المصب والكونية الثمرة، تسوعب جميع الخلائق.

٤- الإيمان ضمان للحدّ الأدنى من الدين:

نظرا لما للإيمان من دور في الحفاظ على الحدّ الأدنى من الدين، فإنّ الأستاذ اختار مهمّته الرئيسة بعناية، فلخّصها في تثبيت الإيمان وإثباته بأساليب جديدة تتوافق وعقلية المتلقي المعاصر، لهذا ذكر الأستاذ في رسالته لشيخ الإسلام مصطفى صبري، عندما استعجله في مواجهة أعداء الدين، فقال: الإيمان أولا، ''إنّ دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وإن زماننا هو زمان خدمة الإيمان، ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان''،[5] وهو اجتهاد في الحفاظ على رأس مال الدعوة الدينية، إذ لا يتصوّر حال اجتثاث الإيمان بعث أخلاقي ولا تأسيس مؤسسات تخدم الأمة والمجتمع، لهذا كان التركيز على أفيمان في رسائل النور ضمان للحدّ الأدنى المضمون من الدين الواجب الحفاظ عليه، هو عناية دقيقة ومضبوطة بفسيلة الإيمان حيّة في الضمائر، تؤيّدها بحجج العقول، وتعمل على انطباعها في القلوب، إذ هي أحسن ضمان للحفاظ على أصل البعث الديني الراشد المنتظر، إنّ الإيمان في رسائل النور أصل ينبثق عنه جميع الأبعاد الفردية والجماعية والمجتمعية.

٥- الإيمان هو الحياة السعيدة:

يمنح الإيمان معنى لحياة الإنسان ويرسّخ في نفس المؤمن الحضور الإيجابي في تفاصيل الحياة، وهذا يخرجه من عزلة حصر الهمّ في المنفعة الشخصية (الأنانية)، وطيّ الإهمال والغيبة المنتهية بغيبوبة معنوية قاتلة، يجتث الإيمان الغيبوبة ويدفع أثارها السلبية لأنّ الإيمان هو ''إكسير يقْلِبُ فحمَ المادة الفانية ألماسا مصنّعا مرصّعا باقيا بمعناه بنسبته إلى الصانع... والإنسان بالكفر يعكس وينتكس، إذ كما أنّه يوجد في مصنوعات البشر ما تكون قيمةُ مادته خمسة دراهم، وقيمةُ صنعته ألوف الدنانير، وتتزايد القيمة بكون صانعه شخصا مشهورا خارقا عتيقا.''[6]

ثانيا: الإيمان إنقاذ الإنسان:

١- الإيمان إنقاذ عقل الإنسان وقلبه:

الإيمان الحقّ ينقذ عقل الإنسان وقلبه وسائر استعداداته ومكوّناته وجملة أبعاده الفردية والجماعية، فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) تطهّر قلبَ الإنسان من ظلام الوحشة والأوهام، وتُنْجي روحَه من آلام الحزن والكمد، يضمن الإيمان للمؤمن فرحًا أبديًا، وسرورا دائما،[7] ومن اختار اللجوء إليه فقد اختار ملجأ أمينا، ينقذه من مهالك ودوامات الارتباط بالأغيار، وتعني هذه الكلمة على وجازتها: ''إنّ الله واحد أحد، فلا تتعب نفسك، أيّها الإنسان، بمراجعة الأغيار. ولا تتذلّل لهم، فترزح تحت منّتهم وأذاهم... ولا تَحْنِ رأسَك أمامهم وتتملّق لهم... ولا تُرهق نفسَك فتلهث وراءهم... ولا تَخَف منهم وترتعد إزاءهم... لأنّ سلطان الكون واحد، وعنده مفاتيح كلِّ شيء، بيده مقود كلِّ شيء، تنحلُّ عُقَد كلِّ شيء بأمره، وتنفرج كل شدّة بإذنه... فإن وجدتَه فقد ملكتَ كل شيء، وفُزْتَ بما تطلبه، ونجوتَ من أثقال المنّ والأذى ومن أسر الخوق والوهم.''[8] فالإيمان يُنْقِذ إنسانية الإنسان، ويخرجه من دائرة العبثية ويجعل لحياته مقصدا ساميا.

٢- الإيمان امتزاج العقل والقلب:

إذا تحقق القلب بمعاني الإيمان سينتهي إلى القول بلسان القلب الممتزج بالعقل ''لا شريك له''، وتحمل هذه الكلمة في طياتها أملاً باسمًا وبشارة بهيجة، مفادها: إنّ الإنسان الذي استنارت روحُه بنور الإيمان، لَيستطيع عرض حاجاته كلها بلا حاجز

ولا مانع بين يدي ذلك الجميل ذي الجلال، ذلك القدير ذي الكمال، ويطلب ما يحقق رغباته، أينما كان هذا الإنسان وحيثما حلّ. فيفرش حاجاتِه ومطالبِه كلها أمام ذلك الرحيم الذي يملك خزائن الرحمة الواسعة، مستندًا إلى قوته المطلقة، فيمتلئ عندئذ فرحًا كاملاً وسرورًا غامرًا. ''ثم ينتهي به الأمر إلى تمام التسليم له لأنّه صاحب الملك الذي لا يسأل عمّا يفعل، وهو الحكيم الرحيم، ''يتصرف في مُلكه كيف يشاء وفق حكمته ورحمته. وإذا أخذك الروعُ والدهشة، فأطل من النوافذ ولا تقتحمها، وقل كما قال الشاعر إبراهيم حقي:

لنرَ المولى ماذا يفعلُ فما يفعل هو الأجمل.'' [9]

٣- الإيمان إنقاذ للإنسان في كلّ أبعاده الفردية والجماعية.

يتبادر في السياق الآنف الذكر السؤال الآتي: هل الإيمان يرتقي بالإنسان ليكون إنسانيا، أم أنّ الإنسانية لا صلة لها بهذه المعاني، وتبقى دائما خاضعة لتدفقات المعرفة التي يسوّقها الغالب الوقتي (الغرب) معرفيا واقتصاديا وعلميا؟

يستشرف المسلم الصادق في علاقته بمولاه أفق الإنسان الأكمل، سيّدنا رسول الله ﷺ، رئيس المؤمنين ورأسهم،[10] وهو الأنموذج الأكمل في المزاولة العملية للإيمان الذي هو ''سرٌّ عظيم وأمرٌ جسيم له شأن كبير، ومن ثمرات هذا السرّ ''تساند المؤمنين في عباداتهم ودعواتهم في جماعاتهم''، إذ يصير بالإيمان كلُّ فرد كالحجر المجصوص، في البناء المرصوص، يستفيد من إخوانه في الإيمان، بألوفِ ألفِ ألفِ ما يستفيد من عملِ نفسه.[11]

الإيمان ينظم المؤمنين ويُصَيِّر الكلُّ للكلِّ، ويكون الفرد بالإيمان للكلِّ شفيعًا وداعيا ومسترحما وراجيا ومادحا ومُزكِّيا. والمؤمن الذي هذا حاله، يتلذذ بخدمة كلُّ فرد، فتكون سعادته عين سعادة إخوانه. [12]

وغير المؤمنين لا يعامل المسالم منهم معاملة العدو، بل ينظر إليه على أنّه مشروع مؤمن (أي مؤمن في طور الكمون، لأنّ الله خلقه على الفطرة التوحيدية)، يتعيّن على المؤمنين إسعافه لاستعادة الفطرة الإيمانية.

إنّ اختيار السير في طريق الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل (وأنموذجه الأكمل سيدنا رسول الله ﷺ)، يفرض التوجّه القلبي إلى الله طوال رحلة السير، سَيْرٌ يستشرف به

صاحبه بلوغ مرتبة المؤمن الحق والمسلم الصادق، الذي تحقّق بالإسلام والإيمان قلبا وقالبا، فيكون الإنسان عبدًا خالصًا لرب العالمين، وموضعَ خطابه الجليل، وممثلاً عن الكائنات من جهة، ووليًا لله وخليلاً له، حتى كأنّه مرآة لتجلياته سبحانه.[13]

والإنسان الذي يتحمّل أعباء هذه المهمّة (التحوُّل العملي إلى مرآة تجليات)، هو مشروع الإنسان الكامل، إنسان الفطرة الإنسانية، وهو المتشوّف إلى خدمة الإنسانية باستعادتها لرحاب الإيمان.

قال الأستاذ النورسي: ''اعلم يقينا أنّ أسمى غايةٍ للخلق، وأعظمَ نتيجةٍ للفطرة الإنسانية...هو 'الإيمان بالله'... واعلم أنّ أعلى مرتبة الإنسانية، وأفضل مقام البشرية... هو 'معرفة الله' التي في ذلك الإيمان... واعلم أنّ أزهى سعادةٍ للإنس والجن، وأحلى نعمة... هو 'محبّة الله' النابعة من تلك المعرفة... واعلم أنّ أصفى سرور لروح الإنسان، وأنقى بهجةٍ لقلبه..هو 'اللذةُ الروحية' المترشّحة من تلك المحبّة.''[14]

إنّ الإيمان الحق هو المعرّف بدروب استجلاب كلّ أنواع السعادة الحقّة للإنسانية، ومردُّ كل ذلك معرفة الله، لهذا فإنّ السعادة الحقّة مصدرها وأساسها ''معرفة الله''. فلا سعادةَ، ولا مسرّة، ولا نعمة حقًّا بدونها.[15]

تُعَدُّ العناية بالإنسانية المستفادة من تلمّس الاقتداء بالأنموذج الأكمل، وفي ذلك أبلغ بيان واضح على أنّ مشروع الإيمان كما عاشه رسول الله ﷺ، هو مشروع استعادة الإنسان إنسانيته، وإذا كانت الإنسانية الحقّة لا تتحقّق إلا بمعرفة حقّة لله، معرفة مستفادة من الإيمان بالله، فإن الإنسان الإنساني هو الذي عَرِف مولاه حق المعرفة، فآمن وتحرّك في شعاب الحياة وفق متطلبات الإيمان التي من مقتضياتها اقتفاء آثار رسول الله ﷺ، فيكون الإنسان الإنساني هو الذي تحقّق بأن الكمال واستشرافه يفرض التأسي بالكمال الإنساني كما تجلى في الرسول الأكمل (عليه الصلاة والسلام) ''ولكم في رسول الله أسوة حسنة''، وهو بذلك يجتهد في أن يكون مرآة لتجليات أسماء الله الحسنى ذات الصلة باستعداداته وإمكانياته، وهو ما يرشّحه لمعاملة كل الناس برفق ورحمة وشفقة وتلطّف ومحبّة، منْ ثمّ فأن الغافل عن ''الإيمان'' ضحية ضيّعت فطرتها التوحيدية، فضاعت منها إنسانيتها، وهوَ ما يفرض إسعافه لاستعادة ما ضيّعه من فطرته (التوحيد فطري)، فيكون بمعرفة الله العملية إنسانا يستشرف أنموذج الإنسان الكامل ﷺ.

ثانيا: الإيمان إنقاذ الإنسان		
١	٢	٣
الإيمان إنقاذ عقل الإنسان وقلبه.	الإيمان امتزاج العقل والقلب	الإيمان إنقاذ للإنسان بكل أبعاده

ثالثا: الإيمان مصدر الإنسانية الحقّة:

١- الإيمان مؤنس:

الإيمان الحقّ مونس للإنسان بالله، فالله يؤنس الإنسان إذا ما لجأ إليه من باب الإيمان التحقيقي، والإنسان حين يأنس بالله سيونس نفسه بهذا الأنس، وتتعدى الأناسة لتشمل جملة المخلوقات فيعيش معها في أخوّة تامة، لهذا ما فتئ الأستاذ ينبّه باستمرار على العنصر الإنساني في الإيمان، إذ عدّ الإيمان أعلى مرتبة الإنسانية، بمعنى أنّك إنساني بقدر ما تحقّق قلبك بالإيمان، والعكس صحيح، أي تكسب من الوحشية بقدر ما فقدت من الإيمان.

قال الأستاذ: ''اعلم يقينا أنّ أسمى غاية للخلق، وأعظمَ نتيجةٍ للفطرة الإنسانية...هو 'الإيمان بالله'،''[16] أي أنّ الفطرة الإنسانية الثاوية في جُوَانِ الإنسان ووجدانه هي نتيجة لهذا الإيمان، وأكّد هذا المعنى بقوله أنّ ''أعلى مرتبة الإنسانية، وأفضل مقام للبشرية ...هو 'معرفة الله' التي في ذلك الإيمان. وهي حال تحقّق القلب بها تنبع منها أحلى نعمة 'محبة الله' التي هي أزهى سعادة للإنس والجن، وتترشّح عن هذه المحبّة 'اللذّة الروحية' التي هي أصفى سرور لروح الإنسان، وأنقى بهجةٍ لقلب المؤمن. بل إنّ جميع أنواع السعادة الحقّة، والسرور الخالص، والنعمةَ التي ما بَعْدها نعمةٌ، واللذّة التي لا تفوقها لذّةٌ، إنّما هي 'معرفة الله' ...في 'محبّة الله'. فلا سعادةَ، ولا مسرَّةَ، ولا نعمة حقًا بدونها''.[17]

٢- الإيمان طريق الإنسانية الحقّة:

بناءً على ما سلف فإنّنا لو قلنا الإيمان الحق هو طريق الإنسانية المنشودة، ولا طريق إليها في غيره، لما جانبنا الصواب، ومن أراد أن يعيش الإنسانية الكاملة فعليه بالإيمان بالله، إيمان مثمر لمعرفته ومحبّته، تجلى هذا الإيمان في سيرة الإنسان الكامل سيّدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم).

إذا عرف الإنسان الله حق المعرفة، وملأ قلبه من نور محبّته، سيكونُ أهلاً لسعادة لا تنتهي، ولنعمةٍ لا تنضب، ولأنوارٍ وأسرار لا تنفد، وسينالها إمّا فعلاً أو واقعًا أو استعدادًا وقابلية. بينما الذي لا يعرف خالقه حقَّ المعرفة، ولا يكنْ له ما يليق من حُبٍ ووُدٍ، يصاب بشقاء مادي ومعنوي دائمَين، ويظل يعاني من الآلام والأوهام ما لا يُحْصَر...[18] الإنسانية الحقّة لا تكون بغير سلوك الإنسان الكامل حقا وصدقا، ولا يتأتى تحقيق ذلك بغير الإيمان بالله الذي من متطلبات الإيمان به الإيمان بالأنموذج الأكمل ﷺ، فيكون الإيمان طريقا موصلا للإنسانية الحقّة.

٣- الإيمان الإنساني مُسْعِد:

والإيمان الإنساني هو الإيمان الذي يملك من المضامين ما يؤسس لاستجلاب السعادة المادية والمعنوية لجملة الأسرة الإنسانية، بل يتعدّاها ليشمل سائر المخلوقات، لأنّ الإيمان الحق، مراعاة الأمر والنهي الشرعيين في التعامل مع كلّ الخلق، ولا يحقق هذا القصد إلاّ إذا تأسس على الحجة والدليل بما يشبع نهم العقل، ويحقق طمأنينة القلب، وهو بهذا يلبي الحاجات الفطرية للإنسان، ولا يتجاوزها بأي شكل من الأشكال. فلا يقبل الإيمان التأسيس على الخرافة والأساطير، أو إهمال أيَّ بُعْدٍ من أبعاد الإنسان الشخصية أو الفردية أو الجماعية، من هنا فإنّ جالب للسعادة ودافع للشقاوة.

قال الأستاذ: ''الإسلام العظيم... هو القصر الجامع لكمالات الإنسانية كلّها وهو المربّي المزكّي لأحاسيس البشرية النبيلة ومشاعرها الراقية كلّها''.[19]

ثالثا: الإيمان مصدر الإنسانية الحقّة.		
١	٢	٣
الإيمان مؤنس	الإيمان طريق الإنسانية الحقّة	الإيمان الإنساني مُسْعِد

رابعا: مسالك تأسيس الإيمان:

ذكرنا أعلاه أنّ الإيمان ينقذ العقل والقلب وجملة الاستعدادات في بعديها الفردي والجماعي من التشتت والضيق وجهنّم المعنوية ثم المادية، وهو الإيمان المعتبر عند الله والذي من متطلّباته العمل على استجلاب أبعاده الوظيفية المترجمة في شعاب الحياة، إذ لا عبرة بإيمان لا يمرّ اعتماد أصله عبر مصافي العقل، إذ من فقد توقيع

العقل وتصديقه (موافقته) لن يكون إيمانا آمنا، وبالتالي مستعبد أن يؤسس للأمن النفسي والاجتماعي، من هنا كانت عنايتنا بالإيمان الآمن، وهذا له تجليات متنوّعة:

١- الإيمان الآمن على العقل:

يملك الإيمان المُعْتَبَرُ عند الله استعدادا عجيبا لتأسيس الأمن التام داخليا وخارجيا، وذلك لأنّه لا يكون كذلك إلاّ إذا أقام بنيانه على الدليل والحجة الناهضة، فلا يمكن للخرافات والأساطير أن تكون أساسا للإيمان ولا للأمن والأمان، فضلا عن أن تكون واسطة في الإقناع، لهذا فإنّه لا إيمان بغير دليل مقنع.[20]

وهذا الإيمان أمان لأنّه يقرّب المعاني إلى الأذهان من ناحية، ويظهر مدى معقولية ما جاء به من المعارف والمضامين المتعلّقة بالطاعة، ومدى تناسبها ورصانتها من ناحية أخرى، فأدلته ليست حكايات خيالية وإنّما هي حقائق صادقة.[21] ومضامينه لها تعلّق مباشر بصميم رفعة الإنسان الدنيوية والأخروية، ولها علاقة وثيقة باستجلاب السعادتين العاجلة والآجلة.

٢- الإيمان الجامع (غير المجَزَّأ):

الإيمان المبرئ للذمة الباعث على الحركة الإيجابية يتبنى ''خطى العقل وأدلته ونظراته''، ولكنّه لا يكتفي به، لأنّه لو حصر تحصيل المعارف عليه، أمكن أن تتحوّل المعارف المستفادة به إلى معارف مجرّدة جافّة، لا تخامر قلبا ولا تعدّل سلوكا، فيطلب في الإيمان الفعّال أن يجمع إلى العقل إشباع حاجات القلب، فتتحرك المعارف بخطى اتّحاد العقل والقلب معا وامتزاجهما، مع تعاون الروح واللطائف الأخرى، وبهذا تكسب استعداد بلوغ أوج العلا وتهيّئ المؤمن للترقي في الإنسانية رتبا لا يصل إليها نظرُ الفلسفة المهاجمة.[22] هذا الإيمان التحقيقي، لا يتوقف عند حدود العقل فحسب، بل يسري إلى القلب وإلى الروح وإلى السر وإلى لطائف أخرى، فيترسّخ فيها رسوخا قويا بحيث لا تصل يد الشيطان إليها أبدا،[23] بإذن الله.

٣- إيمان متجدد:

يؤسس المسلك الجامع في التعامل مع الإيمان لتجاوز الإيمان المستفاد من علم الكلام، والذي يبنى على الحجج العقلية الصرف، والمماحكات العقلية النظرية التفصيلية (وفق صيغته الأخيرة المتداولة)، يفوق المسلك المختار في التأسيس للإيمان

الطريق الكلامي، لأنّه يروم المسلك الذي اختاره النورسي التأسيس للإيمان التحقيقي، وهو أمارة ظاهرة للترقي من علم اليقين إلى حق اليقين، وهو إيمان يستعصي على السلب، فلا يُسْلَب لاستقراره في النفس، وانطباعه في الضمير.

٤- رُتَبُ الإيمان:

تحصيل الحقائق الإيمانية رُتب، تنال بمسالك متعدّدة متنوّعة بحسب أهلية المتلقين، فمنها ''بلوغ الحقيقة بالولاية الكاملة بالكشف والشهود، وهذا الطريق إيمان شهودي يخصّ أخصّ الخواص، وهذا ليس طريقا عموميا، وطريق آخر قائم على تصديق الحقائق الإيمانية بعلم اليقين البالغ درجة البداهة والضرورة، وبقوة تبلغ درجة حق اليقين، وذلك بفيض سر من أسرار الوحي الإلهي من جهة الإيمان بالغيب وبطراز برهاني وقرآني يمتزج فيه العقل والقلب معا.[24] وتنوّع الرُتب لا يلغي العناية بالحد الأدنى الذي عليه مدار التدين العام، وفي هذا السياق يذكر الأستاذ في مقام التأكيد على أنّ الحدّ الأدنى من الحقائق الإيمانية واضح وضوحا بما يوافق البداهة والضرورة، ذلك ''أنّ الله سبحانه وتعالى، وهو الشاهد الأزلي، بجميع كتبه وصحفه، وأهل الشهود بجميع تحقيقاتهم وكشفياتهم، وعالَمَ الشهادة بجميع شؤونه الحكيمة وأحواله المنتظمة، يتفقون بالإجماع على المرتبة التوحيدية. فمن لا يقبل بذلك الواجد الأحد جلّ وعلا إلهًا ومعبودًا، عليه أن يقبل ما لانهاية له من الآلهة، أو أن ينكر الكائنات قاطبة، كالسوفسطائي الأحمق''.[25]

وبناء على ما سلف عدّ الأستاذ الحقائق الإيمانية من جهة شدّة وضوحها كرامة، لأنّ مسالك إثباتها من اليُسْر والسهولة والوضوح ما يُيَسِّر تبليغها كل بني آدم، فَتَبَنَّى في عرضها وبيان حججها ضرب الأمثال والأدلة الثابتة، فكان تأثيرها على الإنسان بدرجة الكرامات.[26]

٥- الإيمان يؤسس لنظر انتظام الكائنات:

إنّ النظام والميزان والتنظيم وتوازن موجودات هذا الكون كلّه يدل دلالة واضحة على رأس مرتكزات الإيمان، ويخدم النظر العلمي الدقيق للكائنات، ويخرج من دوائر التفسير العبثي أو الفوضوي لها، فهو طريق معبّد لخدمة العلم بتعرّفه على سنن الله المبثوثة في الخليقة، وانتظامها الدقيق دليل ناطق '' على أنّ الله واحدٍ أحدٍ فرد قدير مريد عليم حكيم، ويري مرتبةَ وحدانية عظمى لكل من كان مالكًا لشعور وبصر. نعم

إنّ في كلّ شيءٍ توجد وحدة، والوحدةُ تدل على الواحد. فالشمس التي هي سراج الدنيا واحدةٌ، بمعنى أنّ مالك الدنيا واحدٌ. والهواء والنار والماء مثلا –وهي الخَدَمة لأحياء الأرض- واحدة، بمعنى أن من يستخدم هذه الأشياء ويسخّرها لنا واحد أيضا''،[27] وتحقق القلب بعد قناعة العقل بأنّها في وجودها وبقائها وفي انتظامها راجعة إلى واحد أحد ضبط سيرها بسنن لها فيها، يحيلنا على أنّ استمداد خيرها ودرء آثارها السلبيات لا يكون بغير التعرّف العلمي الدقيق لقوانين الله فيها والتصرّف بمقتضايها، فالإيمان باعث قوي من منطلق انتظامها على معرفتها والتعامل عليها وإنتاج المعرفة المتعلّقة بها، فضلا عن كونه يدعو إلى الترتيب المنهجي للمعارف واستجلاب وسائل تحقيق القول المعرفي في شأنها، وفق ما يحقق المقاصد المشار إليها، فالإيمان مفتاح، والبذل في العمل هو الطريق لنيل المقصود، فطاعة الله كما تكون بمعرفة الإيمان التحقيقي تكون بالحركة بمقتضاها للتعرّف على العالم والانتفاع به.

رابعا: مسالك تأسيس الإيمان				
١	٢	٣	٤	٥
الإيمان الآمن على العقل	الإيمان الجامع (غير المجَزَّأ).	إيمان متجدد	الإيمان له رُتَبُ	الإيمان يؤسس لنظر انتظام الكائنات

خامسا: ثمرات الإيمان

١- حلّ لغز الكون وتحقيق حاجات الإنسان الروحية:

الإيمان بالله وباليوم الآخر يحلان لغز الكون، ويفتحان باب السعادة، لأنّهما يمثلان (الإيمان بالله وباليوم الآخر) أهمّ مفتاحين يحلاّن لروح البشر طلسم الكون ولُغزه، ويفتحان أمامها باب السعادة والهناء.[28] فالإيمان بجملة مكوناته أوضح تفسير للحياة.

الإيمان له دور رائد في تلبية حاجات الروح الإنسانية وتنميتها، ولولاه لتحوّلت الدنيا إلى سجن رهيب، لهذا فإنّ الشخص الملحد هو أشقى المخلوقات، وأنّ الذي يحلّ طلسَمَ العالم ولغزَه المحيّر وينقذ البشرية من الظلمات إن هو إلاّ ''الله''، أي أنّ ''لا إله إلاّ الله''[29] كلمة على وجازتها مفتاح لغز الكون ومفتاح دخول الجنة، لأنّ خلقَ

شيءٍ من كل شيء وخلقَ كلَّ شيء من شيء، إنّما هو خاصية تعود إلى خالق كلّ شيء، وعلامة مخصوصة للقادر على كلّ شيء. [30]

٢- الإيمان والأمان الدنيوي:

الإيمان رسالة شاملة تامة تستوعب حاجات الإنسانية الروحية، وتحقق مصالحه الدنيوية وتدرأ عنه المفاسد الواقعة أو المتوقّعة، وتشمل كل أحوال الإنسان ومختلف طبقاته العُمْرية، وطبقاته الاجتماعية، فهي كما تلبي حاجات الفقير تلبي حاجات الغني، وحاجات الصغير والكبير على حدّ سواء، وقد بيّن الأستاذ أنّ الإيمان طريق لجعل الطفل والشاب والشيخ والصحيح والمريض، والأفراد والأسر، منخرطة في تحمّل أعباء الحياة الدنيوية بدافع من الارتباط بالحياة الأخروية المنبثقة عن الإيمان التحقيقي، الباعث على خدمة الخلق مرضاة للحق، قلبا وقالبا، وهذا له تجليات كثيرة.

٣- تحمّل الأطفال أعباء الدنيا بالإيمان:

يُعْلَم أنّ الأطفال –الذين يمثلون قسما معتبرا من عدد أفراد الأسرة الإنسانية– لا يمكنهم تحمّل الحالات التي تبدو مؤلمةً ومفجعة أمامَهم من حالات الموت والوفاة إلاّ بما يجدونه في أنفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من ''الإيمان بالجنة''، هذا الإيمان هو الذي يفتح –بإذن الله– باب الأمل المشرق أمام طباعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب. فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور. فيحاور الطفلُ المؤمنُ بالجنة نفسَه: ''أنّ أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، أصبح الآن طيرا من طيور الجنّة، فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش أفضل وأهنأ منّا''. وإلاّ فلولا هذا الإيمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالا أمثاله –وكذلك الكبار– تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوّة، ولحطَّم نفسياتهم، ولدمّر حياتهم ونغَصها فتبكي عندئذ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وقعل مع بكاء عيونهم. فإما أن تموت أحاسيسهم وتغلُظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة.[31] ولا يتجاوز أثرها إلاّ بأخلقة تصرفات الطفل في مقتبل العمر، فيكون إيمانه المنطبع في النفس باعثا على خدمة الخلق مرضاة للحق، فيبدأ التدريب مبكرا على بذل المعروف للخلق.

٤- تحمّل الشيوخ أعباء الدنيا بالإيمان:

عدد الشيوخ (كبار السنّ) في البشرية ليس قليلا، والمتقدّم في السن الذي بلغ من العمر عتيا بحاجة إلى قوة معنوية تُسْعِفه على تَحَمُّلُ أعباء المرحلة الأخيرة من العمر، ورأس ما به يتحمّل ويصبر وهو على شفير القبر بـ ''الإيمان بالآخرة'' ولا يجد الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياته العزيزة عليه، ولا من انغلاق باب دنياه الحلوة الجميلة في وجهه إلاّ في ذلك الإيمان، ولولا الإيمان لضاقت عليه الدنيا بما رحبت، ولتحوّلت سجنا مظلما رهيبا، ولانقلبت الحياة إلى عذاب أليم قاس.[32] ويعد انطباع الإيمان التحقيقي في نفس الشيخ سببا كافيا وأساسيا لجعله منخرطا في مسالك طلب مرضاة الله ببذل الخير للناس، قبل أن يأزف أجله. فهو عامل مهمٌّ للانخراط في مسالك الخيرية بذّالا ومتّصفا.

٥- تحمّل الشباب بذل الخير ودفع الشر بالإيمان:

يمثّل الشباب والمراهقون محور الحياة الاجتماعية، وتتميّز هذه الفترة من العمر بفورة وفتوة قوامها الاندفاع المتأتي من الإعجاب بالقوة، ويعدّ الخوف من الله معدّلا ومرشّدا لها، فلا تبذل في غير جلب المصالح ودرء المفاسد، إذ الخوف من الله يُهَدِّئ فزرةَ المشاعر، ويمنع من تجاوز الحدود، فيمنع الإيمان الشاب الذي انطبع خوف الله في ضميره من الظلم والتخريب، وطيش النفس ونزواتها، ويؤمّن السيرَ الأفضل في العلاقات الاجتماعية.

لولا الخوف من عذاب جهنّم لقلّب الشباب والمراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجّج على الضعفاء والعجائز، حيث ''الحُكم للغالب'' ولحوّلوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة.[33]

٦- أهمية الإيمان بالنسبة للحياة الاجتماعية:

الإيمان ليس قضية شخصية خاصة فحسب، بل هو قضية تحرّك المؤمن ليصبح مجتمعا، يجتمع الناس حوله طلبا للصلاح المعنوي والمادي، فيكون محورا للخير الشامل لمن حوله، ولهذا فالإيمان يتعدّى أثره، إذ بغير العمل على تحويل المناجاة الإيمانية الفردية إلى مناجاة إيمانية جماعية، فلا قيمة لهذا الإيمان، ولعلّ من أهمّ

تجليات الإيمان الجماعية الحياة العائلية التي تعدُّ مركز تجمّع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنّة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين.

وبيت كلُّ فرد هو عالمَه ودنياه الخاصة، لا يعلم ما فيه إلاّ من كان فيه، مُحاط بالسرية التامة والعناية الكاملة وفق الموازين البشرية، فهو مبعث السرور والحبور، و ''لا سعادة لروح الحياة العائلية إلاّ بالاحترام المتبادل الجاد بالوفاء الخالص للجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حدّ التضحية والإيثار. ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية إلاّ بالإيمان بوجود علاقاتِ صداقة أبدية، ورفقةٍ دائمة، ومعيّة سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظلِ حياة لا حدود لها، تربطها علاقاتٌ أبوَّة محترمة مرموقة، وأخوَّةٍ خالصة نقية، وصداقةٍ وفيّة نزيهة، حيث يحدّث الزوجُ نفسه: ''إنّ زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الأبد و الحياة الخالدة، فلا ضير إنْ أصبحت الآن دميمة أو عجوزا، إذ إنّ لها جمالا أبديا سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم أقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحّي بكلّ ما تتطلبه تلك الصداقة الدائمة''. فتلاحظ ما للإيمان من أهمية في توثيق الروابط الأسرية، فالإيمان مبعث ما ''يمكن أن يُكِنَّ هذا الرجل حبا ورحمة لزوجته العجوز كما يكنّه للحور العين. وإلاّ فإنّ صحبة وصداقة صورية تستغرق ساعة أو ساعتين ومن ثم يعقبها فراق أبدي ومفارقة دائمة لهي صُحْبَة وصداقة ظاهرة لا أساس لها ولا سند. ولا يمكنها أن تعطي إلاّ رحمة مجازية وقتية باهتة، واحتراما مصطنعا، وعطفا حيوانيَّ المشاعر، فضلا عن تدخُل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتنقلب عندئذ تلك الجنة الدنيوية إلى جحيم لا يطاق.[34]

يستشف مما سبق أهمية الإيمان في الحياة عموما والحياة الاجتماعية على الخصوص، قال الأستاذ النورسي: ''نتيجة واحدة للإيمان بالحشر من بين مئات النتائج التي تتعلّق بالحياة الاجتماعية للإنسان وتعود إليها، والتي لها مئات الأوجه والفوائد، إذا ما قيست على تلك الدلائل الأربعة المذكورة آنفا (الأطفال / الشيوخ / الشباب / الحياة العائلية) يُذكر أنّ وقوع حقيقة الحشر وتحقّقها قطعي كقطعية ثبوت حقيقة الإنسان السامية وحاجاته الكلية.'' ثم يزيد المسألة وضوحا فيقرر بأنّها: ''أظهر دلالة من حاجة المعدة إلى الأطعمة والأغذية، وأوضحُ شهادةً منها. ويمكن أن يقدّر مدى تحققها تحققا أعمق وأكثر إذا ما سُلِبَت الإنسانية هذه الحقيقة (الحشر)، حيث تصبح

ماهيتها التي هي سامية ومهمّة وحيوية بمثابة جيفة نتنة ومأوى الميكروبات والجراثيم.''[35]

يؤكّد الأستاذ أنّ الإيمان وظيفة وجودية تتعلّق بإصلاح الوجود، لأنّ ''خدمة الإيمان هي أهمّ نتيجة حقيقية للحياة الدنيوية وأعظم وظيفة فطرية في الدنيا''،[36] فالإيمان حركة إيجابية في شعاب الحياة وليست مبدأ خافيا في الضمائر ولا خافتا في استجلاب الصلاح وإنجاز الإصلاح ومدافعة الفساد، هذا هو الإيمان الذي يحدث الصحوة الروحية[37] التي تعدُّ مفتاح السعادة الأبدية.

بَيّن مما عرضناه أنّ إعادة النظر في عرض مسألة الإيمان تثبيتا وإثباتا في العصر الحديث من القضايا المستعجلة والأكيدة، وهو نتوقّف عنده في الفقرة اللاحقة.

خامسا: ثمرات الإيمان					
١	٢	٣	٤	٥	٦
حلّ لغز الكون وتحقيق حاجات الإنسان الروحية	الإيمان والأمان الدنيوي	تحمّل الأطفال أعباء الدنيا بالإيمان	تحمّل الشيوخ أعباء الدنيا بالإيمان	تحمّل الشباب بذل الخير ودفع الشر بالإيمان	الإيمان عامل مهمٌّ الاجتماعية

سادسا: مبررات الاهتمام بتجديد خطاب الإيمان:

١- الإيمان المتداول:

يضطر المسلمون إلى تجديد الخطاب بالإيمان إذا وقعت له انزياحات أبعدته عن وظيفته الوجودية الأصلية، وانزياح الناس عن استعمال لفظ ''الإيمان'' وفق ما أراده الإسلام منهم أمر ظاهر، لهذا فالحاجة ماسّة لاستعادة الصورة البهيّة للإيمان الباعث على الحركية الإيجابية في الوجود، وهي الطريقة التي تخرج المسلم من دوائر الاستقالة إلى دائرة الحركة الفعّالة في شعاب الحياة، إيمان يبعث في المؤمن النظر إلى المخالفين الملّيين نَظَر من ضيّع سمّة أصلية في التاريخ، فهو من ضحايا حاضنات اجتماعية وفكرية وسياسية، مالت بهم عن الفطرة التي فطرهم الله عليها، والأليق في هذا المقام العناية بنجاتهم، وهو ما يفرض معرفة ما كان سببا في ميلهم عن الأصل

الفطري الذي ولدوا مزوّدين به في الأصل الخِلْقَة لقول المصطفى ﷺ: ''كُلُّ مولود يولد على الفطرة''،[38] فلا معاداة لمخالف بغير سبب ظلم أو استعمار، ونتعامل مع المخالف المذهبي بعقلية التعاون على الخيرات العامة المُسْتَجْلَبَة للأمة والإنسانية، وهذا يفرض التعاون والتكاتف بين حملة هذا الإيمان المُجَدَد المُجَدِد من جهة وغيرهم من المؤمنين من أهل الإسلام من جهة أخرى.

٢- الصياغة الجديدة للإيمان:

يؤكّد حال عصرنا ضرورة تجديد صياغة درس الإيمان، فقد عَرفَ هذا العصر تحدٍّ واضح المعالم تجليات في هجوم سافر على الإيمان رغبة في اقتلاع جذوره ونسف أسسه، وعَرف العالم الإسلامي عبر مختلف العصور، وخاصة في عصرنا الحالي هجومات عنيفة جماعية منظمة على أركان الإيمان وأسسه، وما ورثناه من كتب ورسائل على جلالة قدرها وأهميتها لا تحقق المقصود.

قال الأستاذ: ''لا تستطيع أغلبُ الكتب والرسائل –على جلالة قدرها وأهميتها– التي كانت تخاطب الأفراد وخواص المؤمنين أن تصدَّ هذا التيار الرهيب القوي لهذا الزمان، ولا أن تقاومه.''[39] وهو ما يبرر موضوعيا سبب التنبيه إلى أهمية رسائل النور في التأسيس لخطاب إيماني معاصر.

قال الأستاذ: ''رسائل تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنّما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة. حتى حكم كلُّ من يُنعِم النظر فيها، بأنّها أصبحت ضروريةً في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء''.[40]

٣- رسائل النور خطاب الإيمان المتجدد:

رسائل النور تقول لقارئها: كن مَنْ شئتَ وأبصر. وافتح عينيك فحسب، وشاهد الحقيقةَ وأنقذ إيمانك الذي هو مفتاح السعادة الأبدية، بينما الدواوين والمؤلفات السابقة تقول: كن وليا وشاهِد وارْقَ في المقامات والدرجات، وأبصرْ وتناول الأنوار والفيوضات،[41] ومن ثمّ كان مسلكها ''أقصر طريق وأسماه لإنقاذ الإيمان وتقويته وجعله تحقيقيا فتبلغ بالمرء الإيمان الحقيقي''.[42]

٤- وظيفة رسائل النور:

خدمة رسائل النور هي إنقاذ الإيمان، يرى النورسي أنّ ''الطريقة والمشيخة فهي تُكْسِبُ المرء مراتب الولاية. وإنّ إنقاذ إيمان شخص من الضلال أهمّ بكثير وأجزل ثوابًا من رفع عشرة من المؤمنين إلى مرتبة الولاية''، ثم زاد الأستاذ القضية وضوحا فقال: ''إنّ الإيمان بمنحه للإنسان السعادة الأبدية يضمن له ملكًا أوسع من الأرض كلّها. أمّا الولاية فإنّها توسّع من جنّة المؤمن وتجعلها أسطع وأبهر. وكما أنّ رفع مرتبة إنسان اعتيادي إلى سلطان، أعظمُ من رفع عشرة من الجنود إلى مرتبة القائد، كذلك الثواب في إنقاذ إيمان إنسان من الضلالة أعظمُ واجزل من رفع عشرة من الناس إلى مرتبة أولياء صالحين''.[43]

٥- التعاون أساس تحقيق الإيمان أبعاده:

لا يمكن أن يحقق مقصد تثبيت الإيمان وإثباته في ظل ظروف الفجور الفكري والاجتماعي المسلّط على الشرق إلاّ بتكاتف جهود الخيّرين وتكثيفها في المجال المطلوب شغله، فالغزاة وخَدَمُهُم يريدون اجتثاث الإيمان العملي التطبيق الذي يزاحم الفساد النظري والتنفيذي، وتشجيع نسخة شبيهة من الإيمان، تبعث على الاستقالة من مدافعة الفساد الفكري والعملي، فهم يريدون إيمانا يسمح بمرور الغزو المادي والمعنوي دون تفكير في مدافعته. من هنا كانت الوظيفة الإيمانية في هذا الوقت جليلة ومهمّة، لا يستطيع تحمّل أعبائها الثقيلة كاهل شخص واحد[44] أو مجموعة واحدة، بل عليكم التعاون على تحقيق هذه المقاصد الجليلة قدر المستطاع.

٦- منزلة خدمة الإيمان:

يستشف مما سبق بيانه أنّ خدمة الإيمان أسمى من كلّ خدمة في هذا العصر.[45] ولهذا فخدمة الإيمان فوق كلّ شيء،[46] ويتعيّن أن تكون الحقائق الإيمانية أول مقصد وأسبقه في هذا الزمان، ومن هنا اعتبر الأستاذ خدمة الإيمان برسائل النور أجلّ وظيفة[47] في عصرنا.

سادسا: مبررات الاهتمام بتجديد خطاب الإيمان					
١	٢	٣	٤	٥	٦
مشكلة	صياغة	رسائل	وظيفة	تأكيد أنّ التعاون	التأكيد

الإيمان المتداول	جديدة للإيمان	النور إيمان متجدد	رسائل النور	أساس تحقيق الإيمان أبعاده	على الإيمان خدمة

الخاتمة

إن الإيمان الذي عرّفناه في رسائل النور بحاجة إلى إنقاذ وتثبيت وزيادة إثبات، إيمان يُرْسي الأمن والاحترام والرحمة، وينقذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من الفوضى والإرهاب، فخدمة الإيمان تشيّد ركائز الوظيفة الحقيقية للوجود، وتأخذ بيد كلّ مصلح وتعينه على اكتساب عناصر القوة وتؤيّدها. إيمان يعطي معنى للحياة، ويحذّر من خطورة فقده في عصرنا، لأنّ فقده يعني الوقوع تحت طائلة آلام إضافية وأحزان كأمواج البحر المتلاطم، بل سنصاب بتضييعه بهموم وأحزان لا قِبَل لنا بتحّملها، ولا يمكن أن تغطيها اللذات الوقتية التي ننالها، فنحن مدعوون لاستعادة هذا الإيمان لأنّه حياة للحياة، وبغيره سنكون أمواتا يتحرّكون بين الأحياء، ولأنّه مبعث سعادتنا ومانع أحزاننا، فهو أعظم مسائل الوجود على الإطلاق.

هذا هو الإيمان الذي نبّه الأستاذ النورسي إلى العناية به، وشدّ الانتباه إلى خطورة إهماله وفقده، فقال: ''فليلق السمعَ علماءُ الاجتماع والسياسة والأخلاق من المعنيين بشؤون الإنسان وأخلاقه واجتماعه، وليأتوا بماذا سيملأون هذا الفراغ؟ وبماذا سيداوون ويضمدون هذه الجروح الغائرة العميقة؟''[48] فالطريق الأكيد والسريع لتحقيق ذلك هو الإيمان التحقيقي[49] الذي تجتمع كلّ استعدادات الإنسان لتحقيقه، والاجتهاد في استجلاب أبعاده الفردية والجماعية في كلّ شعاب الحياة، هو مصدر تطعيمنا ضد الأوبئة المادية والمعنوية، وبتجديده إثباتا وتثبيتا في الضمائر نذكّر بأهميته في سعادتنا العاجلة والأبدية، ومن رام السعادة في غيره فقد رام المحال. وبهذا تصحُّ لنا الأطروحة التي قامت عليه الدراسة، فالإيمان التحقيقي يستجلب اهتمام علماء الاجتماع والسياسة والأخلاق، لما له من أهمية في جلب المصالح ودرء المفاسد المادية والمعنوية، وهو أساس سنني يتعيّن الاهتمام به لما له من دور إيجابي حاسم في حاضر الحياة الاجتماعية السعيدة للأسرة الإنسانية في حاضرها ومستقبلها.

* * *

المراجع

- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي، مرتبة بحسب ترقيمها في مجموعة رسائل النور:
- الكلمات (المجلد الأول)، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).
- المكتوبات (المجلد الثاني)، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر،القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣.)
- الشعاعات (المجلد الرابع)، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).
- المثنوي العربي النوري (المجلد السادس)، سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).
- الملاحق في فقه دعوة النور (المجلد السابع)، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).
- صيقل الإسلا (المجلد الثامن)، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).
- السيرة الذاتية (المجلد التاسع)، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).

* * *

الهوامش

[1] كلية العلوم الإسلامية: جامعة الجزائر ١ بن يوسف بن خده.

[2] المثنوي العربي النوري، سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، (٢٠١٣)، ص: ٤٣١.

[3] راجع: المثنوي العربي النوري، ص: ٦٩–٧٠.

[4] المثنوي العربي النوري، ص: ١٦٥.

[5] المثنوي العربي النوري، ص: ٦٠٧.

[6] المنثوي العربي ص: ٤٣٠.

[7] راجع المكتوبات، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، (٢٠١٣)، ص: ٢٧٤. (بتصرف يسير).

[8] راجع المكتوبات، ص: ٢٧٤ – ٢٧٥.

[9] راجع مكتوبات، ص: ٢٧٦.

[10] راجع المثنوي العربي النوري، ٣٩٧/٦.

[11] المصدر نفسه.
[12] المصدر نفسه (بتصرف).
[13] المكتوبات، ص: ٥٨٤ (بتصرف).
[14] المصدر السابق، ص: ٢٧٣.
[15] المصدر نفسه (بتصرّف)
[16] المكتوبات، ص: ٢٧٣.
[17] المكتوبات، ص: ٢٧٣ (بتصرف)
[18] المكتوبات، ص: ٢٧٣ (بتصرف).
[19] صيقل الإسلام (الطبعة الهندية)، ص: ٣٨٢.
[20] راجع الشعاعات، ص: ٢١٦، الملاحق، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣)، ص: ٩٩، صيقل الإسلام، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر، الطبعة السابعة (٢٠١٣)، ص: ١١٠–١٢٤.
[21] راجع المكتوبات ص: ٤٨
[22] راجع الملاحق، ص: ٩٩.
[23] راجع الملاحق، ص: ١٠٤.
[24] راجع الملاحق، ص: ١٠٤–١٠٥.(بتصرف)
[25] المكتوبات، ص: ٢٨٢–٢٨٣.
[26] راجع: السيرة الذاتية، النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣)، ص: ٦٠٩.
[27] المكتوبات، ص: ٢٨٤.
[28] الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة (٢٠١٣)، ص: ٢٦.
[29] راجع المكتوبات، ص: ٣٢..
[30] راجع المكتوبات، ص: ٣٧..
[31] راجع التفصيل الشعاعات، ص: ٢١٤- ٢١٥.
[32] الشعاعات، ص: ٢١٥.
[33] الشعاعات، ص: ٢١٥
[34] راجع الشعاعات، ص: ٢١٦.
[35] الشعاعات، ص: ٢١٦.
[36] راجع الملاحق ص: ١٤
[37] الملاحق، ص: ٤٢.
[38] أخرج الشيخان البخاري في الجنائز (الحديث رقم: ١٣٨٥)، ومسلم في القدر (الحديث رقم: ٢٦٥٨) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ''كل مولود يُولَد على الفطرة؛ فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه؛ كمَثَل البهيمة تُنتَجُ البهيمةَ، هل ترى فيها جدعاءَ''.
[39] الملاحق، ص: ٩٨.
[40] الملاحق، ص: ٩٨- ٩٩
[41] الملاحق، ص: ٩٩.
[42] الملاحق، ص: ١٢١.

[43] الملاحق، ص: ١٢٦.
[44] راجع الملاحق، ص: ٥٨.
[45] راجع الملاحق، ص: ١٥١، و٢١٨.
[46] الملاحق، ص: ١٣٧.
[47] الملاحق، ص: ١٤١.
[48] الشعاعات، ص: ٢١٦.
[49] الملاحق، ص: ١٤٣، ١٤٥، ١٥١.

ملف العدد

الإنسان مجهول أو معلوم؟[1]
قراءة من خلال فكر بديع الزمان سعيد النورسي -رحمه الله تعالى-

أ. د. أميد نجم الدين جميل المفتي[2]

إن الإنسان من أشرف المخلوقات في الكون، كرمه الله وجعله خليفه له في الأرض، وأكرمه بنعمة الإيمان، إلا أنه في امتحان وابتلاء، فلذلك أرسل إليه الرسل والكتاب، كي يستقيم ويختار الأحسن الأنسب، ويحسن عاقبته.

مع كل هذا هناك ستار رقيق بين الإنسان هذا وبين الحقائق الغيبية، لا بد أن يجتهد للوصول إليها ومعرفتها، ولا يمكن هذا إلا عن طريق الوحي، لأن الإنسان محدود في الادراك والقوة، فلا بد أن تسعفه الرسل والكتب السماوية، كي يصل إلى الحقيقة الناصعة.

ومن هنا فمبحث الإنسان بين كونه مجهولاً أو معلوماً من المباحث العلمية والفكرية، وصار موضع نقاش وحوار، فهناك من يختار الأول من الأمرين باعتبار وجود مجاهيل في الإنسان وما حوله، وهناك من يرى الثاني باعتبار أن الأسس المهمة لماضي الإنسان وحاضره ومستقبله وعاقبته معلوم عن طريق الأديان السماوية.

إخترنا هذا العنوان ''الإنسان مجهول أو معلوم؟ قراءة من خلال فكر بديع الزمان سعيد النورسي -رحمه الله تعالى-'' للوقوف عنده. وقد قسمنا البحث إلى مقدمة ومباحث ثلاثة، وهي: المبحث الأول: وفيه تكلمنا ملخصا عن الإنسان في القرآن الكريم. ثم أتى المبحث الثاني: عن مفهوم مصطلح الإنسان وأوصافه في رسائل النور، وأتى المبحث الثالث: وهو عن المجهول والمعلوم ضمن مبحث الإنسان في رسائل النور. والبحث ختم بالخاتمة التي بينا فيها أهم الاستنتاجات.

الكلمات المفتاحية: الإنسان مجهول أو معلوم، بديع الزمان سعيد النورسي، الإنسان وأوصافه في رسائل النور، الوحي.

* * *

Abstract

Man: known or unknown?

Dr. Umid al-Mufti

Man is the noblest creature in the universe, whom Allah honoured, made him His successive authority on earth and blessed him with iman (faith). Man is in a test as long as he lives on earth, and that is why messengers and the book were sent to humans, so that they follow the straight path, be the best and have the best end eventually.

There is a thin veil between man and the unseen facts. Man needs to work hard in order to realise it and know it. This cannot be achieved except via a divine revelation, because man's mental and physical powers are very limited with which he cannot reach to these facts without a divine guiding assistance.

In this respect, the topic of man being unknown or known is one of the scientific and intellectual controversial topics. Some go with the former, relying on the fact that there are many unknown dimensions in the world of the human, while others who choose the latter think the world of the human is already explained in the monotheistic religions (his past, nature and his end).

I have chosen the title "Man, unknown or known? A Reading through Said Nursi's Thought". The article is divided into an introduction and three sections. Section one tackles the concept of man in the Quran. Section two discusses the concept of man and his characteristics in "The Epistles of Light", while the third section is about the unknown and known within the topic of man in "The Epistles of Light". Finally the conclusion sums up the research results.

Keywords: man unknown or known, Said Nursi, The Epistles of Light, revelation.

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الإنسان من أشرف المخلوقات في الكون، كرمه الله وجعله خليفه له في الأرض، وأكرمه بنعمة الإيمان، إلا أنه في امتحان وابتلاء، فلذلك أرسل إليه الرسل والكتاب، كي يستقيم ويختار الأحسن الأنسب، ويحسن عاقبته.

مع كل هذا هناك ستار رقيق بين الإنسان هذا وبين الحقائق الغيبية، لا بد أن يجتهد للوصول إليها ومعرفتها، ولا يمكن هذا إلا عن طريق الوحي، لأن الإنسان محدود في الادراك والقوة، فلا بد أن تسعفه الرسل والكتب السماوية، كي يصل إلى الحقيقة الناصعة.

ومن هنا فمبحث الإنسان بين كونه مجهولاً أو معلوماً من المباحث العلمية والفكرية، وصار موضع نقاش وحوار، فهناك من يختار الأول من الأمرين باعتبار وجود مجاهيل في الإنسان وما حوله، وهناك من يرى الثاني باعتبار أن الأسس المهمة لماضي الإنسان وحاضره ومستقبله وعاقبته معلوم عن طريق الأديان السماوية.

وفي فرصة كهذه وللمشاركة في نشاطات جامعة الشيخ عبد الرحمن صديق الحكومية الإسلامية في أندونيسيا، إذ أحسنوا اختيارا عندما اختاروا محور النشاط أن يكون حول الإنسان في فكر الأستاذ النورسي (رحمه الله تعالى) ورسائل النور، إخترنا هذا العنوان ''الإنسان مجهول أو معلوم؟ قراءة من خلال فكر بديع الزمان سعيد النورسي -رحمه الله تعالى-'' للوقوف عنده. وقد قسمنا البحث إلى مقدمة ومباحث ثلاثة، وهي: المبحث الأول: وفيه تكلمنا ملخصا عن الإنسان في القرآن الكريم. ثم أتى المبحث الثاني: عن مفهوم مصطلح الإنسان وأوصافه في رسائل النور، وأتى المبحث الثالث: وهو عن المجهول والمعلوم ضمن مبحث الإنسان في رسائل النور. والبحث ختم بالخاتمة التي بينا فيها أهم الاستنتاجات.

الله أسأل أن يديم علينا نعمة الإيمان والإسلام ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويبارك للإخوة القائمين على هذه الندوة العلمية ويشكر مساعيهم العلمية، أنه سميع قريب

مجيب. وصلى الله على النبي الأمي محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: الإنسان في القرآن الكريم

وردت كلمة ''الإنسان'' في القرآن الكريم ''٦٥'' خمس وستون مرة، وفي ''٦٤'' أربع وستين آية موزعة بين السور القرآنية المكية والمدنية، وفي ''٤٣'' ثلاث وأربعين سورة قرآنية، ''٦'' ست منها مدنية، والبقية من السور المكية.[3]

ومباحث الإنسان في القرآن الكريم من المباحث التي اهتم بها العلماء قديماً وحديثاً، ومن نواحيها المختلفة، نظراً لكثرة الآيات التي وردت في هذا الشأن –أولاً–، ثم لأهمية الإنسان ووظيفته النوعية وماهيته الغريبة. فالإنسان في القرآن مخلوق مسئول، وهو مكون من الروح والجسد، وقد حمل الأمانة بعد أن أبت السماوات والأرض على حملها، وله الحرية والاختيار في حياته الدنيوية، وفيهم الكافر والمؤمن، والعاصي والمطيع... فلذلك صار ''الإنسان في القرآن الكريم'' عنواناً لعدد من المصنفات، منها: لعباس محمود العقاد، وآخر لمرتضى المطهري. فضلاً عن مباحث أخرى قرآنية دقيقة، مثل: مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف: للدكتور أحمد أبو شلطة، والإنسان في ميزان القرآن: لحسن الباش، وملامح الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم: لأروى طارق التل، وهو مقدم لشهادة الماجستير لجامعة جنوب إفريقيا سنة ٢٠٠٤ م، وأعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم: –دراسة موضوعية– لعلي فرج عاشور، وهو مقدم للماجستير كذلك وللجامعة الإسلامية بغزة سنة ٢٠١٤ م، ولغة الجسد في القرآن الكريم: لأسامة جميل ربايعة، للماجستير إلى جامعة النجاح بفلسطين سنة ٢٠١٠م، وغيرها.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم حول الإنسان يمكنه أن يصنفها عموماً –حسب الموضوع– على: بداية الإنسان، ثم خلقه ومراحل الخلق، ثم بيان الصفات الجبلية له –الإيجابية منها والسلبية–.

فمن الصفات الإيجابية المذكورة وهي المشتركة بين الكل: التكريم الإلهي له بقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾،الإسراء:٧٠ وعليه مسؤولية الاستعمار: ﴿... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾،هود:٦١ وميزه بالعقل من بين المخلوقات:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾،[المؤمنون:٧٨] وهو الملهم: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾،[الشمس:٨] وفيه روح الله وأمر الملائكة بالسجود له إكراماً –مع أنهم الكرام من خلق الله والمطيعون له باستمرار–: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.[الحجر:٢٩–٣٠] ومن الصفات السلبية له: أنه ظلوم جهول: ﴿... إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾،[الأحزاب:٧٢] وهو ضعيف خلقاً وصفاتاً وتأثراً: ﴿... يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾،[النساء:٢٨] وهو في عجلة في أموره: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ...﴾،[الأنبياء:٣٧] و ﴿... وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾،[الإسراء:١١] وهو كثير المجادلة ﴿... وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾،[الكهف:٥٤] ويكفر بالنعم الإلهية وينساها: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾،[العاديات:٦] ولا يَمَلُّ من طلب الرفاهية ومع هذا يائس ويصيبه الإحباط بأدنى ما يعكر عليه صفو الحياة من المصائب: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾،[فصلت:٤٩] وغيرها، ولكن لا بدّ أن نقول هنا: أن هذه الصفات السلبية يتقمصها الكافر أو العاصي، مع أن كل إنسان فيه القابلية ودوافع الأخذ بها، أي: بالقوة، والمحذور هو إيجادها بالفعل.

وكذلك من المباحث المطروقة في القرآن بيان وظيفة الإنسان على الأرض، ثم توضيح عاقبته، ومحاسبته على أعماله إن خيراً فخير وإن شراً فعذاب، وصلة السماء مع أناس معدودين منهم لبيان الطريق الموصل إلى الكمالات والسعادة في الدارين. فضلاً عن حوادث جزئية وقصص واقعية حدثت منذ أول وهلة لخلق الجنس البشري، بل قبل خلقه، إلى حوارات إنسانية بين الكافر منهم والمؤمن أو العاصي مع المطيع، ثم مبحث الأنبياء والصالحين وحواراتهم مع أقوامهم وما قدموه من الدعوة إلى الله وما لاقوه جراء ذلك الأمر. ولولا الإطالة لعرضت جميع هذه المباحث القرآنية عرضاً مفصلاً بعد ذكر الآيات.

وفي النهاية نستطيع أن نقول:

أن الإنسان في القرآن معلوم لا مجهول، فهو معلوم من حيث الخلق والنشأة، ومن حيث أوصافه الإيجابية والسلبية، ومن حيث الماضي والحاضر والمستقبل. والجانب المجهول منه لا يعكرعليه صفو العيش إذا التزم وأطاع، لأنه يتعلق بوصف حاله، فهو ممتحن وهو في دار الابتلاء، ومن متطلبات الحالة هذه أن تُسأل ولكن النتيجة تكون

فيما بعد، ولا يمكن بأن تكون النتيجة متناغمة ومتواكبة مع السؤال في الامتحان، فلا تضره الجهالة هذه بأصل عمله وقدراته وطموحه وحريته الفكرية والعملية.

المبحث الثاني: مفهوم الإنسان وأوصافه في رسائل النور

المتتبع لرسائل النور يجد في طياتها الكثيرمن التعاريف لبيان المصطلحات التي تتعلق بمباحث الإيمان والإسلام الضرورية، ومنها مصطلح ''الإنسان'' ومفهومه، ولكن رسائل النور تريد من التعاريف وإيضاحاتها المغزى والمدلول وبيان المقصد، فلا تعرف المصطلحات وفق المتبادر إلى الذهن وكما هو المتبع في الكتب الدراسية، بل له منهجه الخاص وقد سار عليه في الرسائل كلها، وهو التعريف بالتفسير التدبري أو التفسير المفهومي أو الوصفي أو الوظيفي لهذه المصطلحات من خلال القراءة المتأنية لآيات القرآن الكريم، فلذلك يطول التعريف غالباً عن المعتاد وقد يقصر. ومن الملاحظ كذلك أنه ليس في الرسائل التطرق إلى الجانب اللغوي للتعريفات، لأن الرسائل تريد أن تعمل عملها مباشرة، وتريد تحقيق الهدف ورصده من قريب، فليس لها متسع من الوقت للدوران، فضلا عن أنها ألفت لعموم الناس على الرغم من اختلافهم في المستوى العلمي والثقافي، وبذلك فهم يحتاجون إلى التفسير المعنوي والتوضيح والبيان المباشر، لا الوقوف الطويل حول الحمى، فهي تريد منا الدخول المباشر إلى المنبع الفياض والأخذ منه، ومن هذا المنطلق عندما وجه إلى الأستاذ السؤال حول مكانة كتب السابقين وعدم الانشغال بها والاكتفاء برسائل النور فقط، قال: ''إنّ رسائل النور باستلهامها القرآن المبين قد وجدت أسلحة يمكن الحصول عليها بسرعة، وهى قوية نافذة، وفي الوقت نفسه تمزق صفوف العدو وتجعلهم شذر مذر، لذا لا تُراجع مصانع أسلحة أولئك الأفذاذ السامين الميامين. لأن القرآن الكريم الذي هو مصدرهم جميعاً ومنبعهم ومرجعهم وأستاذهم قد أصبح أستاذاً كاملاً لرسائل النور. فضلاً عن ذلك فالوقت ضيق ونحن ضعفاء، فلا نجد متسعاً من الوقت كي نستفيد من تلك الآثار النورانية، علاوة على ذلك فإن هناك مئات الأضعاف من أمثال طلاب رسائل النور ينشغلون بتلك الكتب وهم يؤدون تلك الوظيفة ونحن أودعناها لهم''،[4] ثم من الناحية الروحية كتب السابقين تتكلم عن ثمار الصلاح والولاية، ولكن رسائل النور تجعلك تسلك الطريق باطمئنان ويقين وتتذوق بنفسك.[5]

وللتوضيح نستطيع أن نقول: أن النورسي (رحمه الله تعالى) جمع في معنى الإنسان جميع المعاني والآراء –خصوصاً من الجانب الاشتقاقي اللغوي–،[6] فالإنسان يؤنس به لأنه جامع لتجليات أسماء الله الحسنى، وإذا نظرت إليه نظرة تأمل تذكر الله مباشرة بسبب هذه التجليات الظاهرة عليه للمتأمل،[7] ويجب أن يكون هذا الإنسان دائم الحركة والسعي ولا يعرف السكون، لأن محيطه هكذا، فهو في شوق دائم ونشاط مستمر،[8] والإنسان كذلك يبصر ويحلل ويعقل، مع هذا فهو ينسى وفي حاجة دائمة إلى التذكير المستمر وإيجاد طريق الحوار معه، فهو يرى أن الإنسان كقصر كبير له مئة من الأبواب منها باب الفطرة، فالداعي يجب ان لا يشعر بالملل، بل عليه العمل لإيجاد الطريق إلى القلب هذا من خلال باب من هذه الأبواب الكثيرة، فالهدف واحد إلا أن الطريق إليه متعدد بتعدد البشر والقلوب،[9] والإنسان أيضاً كثير التأثر بمحيطه، و... فكل هذه المعاني أخذتها رسائل النور من القرآن الكريم، ومن حيث الجانب العملي والتطبيقي للإنسان، وبالتالي فأصولها موجودة في اللغة، إذ عرضها علماء اللغة عند بحثهم عن مصطلح ''الإنسان'' في كتبهم اللغوية. والفارق هو أن النورسي يجعل العلوم كلها في خدمة الحقائق القرآنية وإثباتها، ويجعلها مستساغاً للتناول من كل أحد، فلا يبحث المعنى بحثاً لغوياً بمعزل عن التوظيف، وإنما البحث عنده لا بد أن يوظف التوظيف الإيماني، ولا شيء في رسائل النور إلاّ له شعرة مع المباحث الإيمانية.[10] ولعل بالمقارنة السابقة بين التعريف يتبين شيئاً من المنهج هذا.

وفيما يتعلق بتوصيف الإنسان في رسائل النور، فهي متعددة وكثيرة ومركزة، فمما ذكره الأستاذ في وصف الإنسان: أنه ''فهرست الكون''، و ''أكرم ضيف في قصر الكون''، و ''وآخر ثمرة لشجرة الكائنات وأجمعها''، و ''أجمع مرآة لأسمائه سبحانه''، و ''مظهر للإسم الأعظم لسلطان الكائنات''، وهو ''الكون الكبير''، و ''مركز الكون''، و ''سيد الموجودات، أو: قائد الموجودات''، وهو ''مخدوم في الكون لا خادم''، و ''الصنعة الخارقة للخالق سبحانه''، و ''المثال المصغر والنموذج للكائنات بأسرها''، وغيرها.[11] ففي كلها إبراز لوظيفة الإنسان النوعية متناغمة مع الماهية. وقد فصل الأستاذ النورسي نفسه في شرح وتوضيح أوصاف منها، وكذلك وقف الدكتور فريد الأنصاري طويلاً لبيان بعض من هذه الأوصاف، منها وصف: فهرست الكون، وثمرة شجرة الكائنات. ولا متسع لنا هنا لعرض هذه التفصيلات ونكتفي بالإحالة.[12]

المبحث الثالث: الإنسان بين المعلومية والمجهولية في رسائل النور

في البداية لا بد أن نمهد لهذا المبحث، ونفرق بطبيعة الحال بين أمرين اثنين، وهو: إن الإنسان جاهل، وحسب التعبير القرآني وبصيغة المبالغة "جهول"، ولكن هل هو في نفس الوقت مجهول؟ أي جمع بين جهل نفسه، وبين كونه أيضاً مجهولاً؟

فالأول من الوصفين محقق ثابت، لأن إدراكاته وعقله وقواه محدد بحدود، وهو أتى إلى الدنيا لا يعلم شيئاً، وشيئاً فشيئاً يأخذ العلم عن محيطه، فضلا عن الفطرة وما هو راسخ فيه، فلو قارنت بينه وبين الحيوان الصغير الذي يأتي مبرمجاً لتبين لك الحقيقة، وهذا مما جعله موصوفاً بالجهل، وعليه التعلم والارتقاء لرفع هذه الغشاوة عن نفسه، ويسعد بتشغيل مفاتيحه ليخدم بها نفسه وغيره.

ولكن هل يمكن أن نصفه بأنه مجهول؟

فعلى سبيل الاختصار نقول: إن الفكر الإسلامي لا يستسيغ هذا الوصف للإنسان، لأمور، منها:

أن عدم العلم الكافي بالشيء لا يعني إنكارُ وجوده أواتصافه بأنه مجهول، فكون الشخص جاهلاً بشيء لا يداويه توصيف هذا الشيء بالمجهولية، بل العلاج هو ابتغاء طريق العلم والمعرفة لذلك الشيء ورفع الجهالة الواقعة بين الشخص وبين هذا الشيء، فهناك طرق وأسباب للعلم.

فكم منا يسوق السيارة ولا يعرف منها إلاّ القليل، فهذا الجهل لا يعني أن السيارة من الأمور المجهولة في الوجود. غاية ما في الأمر أن أغلب السّوّاق لا يعرفون إلاّ السَّوق وأمور أساسية من سياراتهم، والحال أن ٩٠ % تسعين بالمائة من أجزاء السيارة وحركاتها مستورة عن علمنا، ولكن بمشاورة أهل الاختصاص والسعي والتجربة تزال هذه الجهالة وتكون معلومة، أي باستعمال المفتاح المخصص للعلم بذلك الشيء.

فهكذا الحال في الإنسان، نعم لا نعرف الكثير عن أنفسنا، ولا عن محيطنا، بل ما نعرفه أقل من ١ % واحد في المائة، ولكن هذه المخلوقات أو العوالم والأجهزة الإنسانية لا تتأثر بجهلنا حتى نعدها مجهولة، فهي مجهولة بالنسبة لنا، ولكنها في حقيقتها معلومة لها قوانينها، وهناك متخصصون يعرفونها، ولهم طريق وأسباب خاصة للاطلاع عليها والعلم بها.

ألكسس كاريل، الدكتور الفرنسي المتخصص والطبيب الرائد في مجال نقل وزراعة الأعضاء والحاصل على جائزة نوبل في الطب سنة ١٩١٢م، كتب كتابه ونشره في الثلاثينات من القرن الماضي باسم ''الإنسان ذلك المجهول''، وهو كتاب علمي بحت، يتحدث عن الإنسان من عدة نواح، منها النفسية والعضوية و... وما بين هذه الأعضاء والتراكيب من تنسيق وتوافق وانسجام. وقد ألفه لعموم القراء، وفيه مواد علمية دسمة، وقد اعتمد على السرد العام للمعلومات، وهي ليست بدائية أو صبيانية، بل يحتاج فهمها واستيعابها إلى الدقة والتركيز. والدكتور ''كارل'' يعتب على الإنسان الاهتمام بمحيطه والعلوم الطبيعية على حساب معرفته بعلم الإنسان، وقد أرجع هذا إلى أن علم الإنسان أعقد وأصعب، والعقل يرتاح إلى التفكر في الحقائق البسيطة، فعلم الإنسان يحتاج إلى التفكر والفراغ، ثم هو أصعب العلوم، والتطور العلمي جعله في راحة بال وقل جُهدُه العضلي، الأمر الذي سهل عليه حياته المادية، بدلاً من المحاولة من تشغيل النفس بالحياة المعنوية وفهم الذات. فالكتاب عموماً مليء بالدلائل على أن الإنسان لا يعرف نفسه، ولا يعرف كيفية تنسيق الأجهزة الداخلية للإنسان فيما بينها، فلذلك صح عنده اتصاف الإنسان بأنه ''المجهول''.[13]

وفي المقابل هناك العديد من الباحثين لديهم التحفظ على ما طرحه (د. كارل)، نظراً إلى التطورات الهائلة التي عاشها إنسان هذا القرن ''الحادي والعشرين''، فالآن صار الإنسان معلوماً بعد أن كان مجهولاً، ولا سيما في المسائل الفلسفية والدينية والعلمية، وما نلقاه في طريقنا مما لا علم لنا به لا ينقض القاعدة، لأن الإنسان يجد نفسه في طريق معرفته ولا بد أن نكون متفائلين في هذا ولا نرجع إلى القول بأنه ''مجهول''. ويرى آخرون مثل ''صبحي أبو غنيمة'' قريبا من هذا، ويرون بأن النفس هي المجهولة.

أي: المعلومية عند فريق منهم تعتمد على ما وصل إليه الإنسان بنفسه، من غير إمداد له من خارجه من السماء أو الوحي الإلهي وتعليمه. فلذلك الفكرة عند هذا الفريق تنبع من الإلحاد وعدم الاعتراف بالدين والإله. فهذه الفكرة تبالغ في تعظيم شأن الإنسان وجعله –مع ما اكتشفه من العلوم والمعارف– يحل محل الدين والإله، ففي العلم الإجابة عن كل التساؤلات ولا حاجة إلى الدين والأفكار الدينية واللاهوت وما وراء الحواس من الغيب ليجيب. ولذلك سلكوا مسلك النقد للكنيسة والفكر

الديني، ففي الكنيسة كانت الفكرة المتبعة: ''إن الإنسان سر تتعذر معرفته''، ولا تتم المعرفة إلاّ بالوحي من الله إلى المسيح (عليه السلام)، ومن بعده وكلاؤه من الأساقفة والبطاركة وبابا روما، لا القسس، لأن منزلتهم لا تؤهلهم لمعرفة الإنسان وأسراره. فنظرة الكنيسة هذه لا يستبعد أن تتأثر به من أمثال ''د. كاريل'' ممن وصفوا الإنسان بأنه المجهول، خوفاً من الكنيسة وجبروتها على الفكر.

وعند آخرينأن الفكرة نبعت من الدين، ومن تفسير ديني، وهذا بعد الإيمان بالله وصلته مع الإنسان، فالإنسان معلوم لأن الله الخالق فصل في شأنه وأوحى لمعرفة تفاصيله. أو أن ما وراء الفكرة هذه هو اتصاف الإنسان بـ (سيد الكون)، بمعنى: أن الباريء يمتنع عن التدخل في شؤون الخلق، ولم يعد يتدخل في شؤون الكون، بعد أن برأ الإنسان وزوَّده بما يلزم من قوانين ودساتير.[14]

والآن وبعد هذا التمهيد للموضوع نأتي إلى رسائل النور وكيفية تعاملها مع هذا المبحث:

فالإمام النورسي في بداية انطلاقه يبدأ من القرآن وينتهي إليه، نعم هناك أمور مجهولة حول الإنسان بل في داخله، إلا أن الأساس في الموضوع هو معرفة الأساسيات التي تحقق السعادة للإنسان في دنياه وعقباه وتنفي عنه القلق والاضطراب في التفسير، مثل: قضية وجوده، وحقيقته، وحاجاته المتعددة، ومستقبله. والقرآن عنده الحلّ والإجابة لكل هذه الأمور الأساسية، فالإنسان معلوم غير مجهول، وما فيه من المجهولية إما راجع إلى مستواه العلمي وقدرته المحدودة علماً وعقلاً، أو إلى عدم إيجاده لسبيل العلم لذلك الشيء. ومن دخل في ظلال القرآن يجد العلم والطريق للمسائل الأساسية التي تهمه وتضمن سعادته بحيث يعيش سعداء باطمئنان، فلذلك الإنسان معلوم في القرآن بدءاً وحالاً ونهاية.

وقد كان كتاب ''د. كارل'' بمثابة ثَورة على فُروع العلوم المختلِفة التي كانت إحدى ثِمار عهد الحدَاثة الأوربيَّة، فهذه العلوم رغم أنَّها ساعدَت في تقدُّم الإنسانيَّة، ومعرفة ما هو مجهول من الاكتشافاتِ والابتِكارات التي هزَّت الدُّنيا وغيرَت محتواها، ولكنَّها فَشِلَتْ في تحقيق الأَمن والطمأنينة والسَّعادة للإنسان في حياته. فهي تتجاهل الجانب الأخلاقي من وجود الإنسان عمداً –كما في تعبير د. كارل–، إذاً العلوم الحديثة مثالبها هي التطور في غير قضايا الإنسان الكبرى، وعدم الاستجابة لمطالب

الإنسان الفطرية وذواته تماماً،[15] فهناك داخل هيكل الإنسان: إنسان المادة، وإنسان المعنى والمضمون، ولا يكفي تلبية نوع دون الآخر، فمما يجعل الإنسان مجهولاً هو الاعتماد على الفكر دون القلب، أو المادة دون المحتوى.

والإمام النورسي في رسائل النور عدَّل المسار ودعا إلى الاعتماد على العلوم العقلية والنقلية، أو الفكرية والقلبية معاً، إذ يقول: ''على المفكرين الذين غشيَهم ظلام أن يدركوا الكلام الآتي: لا يتنور الفكر من دون ضياء القلب؛ فإن لم يمتزج ذلك النور وهذا الضياء، فالفكر ظلام دامس يتفجّر منه الظلم والجهل. فهو ظلام قد لبس لبوس النور 'نور الفكر' زوراً وبهتاناً''.[16] ويقول في موضع آخر: ''ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيلُ والشبهات في الثانية''.[17] فالجانب الميتافيزيقي والمعنوي في حياة الإنسان ملاحظته ضرورية، لأن الإنسان مكون من الروح والجسد، ولا يتم التوازن بترجيح جانب على آخر، وهذا –كما سبق– هو سبب من أسباب وجود النقص في معرفة الإنسان واتصافه بالمجهولية.

وكذلك الحرب العشواء بين الدين والعلم التي نشبت في أوروبا لها تأثيرها في الموضوع أيضاً، فالحياة الدينية الخاطئة هي التي جعلت الدين بعيداً عن العلم والعلماء، وبالتالي أبعد الصراع هذا الدين عن التبجيل والاحترام، وصارت التجارب والاكتشافات الحديثة أهم من التعاليم الدينية، لأنها أكثر واقعية مع الفكر والتطور المجتمعي ومتطلباته، فصارت بذلك المدارس والجامعات أماكن أكثر تقديساً من المعابد والأديرة.

والإمام النورسي أثبت أن العلم ليس كافراً، بل العلاقة بين الدين والعلم التكامل لا التنافس، فالنظرة الإسمية لما يحيط بنا هي التي تجعلنا نفسر المسائل تفسيراً خاطئاً، فعندما زار فريق من طلاب الثانوية الأستاذ في ''قسطموني'' قائلين: ''عرّفنا بخالقنا، فإنّ مُدرّسينا لا يذكرون الله لنا!''. قال لهم: ''إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوما، ويعرّف بالخالق الكريم بلغته الخاصة. فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين'' وأخذ يضرب لهم من الأمثلة الواقعية مما يطمئن القلب إليه ويسكنه.[18]

بل يستند كل علم من العلوم في رسائل النور إلى إسم من أسماء الله الحسنى، ويبين ذلك بقوله: ''أن لكلِّ كمالٍ، ولكل علمٍ، ولكل تقدم، ولكل فن –أيا كان– حقيقة سامية عالية. وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى، وباستنادها إلى ذلك الاسم –الذي له حُجُب مختلفة، وتجليات متنوعة، ودوائر ظهور متباينة– يجد ذلك العلمُ وذلك الكمال وتلك الصنعة، كل منها كمالَه، ويُصبح حقيقةً فعلا، وإلاّ فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوّش. فالهندسة –مثلا– علم من العلوم، وحقيقتُها وغاية منتهاها هي الوصول إلى اسم 'العدل' و'المقدِّر' من الأسماء الحسنى، وبلوغُ مشاهدة التجليات الحكيمة لذلك الاسم بكل عظمتها وهيبتها في مرآة علم 'الهندسة'. والطب –مثلا– علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه، فمنتهاه وحقيقتُه يستند أيضا إلى اسم من الأسماء الحسنى وهو 'الشافي'. فيصل الطبُّ إلى كماله ويُصبح حقيقةً فعلا بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم ''الشافي'' في الأدوية المبثوثة على سطح الأرض الذي يمثل صيدليةً عظمى''.[19]

ومن هنا حدد الأستاذ الوسيلة وميَّزها عن الهدف، وجعل كل من الأمرين في مكانه اللائق، فالعلم والتطور العلمي لا بد أن يسعى نحو هدف معين، وهو خدمة الناس وتحقيق السعادة والطمأنينة الجسدية والروحية لهم، إلاّ أن عدم ارتباط العلم بالجانب المعنوي، وقطع نسبته مع الخالق، وفرض حالة اليتم عليه، مما يورثنا الغرور وعدم الاستقرار، ويتحول من دواء نافع إلى داء مهلك، وهو الملاحظ الآن في كثير من المسالك العلمية التي جعلوها أداة قمع وتحقير وقتل وهتك للحرمات واستيلاء على الأموال.

ومن جانب آخر فالأستاذ النورسي يرى بأن الإيمان هو الذي يجعل الإنسان معلوماً ويعطيه السرور والقوة والشجاعة في مواجهة المصائب الشخصية أو العمومية، وبذلك ينقذه من المجهولية، بينما الكفر يجعله مجهولاً غير مفهوم، وجباناً وخائفاً من كل صيحة أو من الجوائح والمصائب، إذ يقول: ''إن الكفر والضلال يُرِيَان الكونَ لأهلهما أنّهمليء بآلاف الأعداء المُخيفين، بل هو سلسلة من طوائفَ تعادي الإنسان، ابتداءً من المنظومة الشمسية وانتهاء إلى ميكروبات التدرن الرئوي، كلها تعادي هذا الإنسان المسكين بأيدي القوى العمياء والمصادفة العشواء والطبيعة الصماء، حتى تجعله في رعب دائم وألم مقيم وهلع ملازم واضطراب مستمر، مع ما يَحمل هذا الإنسانُ من ماهية جامعة واستعداد كلي وحاجات لا نهاية لها ورغبات لا منتهى لها.

بل يجعله الكفرُ والضلال في حالة من عذاب جهنم في الدنيا وكأنه يتجرع الزقوم ولا يكاد يسيغه، فلا تجديه آلاف الفنون والعلوم –الخارجة عن الدين والإيمان– ولا التقدمُ البشري... بل تُجري في دمه السفاهةَ واللهو لتعطِّل حواسه لئلا يشعر بالألم مؤقتاً... فهذه الأمور المتسلسلة المترابطة في الكون سواءٌ منها المادية أو المعنوية تهاجم أهلَ الضلال الذين حُرموا من الإيمان وتهددهم وتُرهبهم وتحطّم قواهم المعنوية، بينما لا تخيف أهلَ الإيمان ولا تهددهم بشيء بل تبعث فيهم السرور والسعادة والأُنس والأمل والقوة، وذلك لأنهم يرون الوجود بنور الإيمان، وتلك الحوادث المتسلسلة، وتلك القاطرات المادية والمعنوية والعوالم السيارة، إنما تساق إلى وظيفة معينة محددة من قِبَل صانع حكيم لتؤديها ضمن نظام وحكمة من دون اختلاط ولا تجاوز قط".[20]

ثم هناك أسئلة لا يمكن التغافل عنها، وهي أسئلة حقيقية وفي غاية الجدية، وتطرق الباب علينا يومياً، ونحن نحتاج إلى الدواء الناجع لها، وعدم الإجابة المطمئنة عن أي منها يجعلنا في عداد المجهول، ونفقد المعلومية، منها:

الموت، ما هو الدواء لقتله ونجاة المخلوقات منه على الرغم من الكره له فطرياً؟

ومنها زوال الدنيا، أو ما يحيط بنا رويداً رويداً، من أين نجد ما يساعدنا على إيقاف هذا السيل العرم، ونحن في قلق وخوف مستمر على الفقد والزوال لما نحبه؟

ثم العجز والفقر البشري على الرغم من كثرة الحاجات، فأين الدواء للإبراء منهما؟

والرابع منها هو القبر الذي لا مفر منه، فأين الوساطة لغلق بابه إلى الأبد؟

والخامس من الأسئلة هو النار وعذابها، التي استعاذ منها الصالحون من جميع الأمم، وهي قضية من أعظم القضايا، فبم يمكن تجاوزها والنجاة منها؟[21]

ولا مفر إلاّ بالاستمداد والاستناد إلى القرآن الكريم الذي ينطق بالحق، وبالحق نزل، وكذا في الإيمان، ففيهما الجواب الكافي والدواء الشافي عن كل منها، وإلاّ نكون في تيه وضلالة، ولا يطمئن القلب والإنسان الذي يعيش من غير هذا الدواء يكون مجهولاً.[22]

ومما يجعل الإنسان مجهولاً يبدأ من تعريفه، فبدل ما نعرّفه بأنه مخلوق للعبادة ونربيه على هذا، نجعله إلهاً ونمدحه ونبالغ في مدحه إلى أن نوصله إلى ما لا يمكن

أن يصل إليه أبداً. فمشكلة الفلسفة الغربية إلى الآن تكمن في هذه النقطة، فهي لا تعرِّف الإنسان إلاّ بأنه ''سيد الكون''، بدل أن يقول أنه ''سيد في الكون'' لما له من المواهب والاستعداد والأجهزة المعنوية واللطائف الإنسانية،[23] فهي ترى ''تأليه الإنسان'' صراحة أو ضمناً، وتخدم فرعنته وغروره وتمرده وعنوده، ولا تربيه إلاّ على تقديم نفعه الشخصي ومصلحته الذاتية على محيطه بل على جميع المخلوقات. ومن أعظم ما سطره يراع الأستاذ لبيان هذه النقطة، هو في مقارنته بين تلميذ الفلسفة المادية وبين تلميذ مدرسة القرآن، حيث قال: ''فالتلميذ المخلص للفلسفة 'فرعون' ولكنه فرعون ذليل، إذ يعبد أخس شيء لأجْلِ منفعته، ويتّخذ كلَّ ما ينفعه رَبًّا له. ثم إن ذلك التلميذَ الجاحدَ 'متمرد وعنود' ولكنه متمرد مسكين يرضى لنفسه منتهى الذل في سبيل الحصول على لذة، وهو عنود دنيئ إذ يتذلل ويخنع لأشخاص هم كالشياطين، بل يقبّل أقدامهم! ثم إن ذلك التلميذَ الملحدَ 'مغرور، جبار' ولكنه جبار عاجز لشعوره بمنتهى العجز في ذاته، حيث لا يجد في قلبه من يستند إليه. ثم إن ذلك التلميذَ 'نفعي ومصلحي' لا يَرى إلاّ ذاتَه. فغايةُ همَّتِهِ تلبيةُ رغباتِ النفس والبطن والفرج، وهو 'دسّاس مكّار' يتحرّى عن مصالحه الشخصية ضِمْنَ مصالح الأمة.''

''بينما تلميذُ القرآن المخلص هو 'عبد' ولكنه عبد عزيز لا يستذل لشيء حتى لأعظم مخلوق، ولا يرضى حتى بالجنة –تلك النعمة العظمى– غايةً لعبوديته لله. ثم إنه تلميذ 'متواضع، ليّن هيّن' ولكنه لا يتذلل بإرادته لغير فاطره الجليل ولغير أمره وإذنه. ثم إنه 'فقير وضعيف' موقِن بفقره وضعفه، ولكنه مُستغنٍ عن كل شيء بما ادّخره له مالكُه الكريم من خزائن لا تنفد في الآخرة. وهو 'قوي' لاستناده إلى قوة سيده المطلقة. ثم إنه لا يعمل إلاّ لوجه الله، بل لا يسعى إلاّ ضمن رضاهُ بلوغا إلى الفضائل ونشرها. وهكذا تُفهم التربيةُ التي تربي بها الحكمتان، لدى المقارنة بين تلميذيهما''.[24]

ومن المباحث التي تجعل الإنسان مجهولاً غير معلوم، ما تطرق إليه الأستاذ في بيان ''أنا'' وكيفية التعامل معه والنظر إليه، فالإنسان عند النورسي بيده مفتاح العالم، ولكن شريطة أن ينظر إلى نفسه، أو ''أنا'' ه نظراً بالمعنى الحرفي لا الإسمي، حيث قال: ''إعلم أنّ مفتاح العالَم بيد الإنسان، وفي نفسه. فالكائناتُ مع أنها مفتّحةُ الأبواب ظاهرا، إلاّ أنها منغلقة حقيقةً. فالحقُّ سبحانه وتعالى أودَع من جهة الأمانة في

الإنسان مفتاحا يفتح كلَّ أبواب العالم، وطلسما يفتح به الكنوزَ المخفية لخلاّق الكون، والمفتاح هو، ما فيك من 'أنا'،''[25] ويقول أيضاً: ''فإذا تأمّلتَ في 'أنا' بالمعنى الحرفي، صار لك عيناً تفهّمتَ ورأيت به كل ما في الكون، لأنه إذا جاءت المعلومات الآفاقية صادفتْ في 'أنا' ما يصدّقها. فإذا فهمتها انتهت وظيفةُ 'أنا' وربوبيتُه الموهومة ومالكيتُه المفروضة... وأما إذا نظرت إلى 'أنا' بالمعنى الاسمي واعتقدتَه مالكاً، وخُنت في الأمانة دخلت تحت: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾الشمس:١٠ إذ الأمانة التي تدهشتْ من حملها السماوات والأرض والجبال هي 'أنا' من هذه الجهة، إذ منها يتولد الشرك والشرور والضلالات...''[26] ومن الموازنات الفكرية التي قام بها الأستاذ بين الأنبياء والفلاسفة في هذه النقطة، ما قاله: ''أن 'أنا' له وجهان: وجه أخذته النبوة، ووجه أخذته الفلسفة. فالوجه الأول: منشأ العبودية المحضة؛ ماهيتُه حرفية، ووجودُه تبعي، ومالكيتُه وهميّة، وحقيقتُه فرضية، ووظيفتُه؛ صيرورتُه ميزاناً ومقياساً لفهم صفات الخالق. فالأنبياء هكذا نظروا إلى 'أنا' فسلَّموا المُلك كلَّه لله. وحكموا بأنه لا شريك له لا في مُلكه ولا في ربوبيته ولا في أُلوهيته، وبِيَدِهِ مَقَاليدُ كُلّ شيء وَهُوَ عَلى كُلّ شيء قَديرٍ. ومن هذا الوجه الشفاف الحي أَنبت الرحيم جلّ جلاله شجرة طوبى العبودية فأثمرت أغصانُها المباركة في حديقة الكائنات، دانية قطوفها، متدلية ثمرات الأنبياء والمرسلين والأولياء والصديقين المتلألئين كالنجوم في الظلمات.''

''وأما الفلسفة فنظرت إلى 'أنا' بالمعنى الاسمي دون الحرفي، وبالوجود الأصلي دون التبعي، وزعموه مالكاً بالحقيقة، وظنوه حقيقة ثابتة، وتوهموا وظيفته تكمُّل ذاته بحب ذاته. فمن هنا تشعبت أنواعُ الشرك، وعلى رأس 'أنا' تنبتتْ شجرةُ زقوم الضلالة...''[27]

ومما يورث الإنسان المعلومية ويرفع عنه الجهل هو شعوره بوظيفته المرآتية لأسماء الله الحسنى، إذ ''أن 'الماهية' الجامعة للإنسان، فيها أكثر من سبعين نقشا ظاهراً من نقوش الأسماء الإلهية الحسنى''،[28] ولا يمكن قراءة هذه النقوش إلاّ بعد تفكر وتدبر فيها وشعور بها، ''إن أسماء الله الحسنى لها تجلياتٌ لا تُحد ولا تحصر... والأسماء بحد ذاتها لابد لها من الظهور أي تستدعي إظهارَ نقوشها، أي تقتضي مشاهدةَ تجليات جمالها في مرايا نقوشها وإشهادَها... أمام أنظار المطالعين من الموجودات المالكة للشعور ويدفعهم لقراءته''.[29]

وكذلك مما يستفيد منه الإنسان كي يعرف نفسه ويسعد، هو في ''حسن النية، وحسن الظن، وحسن الخصلة، وحسن الفكر''، فلو تمكن من جمع هذه الحِسان لصار في نعيم ومتيقظاً لما يحيط به، وإلا يصير في جهنم معنوية.[30]

ومما يورث المجهولية للإنسان عند الأستاذ النورسي أن يستبعد ما لا يدركه، وحينذاك فهو مغرور بنفسه ويدّعي الإحاطة بكل المجاهيل، فتتولد الظلمة والكفر لديه، وبذلك لا يمكن معرفته ومعرفة آراءه تماماً، لأنه ينكر من غير ان يكون له الأسباب المقنعة للإنكار، فنجهل حقيقة ما يريده بل منهج تفكيره، ''إن الكفر والضلال يتولدان غالبا من الاستبعاد، أي يرى الإنسان ما لا يعتقده بعيدا عن ميزان العقل، فيعدّه محالا، ويبدأ بالإنكار والكفر... ولكن... الاستبعاد الحقيقي والمحال الحقيقي والبعد عن موازين العقل والصعوبة الحقة والمشكلات العويصة التي هي بدرجة الامتناع، إنما هي في الكفر ومنهج أهل الضلال. وأن الإمكان الحقيقي، والمعقولية التامة والسهولة الجارية مجرى الوجوب، إنما هي في طريق الإيمان، وجادة الإسلام. والخلاصة: أن الفلاسفة إنما زلّوا إلى الإنكار نتيجة الاستبعاد''.[31]

الخاتمة

بعد هذه الجولة في ظلال رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي ''رحمه الله تعالى'' حول الإنسان وكونه معلوماً أو مجهولاً، وصلنا إلى نتائج، أهمها:

١. إهتم القرآن الكريم بالإنسان اهتماماً بالغاً، بدءاً من خلقه ـ بل حوادث ما قبل خلقه ـ إلى مراحل نشوءه في بطن الأم ثم أطواره المختلفة إلى نهاية عمره وما بعد موته، وبين له الطريق، وحذره مما يعكرعليه سعادته الجسدية والروحية، وأثبت أنه الخليفة في الأرض عليه الاستعمار، وله الحرية في اختيار الأنسب، وذكر صفاته الايجابية والسلبية، وأرسل من جنسه رسلاً قاموا بالتبليغ والإرشاد، وقص عليه القصص ليتعظ، وحرضه على الخيرات بطرق شتى.

٢. إن الإنسان في القرآن معلوم لا مجهول، فهو معلوم من حيث الخلق والنشأة، ومن حيث أوصافه الإيجابية والسلبية، ومن حيث الماضي والحاضر والمستقبل. والجانب المجهول منه لا يعكرعليه صفو العيش إذا التزم وأطاع، لأنه يتعلق بوصف حاله، فهو ممتحن وهو في دار الابتلاء، ومن متطلبات الحالة هذه أن تُسأل ولكن

النتيجة تكون فيما بعد، ولا يمكن بأن تكون النتيجة متناغمة ومتواكبة مع السؤال في الامتحان، فلا تضره الجهالة هذه بأصل عمله وقدراته وطموحه وحريته الفكرية والعملية.

٣. هناك فرق بين توصيف الإنسان بالجهل أو أنه ''جاهل'' وبين توصيفه بأنه ''مجهول''، فالأول نظراً لحاله وقلة علمه وقدراته مقبول مستساغ، بينما المجهولية توصيف غير سوي في الشريعة والفكر الإسلامي. نظراً لبيان الأساسيات لماضي وجوده وحاله ومستقبله وعاقبته، فضلا عن هذا بيده مفاتيح المغاليق الكونية إذا سلك سبيل العلم وطريقه المفتوح له، وقد نزل وحي السماء له لتبصيره بالمهمات ورفع المجهولية عنه تماماً.

٤. توصيف الإنسان بالمجهولية قد يكون من وراءه الكفر، أو التفسير الديني الخطأ. لأن الكفر يستر ماضي الإنسان وعاقبته، فيوقع الإنسان في مستنقع المجهولية بدءاً وختاماً. وكذلك التفسير الديني الخطأ الذي قال به الكنيسة من أن ''الإنسان سر تتعذر معرفته''، ولا تتم المعرفة إلاّ بالوحي من الله إلى المسيح، ومن بعده إلى وكلاءه فقط.

٥. توصيف الإنسان بالمعلومية وصف صحيح، إلاّ أن الكلام يكون في الطريق إلى هذا التوصيف، فهناك فريق اعتمدوا في التوصيف هذا على ما وصل إليه الإنسان بنفسه من غير إمداد خارجي سماوي، وهو يريد أن يأله الإنسان ويعظمه ويبالغ في تعظيمه إياه أكثر من حده، فهذه الفكرة تنبع من الإلحاد والكفر. وهناك فريق يعتمد في توصيفه على الفكر الديني، وهم على قسمين: الأول منهما الإنسان عنده معلوم، لأن الله خلقه وزوَّده بما يلزم من قوانين، ولكن بعد ذلك لا يتدخل في شؤون الخلق أو الكون وامتنع عن ذلك بنفسه. والثاني من القسمين يرى بأن الإنسان معلوم لأن الله تعالى أوحى في شأنه الكثير وفصل في معرفته، وبين الأساسيات له بما يضمن له السعادة والحرية، فلا غرو آنذاك أن نصفه بالمعلومية.

٦. مصطلح ''الإنسان'' من المصطلحات التي اهتمت به رسائل النور كثيراً، حيث عرَّفته وبينت في التعريف جميع المدلولات للمصطلح في الاشتقاق اللغوي، ولكن في أماكن متفرقة وبنصوص متباينة، قام البحث بجمعها والإشارة إلى مواطنها، وهي:

أن الإنسان من الأنس به، أو من السعي والحركة، أو لأنه يبصر ويحلل، أو لأنه ينسى. وربط النورسي بين كل من هذه المعاني وبين المسائل الإيمانية كما هو دأبه، لأن المتَّبع في رسائل النور هو توظيف جميع العلوم والمعارف في خدمة الحقائق الإيمانية.

٧. التعريف في رسائل النور له نمط خاص في جميع المصطلحات، فهي تريد بيان المغزى والمقصد ورصد الهدف وتحقيقه عن قريب، وبمراعاة عموم الناس ومستواهم الثقافي، فلذلك قد يطول التعريف عن المعهود، فالتعريفات في رسائل النور وصفية مقاصدية تدبرية مفهومية وظيفية، نتجت عن القراءة المتأنية للقرآن الكريم وأخذتها من فيوضات القرآن والتأمل فيه.

٨. وصف الأستاذ النورسي ''الإنسان'' بأوصاف متعددة ومركزة، منها: أنه ''فهرست الكون''، و ''أكرم ضيف في قصر الكون''، و''وآخر ثمرة لشجرة الكائنات وأجمعها''، و''أجمع مرآة لأسمائه سبحانه''، و''مظهر للإسمالأعظم لسلطان الكائنات''، وهو''الكون الكبير''، و ''مركز الكون''، و ''سيد الموجودات، أو: قائد الموجودات''، وهو ''مخدوم في الكون لا خادم''، و ''الصنعة الخارقة للخالق سبحانه''، و ''المثال المصغر والنموذج للكائنات بأسرها''.

٩. يبدأ الأستاذ النورسي رحلته مع ''الإنسان'' وفي كونه معلوماً أو مجهولاً بصحبة القرآن وفي ظلاله، فالإنسان معلوم، ومعلوميته متوقفة على الوحي الإلهي وإيمانه الذي يعطيه الجرأة والسرور والقوة والشجاعة في مواجهة المصائب الشخصية والعمومية، فإذا ما خرج عن الأمرين دخل الجهالة والمجهولية وصار الإنسان خائفاً ضعيفاً قلقاً، لا مستند لع ولا معتمد، فيصير جاهلاً بحاله ومآله ومجهولاً في تفكيره وتصرفاته.

١٠. من الأسباب والمفاتيح التي تساعد على فهم توصيف الإنسان بالمعلومية عند الأستاذ النورسي، هو: الإعتماد على العلوم العقلية والنقلية، أو الفكرية والقلبية معاً من غير الإكتفاء بواحدة منهما. ومن الأسباب إثبات العلاقة التكاملية بين الدين والعلم، فالعلم ليس كافراً، بل كل علم من العلوم يعتمد ويستند على اسم من الأسماء الحسنى عند النورسي، ومن الأسباب المساعدة لترسيخ معلومية الإنسان النظر إليه بالنظرة

الحرفية بمعنى أن الإنسان لا معنى له بذاته بل يكون له المعنى إذا ما اعتمد واستند إلى خالقه وشرف نفسه بالانتساب إليه والعبادة له، بخلاف النظرة الإسمية للإنسان، إذ هي تورثه المجهولية، لأن الواقع والفطرة تنفاها وتتصادم معها.

وصلى الله على النبي الأمي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين والحمد لله رب العالمين.

* * *

المصادر والمراجع:

١. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر– القاهرة، ٢٠١١م.

٢. الإنسان ذلك المجهول: ألكسس كاريل، ترجمة: عادل شفيق، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر.

٣. الإنسان ذلك المعلوم: د. عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط. ٢، ١٩٨٢م.

٤. سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة وتحرير: حسين عثمان، وخليل جادو، ومحمد أبو الخير السيد، ط.١، دار الأنوار للنشر، تركيا – إستنبول، ٢٠١٤م.

٥. سيرة ذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر– القاهرة، ٢٠١١م.

٦. الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر– القاهرة، ٢٠١١م.

٧. صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر– القاهرة، ٢٠١١م.

٨. الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر– القاهرة، ٢٠١١م.

٩. اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر– القاهرة، ٢٠١١م.

١٠. المثنوي العربي النوري: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر– القاهرة، ٢٠١١م.

١١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ.

١٢. مفاتح النور في مفاهيم رسائل النور: د. فريد الأنصاري، دار النيل، القاهرة.

١٣. مفهوم الإنسان الكامل عند بديع الزمان سعيد النورسي: محمد الهادي وناس، ط.١، دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١٩م.

١٤. مقال استهلالي: الإنسان ذلك المجهول أم ذلك المعلوم: القس: لوسيان جميل، الحلقة ١ إلى ٤، مقال منشور في موقع مجلة "الكاردينيا" www.algardenia.com، بتأريخ ٢٠١٨/٥/٢٧، وتأريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٧/٧م.

١٥. المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلرللنشر، مصر–القاهرة، ٢٠١١م.

١٦. الملاحق: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر– القاهرة، ٢٠١١م.

١٧. نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة ، ط. الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

* * *

الهوامش

[1] بحث مقدم إلى مؤتمر جامعة الشيخ عبد الرحمن صديق الإسلامية الحكومية في أندونيسيا، بتأريخ ٢٠٢٠/٧/١١ يوم السبت. وكان المؤتمر عن (الإنسان في رسائل النور) عن طريق أون لاين.

[2] أستاذ الفقه وأصوله بكلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين – أربيل، إقليم كردستان العراق.

[3] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٩٣ ـ ٩٤.

[4] الملاحق:١٨٢.

[5] يقول الأستاذ النورسي عن الرسائل: ''فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائلَ كثيرة وبراهين ساطعة. حتى حكَم كلُّ من يُنعم النظر فيها؛ بأنها أصبحت ضروريةً في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء. إن الدواوين والمؤلفات السابقة تقول: كن وليا وشاهِد وَارْقَ في المقامات والدرجات، وأبصرْ وتناول الأنوار والفيوضات! بينما رسائل النور تقول: كن مَن شئتَ وأبصر. وافتح عينيك فحسب، وشاهد الحقيقةَ وأنقذ إيمانك الذي هو مفتاح السعادة الأبدية. ثم إن رسائل النور تحاول أولا إقناعَ نفس مؤلّفها ثم تخاطب الآخرين''. الملاحق: ٩٨–٩٩.

[6] يقول النويري عن الاشتقاق وسبب التسمية: ''فقد اختلف الناس في ذلك: هل هو من الأُنس الذي هو نقيض الوحشة، أو النَّوْس الذي هو نقيض السكون، أو الإيناس الذي هو بمعنى الإبصار، أو النِّسيان الذي هو نقيض الذِّكْر''. نهاية الأرب للنويري: ٩/٢–وما بعدها.

[7] يقول الأستاذ: ''... يكتسب الإنسانُ بالإيمان قيمةً سامية من حيث تجلِّي الصنعةِ الإلهية فيه، وظهورِ آيات نقوشِ الأسماء الربانية على صفحةِ وجوده. أما الكفرُ فيقطع تلك النسبةَ وذلك الانتسابَ، وتغشى ظلمتُه الصنعةَ الربانية وتطمِس على معالمها،... فإذا استقر نورُ الإيمان في هذا الإنسان بيَن –ذلك النورُ– جميعَ ما على الإنسان من نقوش حكيمة، بل يستقْرئها الآخرين؛ فيقرأها المؤمن بتفكر، ويشعُر بها في نفسه شعورا كاملا، ويجعل الآخرين يطالعونها ويتملّونَها، أي كأنه يقول: 'ها أنا ذا مصنوع الصانع الجليل ومخلوقُه. انظروا كيف تتجلى فيّ رحمتُه، وكرمُه'. وبما شابهها من المعاني الواسعة تتجلّى الصنعة الربانية في الإنسان...'' الكلمات: ٣٤٨–٣٤٩.

[8] يقول الإستاذ: ''يا مَن لا يدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل... أيها الكسلان! اعلم: أنَّ الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكمالِ كرمه جزاءَ الخدمة في الخدمة نفسها، وأدمج ثوابَ العمل في العمل نفسِهِ. ولأجل هذا كانت الموجودات قاطبة بما فيها الجمادات –من زاوية نظر معينة–تمتثل الأوامر الربانية بشوق كامل، وبنوع من اللذة، عند أدائها لوظائفها الخاصة بها والتي تطلق عليها ''الأوامر التكوينية''. فكل شيء ابتداءً من النحل والنمل والطير... وانتهاء إلى الشمس والقمر، كلٌّ منها يسعى بلذةٍ تامة في أ داء مهامِّها، أي اللذةُ كامنة في ثنايا وظائف الموجودات، حيث إنها تقوم بها على وجه من الإتقان التام، رغم أنَّها لا تعقلُ ما تفعل ولا تدركُ نتائج ما تعمل... ومن هذا السرّ الجاري في الكائنات المسمى بـ 'سُنّة الله' ومن هذا الدستور العظيم، يكون العاطل الكسلانُ الطريح على فراش الراحة أشقى حالاً وأضيقَ صدراً من الساعي المجدّ، ذلك لأن العاطل يكون شاكياً من عمره، ويريد أن يُمضي بسرعة في اللهو والمرح. بينما الساعي المجدّ شاكرٌ لله وحامدٌ له، لا يريد أن يُمضي عمرَه سدىً. لذا أصبح دستوراً عاماً في الحياة: 'المستريح العاطل شاكٍ من عمره والساعي المجدّ شاكرٌ'. وذهب مثلاً: 'الراحةُ مندمجة في الزحمةِ، والزحمةُ مندمجة في الراحة'.''اللمعات: ١٧٣–١٧٤.

[9] ينظر: سيرة ذاتية: ٦٠٥.

[10] يقول الأستاذ النورسي: ''إعلم: أني أحمد الله على أن فتح لي أعاظمَ مسائلِ هذه الكائنات بمسألة من النحو، هي الفرق بين 'المعنى الحرفي والاسمي!...' أي هذه الموجودات كلماتٌ دالات على معانٍ في غيرها، أي مكتوباتٌ ربانية تالياتٌ للأسماء الحسنى، لا اسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاتها''. المثنوي العربي النوري: ٣٤٦.

ويقول عن الإمامة –على سبيل المثال–: ''إنَّ 'مسألة الإمامة' مع كونها مسألةً فرعية إلاّ أنّ كثرة الاهتمام بها جعلتْها تدخل ضمن مباحث الإيمان في كتب علم الكلام وأصول الدين، وغدت من هذه الجهة ذاتَ علاقة بخدمتنا الأساسية، خدمة القرآن والإيمان، وقد بُحثت بحثاً جزئياً''. اللمعات: ٢٧.

ونراه كذلك عندما يسأل في فروع الشريعة يقول: ''إننا منهمكون بأسس الإيمان المسمى بـ 'الفقه الأكبر'، فلا يتوجه ذهني توجها جادا في الوقت الحاضر إلى نقل دقائق المسائل الفرعية ومراجعة مصادر المجتهدين ومداركهم، ولا يخفى عليكم أن الكتب أيضا ليست متوفرة لدي. فضلا عن أنه لا متسع لي من الوقت كي أراجعها. علاوة على ذلك فإن علماء الإسلام قد بحثوا هذه المسائل بتدقيقات صائبة بحيث لم تدع حاجة إلى تدقيقات عميقة في الفرعيات. فلو كنت أشعر بالحاجة الحقيقية لكنت أراجع المصادر القيمة للمجتهدين حول هذه المسائل وأمثالها وكنت أبينها لك. وربما لم يأت بعد زمن الانشغال بمثل هذه الحقائق...'' الملاحق: ٨٦.

[11] ينظر للتفصيل: الكلمات: ٦٣ ـ ٦٤، و٣٤٨ ـ ٣٤٩، و٣٦٦، واللمعات: ١٢٧، و٥٠٩، والمكتوبات: ٥٧١، وإشارات الإعجاز: ٢٦، و ١٤٩، و ٢٢٢، وسيرة بديع الزمان: ٥٥٧ – و٥٥٨، ومفاتح النور في مفاهيم رسائل النور: د. فريد الأنصاري، ١٠١ – وما بعدها، ومفهوم الإنسان الكامل عند بديع الزمان سعيد النورسي: محمد الهادي وناس، ٥٦ – وما بعدها.

[12] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: المكتوبات: ٥٧١، واللمعات: ٦٣ – ٦٤ – و ١٢٧، ومفاتح النور: ١٠٨، و ١١٠ ـ وما بعدها.

[13] ينظر: الإنسان ذلك المجهول: ٣–وما بعدها.

[14] ينظر للتفصيل: الإنسان ذلك المعلوم: د. عادل العوا، ١٩٣ – وما بعدها، ومقال استهلالي: الإنسان ذلك المجهول أم ذلك المعلوم؟ القس: لوسيان جميل، الحلقة ١ إلى ٤، مقال منشور في موقع مجلة ''الكاردينيا'' www.algardenia.com، بتأريخ ٢٠١٨/٥/٢٧، وتأريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٧/٧.

[15] ينظر: الإنسان ذلك المعلوم: ١٩٦ – وما بعدها، ودراسة عن كتاب: الإنسان ذلك المجهول –ألكسيس كاريل: حسام العيسوي إبراهيم، مقال منشور في موقع www.alukah.net/culture/0/92317/ بتأريخ ٢٠١٥/١٠/٢٩، تأريخ الزيارة ٢٠٢٠/٧/٨م.

[16] الكلمات: ٨٣٢–٨٣٣.

[17] صيقل الإسلام: ٤٠٢.

[18] ينظر: الكلمات: ١٧٣– وما بعدها.

[19] الكلمات: ٢٩٠ – ٢٩١.

[20] صيقل الإسلام: ٥١٩ – ٥٢٠.

[21] ينظر: الكلمات: ٣٠، والشعاعات: ٢٧٥.

[22] ينظر: الكلمات: ٢٦ – وما بعدها.

[23] ينظر: المكتوبات: ٤٢.

[24] الكلمات: ١٤٢.

[25] الكلمات: ٦٢٥.

[26] المثنوي العربي النوري: ٣٢٤.

[27]المثنوي العربي النوري: ٣٢٤.
[28]الكلمات: ٨١١.
[29]المكتوبات: ١١٢.
[30] ينظر: الكلمات: ٣٦.
[31] الكلمات –هامش المؤلف–: ٦٩.

البحث الدّلالي عند بديع الزمان سعيد النورسي في رسائل النور – رسالة المعجزات القرآنية أنموذجاً

أ.د. دلدار غفور حمدامين[1]

ملخص

تتناول هذه الدراسة البحث الدلالي عند علم بارز من أعلام الكرد، وهو الشيخ سعيد النورسي (١٨٧٧–١٩٦٠م) الذي ألّف مجموعة من الرسائل، وهو في السجن أو المنفى، وشملت تفسيرات لآيات القرآن وتوجيهات دعوية لإرشاد المسلمين، وزاد عددها عن مائة وثلاثين رسالة، ومن بين هذه الرسائل مجموعة تعرف بـ ''الكلمات''، وضمّت ثلاثاً وثلاثين رسالةً، تناول في الكلمة الخامسة والعشرين (المعجزات القرآنية) في حدود ''١٢٥'' صفحة.

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، يتناول التمهيد المباحث اللغوية الإعجازية في الرسائل، أما المبحث الأول فيعرض معايير الفكر الدلالي عند النورسي في رسالته، في حينبين المبحث الثاني وسائل الكشف عن المعنى عندَ النورسي أما المبحث الثالث فيتناول سمات الأسلوب القرآني عند النورسي، وضمت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

* * *

Abstrac

Semantic Search in Said Nursi's "Rasa'il un-Nur": with "The Epistle of Ahmediyyah Miracles" as a sample

Prof. Dr. Deldar Ghafur Hamadameen

The current study is a semantic study, which is explained by Shekh Al-Saeed Al-Nurs Semantic Search in Said Nursi's "Rasa'il un-Nur": with "The Epistle of Ahmediyyah Miracles" as a samplei (1877–1960), he is one of the Kurdish scientists. He wrote a collective of letters in the prison or in exile, the letters are the explanation of the verses of the Holy Quran and show the correct path for Muslims. The number of the letters is more than 130 letters. Some of the letters are written in words, which are 33 letters. In the letter 25, which is about 125 pages, he talks about the miracle of the Holy Quran.

The current study includes the preface, introduction, three sections and the conclusion. The first section is about some criteria of semantics by Al-Nursi. The second section explains the reasons of revealing the meanings by Al-Nursi. The third section deals with the features of the Quranic style by Al-Nursi. Finally, some results are mentioned for readers.

* * *

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ الشيخ النورسي يعدّ مجدّد عصره بشهادة أهل العلم في زمانه إلى وقتنا الحاضر، فهو فيلسوف ومفكر وفقيه حضاري وعبقري فريد، ولا يخفى على ذي لبّ سليم وذكاء متقد ما لرسائل النور من أثر جليّ في تغيير واقع المسلمين في العالم الإسلامي عموماً، وفي تركيا على وجه الخصوص.

لقد أحدثت الرسائل انقلاباً فكرياً وسلوكياً في أذهان وخُلُق دارسيها، من خلال الحصول على أسئلة دارت –وتدور– في خلد كثير من الناس، والإلمام بالجوانب المتنوعة الكثيرة بدءاً بتجليات أسماء الله الحسنى، والوقوف على الحقائق الإيمانية، والإشارات البيانية الإعجازية، فالفائدة المرجوة من قراءة نصوص رسائل النور تتجلى في آليات الفهم الدقيق البعيد عن قيودالخلفيات الفكرية، إذ ليس بإمكان من يريد الفهم الكامل والصحيح لها تجزئة رسائل النور في قراءته لها، بل عليهقراءتها ودراستهاقراءة كلية، لأنها مترابطة الأجزاء ومتماسكة الأفكار، فيزيد بذلك ترسيخاًللثوابت الإيمانية المتضمّنة فيها، واستحصالاًللمقاصد الإيمانية التي ضمتها.

ولا يوجد مَنْ هو أعلم بالرسائل من مؤلّفه الأستاذ النورسي –رحمه الله تعالى،– فهو يصفها بأنها معجزة معنوية، قائلاً: ''إن رسائل النور ليست طريقة صوفية بل حقيقة، وهي نور مفاض من الآيات القرانية ولم تستق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان''،[2] وأضاف عنها: ''وحيث إن هذا السائح من المعاصرين فقد نظر أولا إلى ''رسائل النور'' التي هي الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، فرأى أنَّ هذه الرسائل البالغة مائة وثلاثين رسالة هي بذاتها تفسير قيم للآيات الفرقانية، إذ إنها تكشف عن نكاتها الدقيقة وأنوارها الزاهية''.[3]

لقد وقع اختيارنا على رسالة ''المعجزات القرآنية'' أنموذجاً لدراسة الرسائل دراسة دلالية لتعلّقها الواضح وتناولها الواسع للإشارات الإعجازية، والدقائق البيانية، مقارنة بالرسائل الأخرى، فهي و ''إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز'' يشكلان زبدة أفكار الشيخ البيانية الإعجازية، فضلا عن أن هذه الرسالة تحوي الرسائل الأربع والعشرين السابقة كما صرّح بذلك الأستاذ النورسي في معرض المقارنة بين كلام البشر والقرآن الكريم، فقال: ''نعم، كم هي النسبة بين الحشرات السامة والملائكة الأطهار والروحانيين المنورين؟ إنها هي النسبة نفسها بين كلمات البشر وكلمات القرآن الكريم، وقد أثبتت هذه الحقيقة مع 'الكلمة الخامسة والعشرين' جميع الكلمات الأربع والعشرين السابقة، فدعوانا هذه ليست إدعاء وإنما هي نتيجة لبرهان سبقَها''.[4]

وأورد الشيخ النورسي سبب اختياره –رحمه الله تعالى– لآيات (المعجزات القرآنية) بأنّ هذه الآيات ''إما أصبحت موضع انتقاد الملحدين، أو أصابها اعتراض أهل العلوم الحديثة، أو مستها شبهات شياطين الإنس والجن''،[5] ولم يدّع الكمال فيما كتب، معترفا بقصوره تجاه بحر علم القرآن، فقال: ''نعم، إنَّ الحقائق الصادقة للكلمات الخمس والعشرين كلها إن هي إلا خمس وعشرون قطرة من بحر علم القرآن. فإن وجد قصور في تلك 'الكلمات' فهو راجع إلى فهمي القاصر''.[6]

وانتهج الشيخ النورسي في الكلمة الخامسة والعشرين (رسالة المعجزات القرآنية) منهج المحايد الموضعي، فقال: ''لقد انتهجنا من أول هذه الرسالة إلى هنا نهج المحايد الموضوعي في تحقيق قضية الإعجاز، وقد أبقينا كثيرا من حقوق القرآن مطوية مخفية مستورة، فكنا نعقد موازنة ننُزل تلك الشمس منزلة الشموع، وذلك كله لكي نخُضع خصما عاتيا لقبول إعجاز القرآن ''.[7]

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، يتناول التمهيد المباحث اللغوية الإعجازية في الرسائل، أما المبحث الأول فيعرض معايير الفكر الدلالي عند النورسي في رسالته، في حين بين المبحث الثاني وسائل الكشف عن المعنى عندَ النورسي أما المبحث الثالث فيتناول سمات الأسلوب القرآني عند النورسي، ثم جاءت الخاتمة لتحوي أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وأخيراً أسأل الله تعالى الإخلاص والصواب فيما سطّرناه، ولهذه الندوة العلمية الدولية المباركة كل التوفيق والنجاح.

التمهيد

المباحث اللغوية الإعجازية في رسائل النور

ألّف الأستاذ النورسي الرسائل من ثقافته العالية وإلمامه بالعلوم الإسلامية، وذكائه العجيب وحفظه الدقيق وخياله الواسع وقدرته على التأمل والتفكر، معتمداً على نظراته العميقة في آيات القرآن الكريم من دون الرجوع إلى المصادر العلمية؛ لأنه كان في نفي وسجن دائمين، وقد اتّسم منهجه باستلهام موضوع كل رسالة آية أو عدة آيات، ثمّ التمهيد له بمقدمة مركزة تلخص الموضوع، ثم البدء بتوضيح موضوع يختاره من الموضوعات الإيمانية توضيحاً وتبسيطاً مع ضرب الأمثال لعرض الفكرة

وتجليتها، بغية الوصول إلى المعاني الدقيقة لآيات القرآن الكريم، وقد يعرض الموضوع بكامله أحياناً بشكل سؤال أو جواب، بأسلوب أدبيّ رفيع، يأخذ بذهن المتلقي ويسرح به في ميادين الآيات الكونية والقرانية الرحبة، وعرف عنه التجديد حين ''دعا إلى إعادة قراءة التراث ولكن ليس بعين أصحابه، وإنما بعين تمحيصية قرآنية... إنها دعوة إلى الرسالة الشاملة التي رأيناه يمارسها حيال وعيه بالحضارة والتأريخ''،[8] كما عرفت الرسائل بمزايا كثيرة، منها: الأسلوب الأدب الرفيع غير المتكلّف، وضرب الأمثال بكثرة لتقريب المفاهيم الإيمانية إلى الأذهان، كما ركزت الرسائل على معاني الأسماء الحسنى وإظهار تجلياتها على جميع الموجودات، وردّت الشبهات عن الإسلام دون ذكر الشبهة نفسها، فضلاً عن إيراد الأمثلة الواقعية والعلمية المبسطة التي يفهمها الجميع.[9]

لقد توزعت المباحث الإعجازية البيانية على رسائل عديدة، حيث أشار الشيخ النورسي إلى بعضها في مواضع متفرقة، فذكر بأنّ القرآن الكريم كتاب سماوي من كلام رب العالمين، و ''ليس بكلام البشر، حتّى إنّ ''الكلمة الخامسة والعشرين'' وختام ''المكتوب التاسع عشر'' وهما حجة واحدة من بين مئات الحجج، تقييمها ''رسائل النور'' لبيان إعجاز القرآن، فتبيّنه بأربعين وجهاً إثباتاً حيّر كلّ من نظر إليها، فقدّرها وأعجب بها''،[10] وبيّن في موضع آخر: ''ولقد وضحت رسائل النور ولاسيما الكلمة الخامسة والعشرون 'المعجزات القرآنية' –مع ذيولها– إعجاز القرآن في أربعين وجها من وجوهها، وكذلك تفسير 'إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز' باللغة العربية الذي يبين بيانا رائعا إعجاز القرآن من حيث وجه النظم بين الآيات الكريمة فأثبتت كلتا الرسالتين فعلا علو الأسلوب البلاغي الفذ وسمو الإيجاز المعجزِ''.[11]

واتسم منهج النوري في طرح المسائل اللغوية بميزات منهجية، منها: اعتماده على أمهات الكتب وكبار العلماء، وتركيزه على النظم في بيان الإعجاز القرآني، واستشهاده بالآيات القرآنية على المسائل اللغوية والبلاغية والنحوية، وغيرها من الميزات.[12]

وقد ذكر الهدف من كتابة رسائل النور، بعد أن أثنى على جهود آلاف من العلماء الأفذاذ الذين أظهروا كون القرآن معجزة إلهية خارقة، فقال: ''وبخاصة إثبات كل كتاب من كتب رسائل النور البالغة مائة وثلاثين كتابا لِمزية من مزايا القرآن الكريم ولنكتة من نكاته البديعة إثباتا قاطعا بالبراهين الدامغة، ولاسيما رسالة 'المعجزات

القرآنية'، و 'المقام الثاني من الكلمة العشرين' الذي يستخرج كثيرا من خوارق الحضارة من القرآن الكريم أمثال القطار والطائرة و 'الشعاع الأول' المسمى بـ 'الإشارات القرآنية' الذي يبين إشارات آيات إلى رسائل النور وإلى الكهرباء، والرسائل الصغيرة الثمانية المسماة بـ 'الرموز الثمانية' التي تبين مدى الانتظام الدقيق في حروف القرآن الكريم، وكم هي ذات أسرار ومعان غزيرة، والرسالة الصغيرة التي تبين خواتيم سورة الفتح وتثبت إعجازها بخمسة وجوه من حيث الإخبار الغيبي، وأمثالها من الرسائل... فإن إظهار كل جزء من أجزاء رسائل النور لحقيقة من حقائق القرآن الكريم، ولنور من أنواره، كل ذلك تصديق وتأكيد بأن القرآن الكريم ليس له مثيل، وأنه معجزة، وخارقة، وأنه لسان الغيب في عالم الشهادة هذا، وأنه كلام علّام الغيوب''.[13]

وتجدر الإشارة إلى أن بعضاً من الباحثين درسوا الجهود البيانية اللغوية عند الأستاذ النورسي في رسائل وبحوث علمية، ونذكر منها –على سبيل الاستشهاد لا الحصر–:

– الدرس اللغوي عند النورسي، دلير عبد الله أحمد، ''رسالة ماجستير''، جامعة السليمانية، فاكلتي اللغات، ٢٠١١م: تناول الموضوع في تمهيد و فصلين وخاتمة، تناول التمهيد قبسات من سيرة الأستاذ النوري، في حين تناول الفصل الأول دلالت حروف المعاني عند النورسي في ثلاثة مباحث، أما الفصل الثاني فخصّه لمباحث من علم المعاني عند النورسي في أربعة مباحث ''دلالة الجملة الاسمية والجملة الفعلية، والتقديم والتأخير، والقصر، والإيجاز''.

– ''فعل الأمر منهجا تربويا في رسائل النور، المثنوي العربي نموذجا'' بحث للدكتورة ليلى محمد على جمعة من العراق، قدّمتهللندوة الدولية الثالثة للأكاديميين الشباب نظمت مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم عام ٢٠١١، أكّدت فيه أنّ المثنوي العربي يمثّل كتابا تربويا بصياغة عاطفية، وقد قامت بجرد الأفعال الواردة فيه، فوجدت أن الغالب فيه الابتداء بفعل الأمر وخلصت بعدها إلى الإشارة إلى أن النورسي أحس بضرورة العناية بفعل ''اعلم''، فما من صفحة إلاّ وتضمّنت ذكره مرة أو مرتين لأجل هذا سماها بالإعلامات.[14]

– نحو رؤية جديدة للدلالة النفسية لأسلوب التكرار في القرآن الكريم،[15] بحث للدكتور عزيز محمد عدمان، وأكد فيه: ''تُشكّل رسائل النور في مجملها معيناً خصباً للدراسة الأدبية والنقدية، والبلاغية والإعجازية؛ والمستقرئ لمباحثها وموضوعاتها يلفي أنها تناولت جملة من الأفكار والآراء الرصينة التي تحرّك الرغبة في البحث وتوقد جمرة التنقير عن كثير من المسائل التي تبدو لناظر متسرع أنها من مألوف القضايا، ومعهود المشكلات.

٢. تنطلق رؤية بديع الزمان لكثير من قضايا البلاغة، والإعجاز من نظرة كونية شاملة تتجاوز الإطار النمطيّ المستهلك إلى الغوص في أعماق النفس الإنسانية في تناقضاتها المتشعّبة.

٣. إنّ منهج التمثيل وآلياته عند بديع الزمان يوحي بخبرة عملية، ودربة ومران غير مسبوق في مقاربة قضايا البلاغة؛ ويشهد لهذه الخبرة التطبيقية كثرة شواهد رسائل النور القرآنية والنبوية، والاطّلاع الواسع والتبحر في التراث البلاغيّ والنقديّ عند القدماء؛ وأغلب الظن أن تمثل النورسيّ لأفكار القدماء وهضمها، واستيعابها مكّنه من توسيع مسالك النظر في البلاغة القرآنية، وتجديد زوايا التأمل وإلطاف التدبر، وإكداد النظر في موضوعاتها.

٤. إن حسّ بديع الزمان النقديّ والبلاغيّ المرهف هو الذي قادَه إلى الانطلاق في فضاءات معرفية محوجة لكثير من الصبر والأناة والرفق؛ وهي مساحات علمية مثقلة بهاجس السؤال، وألم البحث''.[16]

المبحث الأوّلُ

معايير الفكر الدّلالي عند النورسي في الرسائل

إنّ رسالة ''المعجزات القرآنية'' واحدة من رسائل عدّة صنّفها الإمام النورسي في مجموعة ''الكلمات''، ولكنّ هذه الرسالة تحديداً تمثل مساراً للفكر البياني اللغوي الذي انتهجه الشيخ النورسي، وبعد قراءة ما جاء فيها قراءة متأنية فاحصة تبيّن لنا أنّ الفكر البياني اللغويّ للنورسي ينتهج عدَّة معايير كلّيّة، وهي:

١. التكرار:

التكرار من كرَّ الفارس كرَّاً من باب قَتَلَ إذَا فَرَّ لِلْجَوَلَانِ ثُمَّ عَادَ لِلْقِتَالِ، ومنه اشتق تكرير الشيء وهو إعادته،[17] وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى،[18] وهو –في القرآن– على قسمين، لفظي ومعنوي،[19] وقد عُني النورسي بنوعي التكرار في رسائله عموماً، ورسالة المعجزات على وجه الخصوص، كون تلك الآيات كانت موضع انتقاد الملحدين والطاعنين في القرآن.

في التكرار إعجاز بديع، كما يقول النورسي: ''ثمَّ إنَّ القرآن الكريم يظهر نوعا من إعجازه البديع أيضا في 'تكراره البليغ' لجملةواحدة، أو لقصة واحدة، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى معان عدة وعبرَ كثيرة في تلك الآية أو القصة، فاقتضى التكرار حيث إنه كتاب دعاء ودعوة كما أنه كتاب ذكر وتوحيد، وكل من هذا يقتضي التكرار، فكل ما كرر في القرآن الكريم إذن من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة... إنَّ تكرّر الحاجة يستلزم التكرار، هذه قاعدة ثابتة، لذا فقد أجاب القرآن الكريم عن أسئلة مكررة خلال عشرين سنة فأرشد بإجاباته المكررة طبقات كثيرة من المخاطبين''.[20]

والتكرار إما أن يكون ممدوحاً أو مذموماً،[21] والمعيار في التفريق بينهما، قبول المتلقي له أو رفضه، فلا يشعر بالملل في الممدوح، والتكرار القرآني تكرار مشوّق لا يُشعر بسأم ولا تضجّر، قال النورسي مؤكّدا ذلك: ''إن القرآن كما هو بليغ خارق من حيث أسلوبه وبيان معناه، فهو فصيح في غاية السلاسة في لفظه والدليل القاطع على فصاحته هو عدم إيراثه السأم والملَلَ. كما أن شهادة علماء فن البيان والمعاني برهان باهر على حكمة فصاحته. نعم، لو كرُر ألوف المرات فلا يورث سأما ولا مللا، بل يزيد لذة وحلاوةً... ثم إنه لايثقل على ذهن صبي بسيط فيستطيع حفظه... ولا تسأم منه أذُن المصاب بداء عضال الذي يتأذى من أدنى كلام، بليتلذذ به... وكأنه الشراب العذب في فم المحتضر الذي يتقلب في المسكَرات، وهو لذيذ في أذنه ودماغه لذة ماء زمزم في فمه.

والحكمة في عدم الملل والسأم من القرآن هو أن القرآن قوت وغذاء للقلوب، وقوّة وغَناء للعقول، وماء وضياء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس، لذا لا يُمَلُّ''.[22]

والتكرار القرآني قد يكون تصريحاً أومضموناً، كما في تكرار حقيقة التوحيد: ''وهكذا نرى أمثال هذه الأسس فيما تشتمل عليه أنواع التكرار في القرآن الكريم حتى نرى أنه يعبر أكثر من عشرين مرة عن حقيقة التوحيد –صراحة أو ضمنا– في صحيفة واحدة من المصحف وذلك حسب اقتضاء المقام، ولزوم الحاجة إلى الإفهام، وبلاغة البيان، فيهيج بالتكرار الشوق إلى تكرار التلاوة، ويمد به البلاغة قوة وسموا من دون أن يورث سأما أو مللا''.[23]

والأمر ينطبق أيضاً على تكرار الحروف، فكل تكرار يغلق ثغرة من الثغرات الشيطانية، فبعد ذكره لآيات من سورة الطور (٢٩–٤٣) يقول: ''من بين آلاف الحقائق التي تتضمنها هذه الآيات الجليلة سنبين حقيقة واحدة فقط مثالا للإلزام وإفحام الخصم. كالآتي: إن هذه الآيات الكريمة تلُزم جميع أقسام أهل الضلالة وتسُكتهُم، وتسد جميع منابت الشبهات وتزيلهُا، وذلك بلفظ: أم أم، بخمس عشرة طبقة من الاستفهام الإنكاري التعجبي، فلا تدعَ ثغرة شيطانية ينزوي فيها أهل الضلالة إلا وتسدهُّا''،[24] وقال بعد ذكره لآية سورة الروم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾الروم:٢٢ وتكرار ﴿ومن آياته﴾ ست مرات: ''إنما هي سلسلة جواهر، سلسلة نورٍ، سلسلة إعجاز، سلسلة إيجاز إعجازي، يتمنى القلب أن أبيّن الجواهر الكامنة في هذه الكنوز، ولكن ما حيلتي فالمقام لا يتحملهُ، فلا أفتح ذلك الباب، وأعلّق الأمر إلى وقت آخر بمشيئة الله''.[25]

ووقف أيضاً عند تكرار ﴿بسم الله الرحمن الرّحيم﴾ مائةً وأربع عشرة مرّةً وتكرار ﴿وإنّ ربَّكَ لهو العزيز الرَّحِيم﴾ ثماني مرّات في سورة الشعراء، وتكرار ﴿فبأيّ آلاء ربّكما تكذِّبان﴾ في سورة الرحمن، وتكرار ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين﴾ في سورة المرسلات،[26] وتكرار ''محمد رسول الله'' مقروناً بـ ''لا إله إلا الله'' دليلاً على أنَّ الرسالة المحمدية هي أكبر حقيقة في الكون.[27]

وللقصّة القرآنية وتكرارها مكانة في أسلوب الأستاذ النورسي، فيقول في أكثر من موضع: ''ومثلاً: قصة موسى عليه السلام من القصص القرآنية، فيها من العبر والدروس بقدر ما في عصا موسى عليه السلام من الفوائد، إذ فيها تطمين للرسول ﷺ وتسلية له، وتهديد للكفار، وتقبيح للمنافقين، وتوبيخ لليهود وما شابهها من المقاصد، فلها إن وجوه كثيرة جداً. لذا كرّرت في سور عدّة. فمع أنها تفيد جميع المقاصد في

كل موضع إلّا أن مقصداً منها هو المقصود بالذات، وتبقى المقاصد الأخرى تابعة لها''،[28] وقال في موضع آخر: ''إنّ قصة موسى عليه السلام قد تكررت كثيراً في القرآن الكريم، إذ إن في كل جملة منها، وفي كلّ جزءٍ منها إظهارا لطرفٍ من دستور كُلّي، وويعبّر عن ذلك الدستور''.[29]

ومما يؤكّد عذوبة القرآن الكريم أنَّ تلاوته على التكرار لا تورث مللاً، فقال الشيخ النورسي: ''إنَّ القرآن الكريم قد أظهر عذوبةً وحلاوةً ذات أصالة وحقيقة بحيث إن التكرار الكثير –المسبب للسآمة حتى من أطيب الأشياء– لا يورث الملال عند منَ لم يفسد قلبهُ ويبلد ذوقهُ، بل يزيد تكرار تلاوته من عذوبتهَ وحلاوته. وهذا أمر مسلم به عند الجميع منذ ذلك العصر، حتى غدا مضرب الأمثال.

وكذا فقد احتقظ القرآن الكريم بطراوته وفتوته وجدّته وكأَنَّهُ قد نزل الآن، رغم مرور أربعة عشر قرناً من الزمان عليه''.[30]

٢. الإحالة:

الإحالة مصدر الفعل أحال، وهو التغيّر ونقل الشيء، ويقال: حال الشيءُ وأحالَ تحوّل،[31] واصطلاحاً هو كلمة أو عبارة مكان أخرى سابقة أو لاحقة في النص وخارجه، بما يؤدي لذكر العنصر الإشاري والتعويض عنه بعنصر ما يسهم في تحقيق التماسك النصّي، ومن ثم فالإحالة تقوم على مبدأ التماثل بين العنصر الإحالي وما سبق ذكره في مقام آخر،[32] وتبدو الإحالة سمة بارزة في الرسائل بصورة عامّة ورسالة المعجزات القرآنية، وأخذت –عند النورسي– منحيين آثنين، وهما:

– الإحالة إلى جزئيات الرسائل الأخرى (الشعُلَ والأشعة واللمعات والمقامات والأنوار والأغصان والأضواء والأمثلة):

لا يمكن لقاريءرسائل النور ودارسها تجزءتها، والتفريق بين أجزائها، بل لا بدّ من قراءتها قراءة كلية، فهي مترابطة الأجزاء متماسكة الأفكار والنصوص، والدليل على ذلك أن للشيخ طريقة في الإحالة بديعة، فهو في الغالب يشير إلى المواضع الأخرى التي ترد فيها المسألة، ويحددها للقاريء، مما ينبئ عن دقّة الشيخ وقوة حفظه واتقانه لما كتبه، ونذكر منها: إشارة الشيخ وبعد ذكره لمثال من أمثلة مقام ''الإثبات'' ذات الإعجاز والإيجاز في قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ

وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾يس:٧٩ ''ففي المثال الثالث من الحقيقة التاسعة للكلمة العاشرة تصوير لطيف لهذه المسألة''.[33]

وبعد ذكره لمثال لآلاف أمثلة مقام الإرشاد مستشهدا بالآية ٧٤ من سورة البقرة ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقول الشيخ النورسي ''فكما أوضحنا وأثبتنا في مبحث الآية الثالثة من 'المقام الأول' للكلمة العشرين فإن الآية هذه تخاطب بني إسرائيل قائلة: ماذا أصابكم...''[34]

وقال في موضع آخر: ''ولقد بينا هذه الحقيقة بتمثيل عجيب في 'الغصن الثاني من الكلمة الرابعة والعشرين'. أما هنافسنورد مثالاً آخر يشير إلى المسألة نفسها''،[35] ''وتفتح من كل شيء نافذة تدلّ على الصانع الجليل وتعرّفه. وقد أثبتت هذه الحقيقة بوضوح في سائر الكلمات وفي الرسالة العربية 'قطرة' المترشحة من بحر القرآن''.[36]

وقد أشار إلى الرشحة الرابعة عشرة من الكلمة التاسعة عشرة ''حكمة التكرار في القرآن''... وإلى المقام الثاني من الكلمة العشرين ''لمعة من إعجاز القرآن'' بقوله: ''كما قد أوضحت بجلاء لمعة من إعجاز القرآن التي تتلألأ على وجه معجزات الأنبياء عليهم السلام، وذلك في المقام الثاني من الكلمة العشرين، وذكرت كذلك أمثال هذه اللمعات في سائر 'الكلمات' وفي رسائلي العربية[37] فنكتفي بها.''،[38] ومثله قوله: ''سنشير إلى مثالين اثنين من آلاف أمثلة. المثال الأول: هو الآيات الثلاث التي فصّلنا شرحها في المقام الأول من 'الكلمة العشرين'.''[39]

وقد أورد لفظ ''الإحالة'' زيادة للمعلومة واجتناباً للتكرار المخل، كما قي قوله: ''إنَّ فلسفة البشر التي تحاول أن تتصدى لحكمة القرآن الكريم وتسعى لمعارضتها، قد سقطت وهوت أمام حكمة القرآنالسامية... كما أوضحنا ذلك في 'الكلمة الثانية عشرة' في أسلوب حكاية تمثيلية، وأثبتناه إثباتا قاطعا في كلمات أخرى. لذا نحيل إلى تلك الرسائل''،[40] أو يحيل إلى بداية رسالة ما أو خاتمتها، فقال: ''ومثلا كلمة 'تجري' في الآية الكريمة: ﴿والشمسُ تجري لمستقرّ لها﴾يس:٣٨ نفتح نافذة لأسلوب عالٍ–كما أثبت في ختام الكلمة التاسعة عشرة– وذلك: إنّ لفظ 'تجري' الذي...''،[41] أو الإحالة إلى مثال موضح سابقاً، فقال: ''فانظر إلى هذا المثال الموضّح في الكلمة الثالثة

عشرة''،[42] ومن ذلك أيضا قوله ''وقد قلت في رسالة أخرى في هذاالمعنى: 'نعم، إنّ الشمس مثمرة، تنتفض لئلا تتساقط الثمرات الطيبة ولو سكنت وسكتت، لانفقد الانجذاب، فيصرخ العشاق المنسّقونفي الفضاء الواسع هلعا من السقوط والضياع!'.''[43]

وكذا في بيانه للإخبار الغيبي: ''وحيث إن 'الكلمة الحادية عشرة' قد أوضحت وأثبتت نبذة من هذا القسم فلا داعي للتكرار... فراجع 'الكلمة العاشرة' لتلمس صواب الإخبار الغيبي عن الآخرة الذي أخبر به القرآن الكريم. فقد أثبتته تلك الرسالة ووضّحته أيّما إيضاح''،[44] ومنه أيضاً قوله: ''... نورد إجمالاً قسماً من دساتير المدنية والقرآن التي وضّحته وأثبتته 'الكلمة الثانية عشرة'،''[45] وأيضاً: ''وإن شئت فراجع 'الكلمة الثانية عشرة' و 'الثالثة عشرة' لتلمس عجز حكمة الفلسفةوإفلاسهَا وإعجاز حكمة القرآنوغناها''.[46]

– الإحالة إلى ''إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز'':

أكثر النورسي –رحمه الله تعالى– من التصريح بالإحالة إلى كتاب (الإشارات) لتقاربه من الكلمة الخامسة والعشرين في الموضوع والمعالجة، فقد ذكر بعد إيراده الآية ٢٣ من سورة البقرة مثالاً لمقام 'الإفحام والإلزام': ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ''سنشير هنا إشارة مجملة فحسب، إذ أوضحناه وأثبتناه وأشرنا إليه في 'إشارات الإعجاز' وهو: أن القرآن المعجز البيان يقول:...''،[47] وقال أيضاً: ''... نعم، ففي كتاب 'إشارات الإعجاز' ذكرنا هذه المعاني الموجودة هنا وأمثالها من المعاني المتعددة لكلمات القرآن، وأثبتناها وفق قواعد علم الصرف والنحو وحسب دساتير علم البيان وفن المعاني وقوانين فن البلاغة. وإلى جانب هذا فإن جميع الوجوه والمعاني التي هي صحيحة حسب علوم العربية، وصائبة وفق أصول الدين، ومقبولة في فن المعاني، ولائقة في علم البيان ومستحسنة في علم البلاغة، هي من معاني القرآن الكريم، بإجماع المجتهدين والمفسرين وعلماء أصول الدين وأصول الفقه وبشهادة اختلاف وجهات نظرهم. وقد وضع القرآن الكريم أمارات على كل من تلك المعاني حسب درجاتها وهي إما لفظية أو معنوية، والأمارة المعنوية هي: إما السياق نفسهُ أو سياق الكلام أو أمارة من آيات أخر تشير إلى ذلك المعنى. إن مئات الألوف

من التفاسير التي قد بلـغ بعضهُا ثمانين مجلدا –وقد ألفها علماء محققون– برهان قاطـع باهر على جامعية لفظ القرآن وخارقيته.

وعلى كل حال فلو أوضحنا في هذه الكلمة كل أمارة تدل على كل معنى من المعاني بقانونها وبقاعدتها لطالت بنا الكلمة، لذا نختصر الكلام هنا ونحيل إلى كتاب 'إشاراتالإعجاز في مظان الإيجاز'."[48]

"سنبين هذا الظهور القرآني المعجز وهذه الغالبية بمقدمة: إنّ أسّ أساس جميـع الاضظرابات والثورات في المجتمـع الإنساني إنّما هو كلمة واحدة، كما أن منبـع جميـع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضاً، كما أثبتّ في 'إشاراتالإعجاز'،"[49] وقد صرح بكتاب آخر معه في موضـع واحد، فقال: "فلو أردنا توضيح حقيقة هذا النور الأول بأمثلة، لاحتجنا إلى بضعة مجلدات. لذا نكتفي بالإيضاحات التي تخص هذه الحقيقة في كل من 'الرسائل العربية –وهي اثنتا عشرة رسالة ضمن كتاب المثنوي العربي النوري–' و 'إشارات الإعجاز' والكلمات الخمس والعشرين السابقة، بل القرآن الكريم بكامله مثال لهذه الحقيقة أبينه كلّه دفعة واحدة".[50]

٣. مرآة التمثيل والاستعانة بالتشبيه والنظير:

اتبـع النورسي التمثيل والتشبيه مرآةً ووسيلة للكشف عن دلالة الكلمات والمقاصد، لقناعته بالأثر الكبير الذي تتركه التشبيهات في نفوس الآخرين، فقال: "كذلك الأساليب القرآنيةوالتي تسمى بـ 'التنزلات الإلهية إلى عقول البشر' خطاب ينزل إلى مستوى مدارك المخاطبَين، حتى يفهم أشد العوام أميّة، من الحقائق الغامضة والأسرار الربانية ما يعجز حكماء متبحرون عن بلوغها بفكرهم، وذلك بالتشبيهات والتمثيلات بصور متشابهات"،[51] والاحتجاج بالتشبيه والتمثيل معروف في البحث الدلالي واللغوي، فالتشبيه تضـع الآية بهذا أمام عين خيال السامـع.[52]

فمما أورده النورسي من التمثيل بعد الآيات ﴿إذا السماء آنشقّت... وأذنت لربها وحُقَّتْ﴾ الانشقاق:١-٥ قوله: "تبين هذه الآيات مدى انقياد السماوات والأرض وآمتثالهما أوامرَ الله سبحانه، تنبيهاً بأسلوب عالٍ رفيـع، إذ كما أنَّ قائداً عظيماً يؤسس دائرتين عسكريتين لإنجاز متطلبات الجهاد، كشعب المناورة والجهاد، وشعب التجنيد والسوق إلى الجهاد... فكذلك السماوات والأرض دائرتان فتحتا للتكليف والامتحان..."[53]

ومثال النظير قوله: ''وحيث إن هذه المسألة عجيبة بذاتها فلا يرى العقل إليها سبيلا، إلا أنّ السورة كما تشير إلى الحشر الربيعي وكما أن للنقاط الأخرى نظائرهَا وأمثلتها كذلك نظير نشر الصحف ومثالها واضح جليّ''.[54]

ومثله قوله بعد الآية ﴿وَيَا سَمَآءُ اَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِيَ الْاَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:هود:٤٤ ''للإشارة إلى قطرةٍ من بحر بلاغة هذه الآية الكريمة نبين أسلوباً منها في مرآة التمثيل، وذلك أنَّ قائداًعظيماً في حربٍ عالميّةٍ شاملة يأمر جيشه بعد إحراز النصر 'أوقفوا إطلاق النار'...، كذلك فإنَّ السلطان الذي لا ندَّ له ولا مثيل، قد أمر السماوات والأرض بإهلاك قوم نوح... فانظر إلى علو هذا الأسلوب إذ الأرض والسماء كجنديين مطيعين مستعدّين للطاعة وتلقي الأوامر...''[55]

وقد شبه الدنيا بساعة يدوية كبيرة، فقال: ''فالدنيا كذلك، كأنها ساعة عظيمة أبدعتَها القدرة الإلهية، فعلى الرغم من أنها تبدو ثابتة مستقرة، فهي تتقلب وتتدحرج في تغير واضطراب دائمين، ضمن تيار الزوال والفناء،... فالدنيا –علاوة على هذه الصورة التي يمنحها الزمان– هي كالساعة أيضاً متغيرة غير ثابتة من حبث المكان، إذ إن 'الجو' –كمكان– في تبدل سريع وفي تغيّر مستمر...''[56]

وبعد ذكره لمثال من أمثلة مقام ''الإثبات'' ذات الإعجاز والإيجاز في قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾يس:٧٩ ''ففي المثال الثالث من الحقيقة التاسعة للكلمة العاشرة تصوير لطيف لهذه المسألة، على النحو الآتي: إن شخصاً عظيماً يستطيع أن يشكل أمام أنظارنا جيشاً ضخماً في يوم واحد. فإذا قال أحدهم: إنّ هذا الشخص يمكنه أن يجمع جنودَ طابوره المتفرقين للاستراحة ببوقعسكري فينتظم له في الطابور خالاً. وأنت أيها الإنسان إن قلت: لا أصدّق!!! تدرك عندئذٍ بعْدَ إنكارك عن العقل''،[57] ومثّل الأسماء الإلهية وصفاتها الجليلة بشجرة طوبى، فقال: ''فلنمثل – ولله المثل الأعلى– الأسماء الإلهية وصفاتها الجليلة والشؤون الربانية وأفعالها الحكيمة كأنها شجرة طوبى من نور تمتد دائرة عظمتها من الأزل إلى الأبد''.[58]

٤. الإيجاز:

الإيجاز هو ''تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر، وتخليصها من الدّرن، والإيجاز: البيان عن المعنى بأقلّ ما يمكن من

الألفاظ"،[59] وذكر النورسي "الإيجاز في اللفظ لإطناب المعنى، بإحالته على خيال السامع، بالاستمدادمن المقام".[60]

ولخص النورسي فائدة الإيجاز القرآني، فقال: "إن لأسلوب القرآن جامعية عجيبة، حتى إن سورة واحدة تتضمن بحر القرآن العظيم الذي ضم الكون بين جوانحه وإن آية واحدة تضم خزينة تلك السورة وإن أكثر الآيات –كل منها– كسورة صغيرة، وأكثر السور –كل منها– كقرآن صغير فمن هذا الإيجاز المعجز ينشأ لطف عظيم للإرشاد وتسهيل واسع جميل لأن كل إنسان على الرغم من حاجته إلى تلاوة القرآن كل وقت، فإنه قد لا يتاح له تلاوته، إما لغباوته وقصور فهمه أو لأسباب أخرى فلكي لا يحُرمَ أحد من القرآن فإن كل سورة في حكُم قرآن صغير، بل كل آية طويلة في مقام سورة قصيرة".[61]

وقد وقف النورسي على الإيجاز الدقيق في بعض آيات التنزيل، فذكر بعد الآية ﴿وَيَا سَمَآءُ اَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِيَ الْاَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾هود:٤٤ بأنك "... ترى أن الآية قد جمعت ببيان موجز جميل مجمل في بضع جمل حادثة الطوفان التي هي عامة وشاملة مع جميع نتائجها وحقائقها، فقس قطرات هذا البحر الأخرى على هذه القطرة"،[62] إذ في الآية "نظم للمعاني لطيف، وتأدية لها ملخصة مبينة، لا تعقيد بعثر الفكرة في طلب المراد، ولا التواء يشيك الطريق على المرتاد بل إذا جربت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق ألفاظها، فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق على أذنك إلا ومعناها أسبق على قلبك. وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة، جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات، سليسة على الإسلاسات، كل منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرقة".[63]

ومن الإيجاز بالحذف مثّل الأستاذ بما جاء في قوله تعالى" ﴿فأرسلون. يوسُفُ أيُّها الصّدّيقُ﴾يوسف:٤٥-٤٦ فبين كلمة ﴿فأرسلون﴾ وكلمة ﴿يوسُفُ﴾ يكمنُ معنى العبارة التالية: 'إلى يوسف لأستَعبر منه الرؤيا، فأرسَلوه، فذهب إلى السجن، وقال...' بمعنى أنه أوجز عدة جملَ في جملة واحدة دون أن يخلّ بوضوح الآية ولا أشكل في فهمها".[64]

ومن الإيجاز الاكتفاء بالإشارة وبيان نموذج واحد، فقال: ''إن بيان معنى هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿أفَلَم ينظرول﴾ إلى ﴿كذلك الخُرُوج﴾ق:٦-١١على وجه أفضل يتطلب منا وقتا طويلا فنكتفي بالإشارة إليه ونمضي إلى شأننا''،[65] ومنه أيضاً: ''هذا وإنّ بعض الآيات –إلى جانب جميع الإشارات المذكورة– تتضمن مزايا أخرى عديدة لم نتطرق إليها من بحثنا، فيشاهد من إجماع تلك المزايا نقش إعجازي بديع يراهُ حتّى العميان''.[66]

٥. الذوق وتدقيق النظر:

الذوق هو ''حصول ملكة البلاغة للسان، وتتحصل هذه الملكة من خلال ممارسة كلام العرب وتكرار سماعه والتفطن لخواص تركيبه''،[67] وضع النورسي الذوق أو التذوق وسيلة لفهم بلاغة دقائق الآيات القرآنية، والذوق البلاغي هو''قدرة صاحب الطبع الأدبي، والذكاء اللماح، والقريحة النفاذة على بيان المزايا البلاغية التي تحدث في النظم، بسبب الفروق والوجوه التي تكون بين كلام وكلام وشعر وشعر، فيقف على أسباب الجودة ليحتذيها، وعلى أسباب الرداءة ليتجنبها في تأليفه ونقده''،[68] وأورد الأستاذ بأن الذوق السليم نابع الفطرة السليمة، فقال: ''وهكذا فلأن حقائق القرآن المكررة تملك هذه القيمة الراقية وفيها من الحكِم ما فيها، فالفطرة السليمة تشهد أن في تكراره معجزة معنوية قوية وواسعة، إلا منَ مرض قلبهُ وسقَم جدانهُ بطاعون المادية''.[69]

بعد التشبيه الوارد في قوله تعالى ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَديم﴾يس:٣٩ وفي منتهى التناسق والعلو فإن كنت صاحب ذوق تدرك ذلك''،[70] ولا يمكن الوصول لتذوق دقائق الإعجاز ما لم ينتقل المتلقي شعوريّاً إلى الموقف المحدد الذي يتناوله التعبير القرآني، فقال تعقيباً على تسبيح السماوات السبع والأرض لخالقها، فقال: ''كذا تتحول وجه الأرض التي تضم المخلوقات الضعيفة العاجزة بذلك الصدى السماوي إلى رأس عظيم، والبر والبحر لسانين يلهجان بالتسبيح والتقديس وجميع النباتات والحيوانات كلمات ذاكرة مسبحة، حتى لكأن الأرض كلها تنبض بالحياة. وهكذا بانتقالك الشعوري إلى ذلك العصر تتذوق دقائق الإعجاز في تلك الآية الكريمة وبخلاف ذلك تحرمَ من تذوق تلك الدقائق اللطيفة في الآية الكريمة.

نعم، إنك إذا نظرت إلى الآيات الكريمة. من خلال وضعك الحاضر الذي استنار بنور القرآن منذ ذلك العصر حتى غدا معروفا، وإضاءته سائر العلوم الإسلامية، حتى وضحت بشمس القرآن. أي إذا نظرت إلى الآيات من خلال ستار الإلفة، فإنك –بلا شك– لا ترى رؤية حقيقية مدى الجمال المعجز في كل آية، وكيف أنها تبدد الظلمات الدامسة بنورها الوهاج، ومن بعد ذلك لا تتذوق وجه إعجاز القرآن من بين وجوهه الكثيرة''.[71]

وقد عُني النورسي بالتدقيق والنظر، فألحّ على طالب الرسائل إنعام النظر والاستنباط في أسلوب القرآن الخارق وسوره العديدة، فقال: ''...فانظر إلى هذا الأسلوب الخارق في هذه الجمل وأنعِم النظر فيه''[72] ويقول أيضاً: ''فأنعم النظر في هذه اللمعة ذات الإعجاز، وهي أن الألف والياء لأنهما أخف حروف الهجاء وتنقلب إحداهما بالأخرى كأنهما أختان...''[73] فهو ''إذا أنعم النظر في سور القرآن الكريم وآياته، ولا سيما فواتح السور فواتح السور، ومبادئُ الآيات ومقاطعها تبيّن: أنَّ القرآن المعجز قد جمع أنواع البلاغة... نعم إذا أُنعِمَ النظر في آيات القرآن الكريم بعين الإنصاف، شوهدت أنها لا تشبه فكراً تدريجياً متسلسلاً يتابع مقصداً أو مقصدين كما هو الحال في سائر الكتب''.[74]

وقال في قوة الاستنباط: ''نعم، إن الذي يفعل هذا أمام أعيننا بكل حكمة وحفظ وتدبير وتربية ولطف هو الذي يقول: ﴿وإذا الصُّحُفُ نشِرَت﴾... وهكذا قس النقاط الأخرى على هذا المنوال وإن كانت لديك قوة استنباط فاستنبط''، لأنَّ النظر الدقيق يؤدّي –حسب قول الشيخ– إلى كشف الوجه الصبوح بدل الوجه القبيح الظاهري للدنيا، فقال: ''وهكذا فإن القرآن الكريم بجميع آياته المتوجهة للكون (أي الآيات الكونية) يمضي على هذا الأساس، فيكشف عن حقيقة الدنيا كما هي، ويبينها للأنظار ويصرف نظر الإنسان ببيانه إلى مدى دمامة وجه الدنيا القبيح –بتلك الآيات– ليتوجه إلى الوجه الصبوح الجميل للدنيا الجميلة، ذلك الوجه المتوجه إلى الصانع الجليل فيوجّه نظر الإنسان إلى هذا الوجه، ملقنا إياه الحكمة الصائبة والفلسفة الحقبما يعلّمه من معاني كتاب الكون الكبير مع التفاته إلى حروفه ونقوشه، من دون أن يبدد جهوده فيما لا يعنيه من أمور نقوش الحروف الزائلة كما تفعله الفلسفة الثملة العاشقة للقبح، حيث أنستَهْ النظر إلى المعنى والمغزى''،[75] ولا يمكن التغافل عن الإعجاز المعنوي

عند مَنْ ينعم النظر، فقال: ''فالقرآن يرى جميع الدساتير التي تحقق سعادة الدارين ويبينها مع بيانه كل ركن من أركان الإيمان الستة بالتفصيل، وكل ركن من أركان الإسلام الخمسة بقصد وجدّ محافظاً على الموازنة فيما بينها جميعا مديما تناسبها، فينشأ من منبع الجمال والحسن البديع الحاصل من تناسب مجموع تلك الحقائق وتوازنها إعجاز معنوي رائع للقرآن''.[76]

المبحث الثاني

وسائل الكشف عن المعنى عندَ النورسي

اتخذ الأستاذ النورسي –رحمه الله تعالى– وسائل عدّة للكشف عن دلالات الآيات التي اختارها في رسالته المعجزات القرآنية، وبعد القراءة والاستقراء تبين لنا مجموعة من هذه الوسائل، ونذكر منها:

١. المقارنة والموازنة المعنوية (الدلالية):

وجدنا الشيخ يعقد مقارنات بين ثنائيات متضادة، ليصل إلى الدلالات المرجوة والأفكار التي تتجلي أكثر بالأضداد والنقيض، ومن هذه المقارنات الوقوف عند فلسفة المدنيةوالنظرة القرآنية في أكثر من موضع بغية الوصول إلى كشف المعالجات القرآنية للكثير من القضايا وإبراز حكمة القرآن في تناولها، فالمدنية والمادّيات خاسرة أمام حكمة القرآن ومعجزته، ''فكما أن المدنية الحاضرة تخسر وتغُلبَ أمام دساتير القرآن المتعلقة بحياة الإنسان الاجتماعية، فيظُهر إفلاسهَا –من زاوية الحقيقة– إزاء إعجاز القرآن المعنوي، كذلك فإن فلسفة أوربا وحكمة البشر (وهي المدنية) عند الموازنة بينها وبين حكمة القرآن بموازين الكلمات الخمس والعشرين السابقة، ظهرت عاجزة وحكمة القرآن معجزة، وإن شئت فراجع 'الكلمة الثانية عشرة' و'الثالثة عشرة' لتلمس عجز حكمة الفلسفةوإفلاسهَا وإعجاز حكمة القرآنوغناها.

وأيضا، فكما أن المدنية الحاضرة غلبت أمام إعجاز حكمة القرآن العلمي والعملي، كذلك آداب المدنية وبلاغتهُا فهي مغلوبة أمام الأدب القرآني وبلاغته''.[77]

وقال في الفرق بين فلسفة البشر ونظرة القرآن للدنيا: ''أننا سنعقد هنا موازنة جزئية بسيطة بينهما من جانب آخر وهو جانب نظرتهما إلى الدنيا، كالآتي: إنَّ فلسفة البشر وحكمته تنظر إلى الدنيا على أنها ثابتة دائمة، فتذكر ماهية الموجودات إن وخواصها

ذكرا مفصلا مسهبا، بينما لو ذكَرت وظائف تلك الموجودات الدالة على صانعها فإنها تذكرها ذكرا مجملا مقتضبا أي إنها تفصل في ذكر نقوش كتاب الكون وحروفه، في حين تعير معناه ومغزاه اهتماما كبيرا.

أما القرآن الكريم فإنه ينظر إلى الدنيا، على أنها عابرة سيالة، خدّاعة سيارة، متقلبة لا قرار لها ولا ثبات، لذا يذكر خواص الموجودات وماهياتها المادية الظاهرة ذكرا مجملا مقتضبا، بينما يقصّل تفصيلا كاملا لدى بيانه وظائفها التي تنمّ عن عبوديتها التي أناطها بها الصانع الجليل، ولدى بيانه مدى انقياد الموجودات للأوامر التكوينية الإلهية، وكيف وبأي وجه من وجوهها تدل على أسماء صانعها الحسنى''.[78]

– المجمل والمفصّل:

للمجمل فوائده عند النورسي، كما للتفصيل غاياته، لذا لجأ إليهما في أكثر من موضع، ومنها قوله: ''إنَّ القرآن الكريم قد يذكر أفعال الله سبحانه بالتفصيل، ثم بعد ذلك يوجزها ويجمِلها بخلاصة. فهو بتفصيلها يورث القناعة والاطمئنان، وبإيجازها وإجمالها يسهّل حفظها وتقييدها''،[79] إذا بهما تظهر الحقيقة ساطعة، قال الشيخ: ''ففي بحثنا هذا، سنلقي نظرة عجَلىَ على الفرق بين نظرة الفلسفة ونظرة القرآن إلى الدنيا والموجودات من حيث هذا الإجمال والتفصيل، لنرى أين يقف الحق الأبلج والحقيقة الساطعة''.[80]

– الجزئية والكلّية:

حاول الأستاذ النورسي إظهار ثنائية الجزئية والكلية في كلمته عن المعجزات القرآنية، وهذه الجزئيات عادةً تنبني على أمور مادّية عرضية، أما الكليات فهي قواعد نابعة من الثوابت الدائمة، وقال: ''إنَّالقرآن قد يذكر الجزئيات المادية المعرضَّة للتغير والتي تكون مناط مختلف الكيفيات والأحوال، ثم لأجل تحويلها إلى حقائق ثابتة يقيدها ويجُمْلِها بالأسماء الإلهية التي هي نورانية وكلية وثابتة، أو يأتي بخلاصة تسوق العقل إلى التفكر والاعتبار''،[81] أو'' قد ينَشر أحكام الربوبية على الكثرة الواسعة المنتشرة، ثم يضع عليها مظاهر الوحدة، ويجمعها في نقطة توحدها كجهةواحدة بينها، أويمكنها في قاعدة كلية''،[82] ''لأجل أن يحوّل تلك الجزئيات إلى قاعدة كلية ويجيل الأذهان فيها يثبت ذلك المقصد الجزئي ويقرره ويؤكده بالأسماء الحسنى التي هي قاعدة كلية. فمثلا: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ

وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾المجادلة:١ تفيد الآية بأنَّ الذي يسمع أدنى حادثة من المخلوقات ويراها يلزم أن يكون ذلك الذي يسمع كلّ شيْ ويراه، وهو المنزَّه على الممكنات''.[83]

وذكر في الفرق بين السور المكية والمدنية فضلا عن مراعاة حالة المخاطبين ما نصه: ''فغالبا ما نجد الآيات المدنية واضحة سلسة بأسلوب بياني معجز خاص بالقرآن الكريم ولكن ذكر القرآن فذلكة قوية أو نتيجة ملخصة أو خاتمة رصينة أو حجة دامغة تعقيبا على حادثة جزئية فرعية، يجعل تلك الحادثة الجزئية قاعدة كلية عامة''.[84]

واستشهد النورسي بمثال آخر، وجعل من واقعة الإسراء والمعراج سياحة جزئية تنبيء عن سياحة كلية، فقال: بأنَّ ''الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ إما أن يرجع إلى الله تعالى، أو إلى الرسول الكريم ﷺ. فإذا كان هذه السياحةراجعا إلى الرسول ﷺ، فإن قوانين البلاغةومناسبة سياق الكلام تفيدان أن هذه السياحة الجزئية، فيها من السير العمومي والعروج الكلي ما قد سمَع وشاهدَ كل ما لاقى بصَرَه وسمعهَ من الآيات الربانية، وبدائع الصنعة الإلهية في أثناء ارتقائه المراتب الكلية للأسماء الإلهية الحسنى البالغة إلى سدرة المنتهى، حتى كان قاب قوسين أو أدنى مما يدل على أن هذه السياحة الجزئيةهي في حكُم مفتاح لسياحة كلية جامعة لعجائب الصنعة الإلهية''.[85]

ومن الثنائيات أيضا الجمع بين الأفعال الدنيوية العجيبة والمعجزات الأخروية، فقال: ''إنَّ القرآن الكريم قد يذكر من أفعال الله الدنيوية العجيبة والبديعة كي يعُدّالأذهان للتصديق ويحُضر القلوب للإيمان بأفعاله المعجزة في الآخرة، أو إنّه يصوّر الأفعال الإلهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل والآخرة بشكل يجعلنا نقتنع ونطمئن إليه بما نشاهده من نظائرها العديدة''.[86]

– المقدّمات والخلاصات:

ومن الثنائيات أيضاً الجمع بين المقدمات والخلاصات ''الفذلكات''، وترتبط هذه الخلاصات بالأسماء الحسنى، فقال –رحمه الله تعالى–: ''قد تذكر الآية ما اقترفه الإنسان من سيئات، فتزجره زجرا عنيفا، ثم تختمها ببعض من الأسماء الحسنى التي تشير إلى الرحمة الإلهية لئلا يلقيه الزجر العنيف في اليأس والقنوط''، وبعد إيراده لآيات في سورة الإسراء: ٤٢–٤٤ وبيانه لعشرة إشارات إعجازية قال: ''فافهم من هذه

الإشارات العشر الإعجازية، أن في الخلاصات والفذلكات التي في ختام الآيات لمعات إعجازية كثيرة، فضلا عما تترشّح منها من رشحات الهداية الغزيرة، حتى بلغ بدهاة البلغاء أنهم لم يتمالكوا أنفسهم من الحيرة والإعجاب أمام هذهالأساليب البديعة فقالوا: ما هذا كلام البشر، وآمنوا بحق اليقين بقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى﴾''، النجم:٤ 87 وغيرها من الخلاصات.[88]

٢. التساؤل والإجابة عنه (الفنقَلَة):

إنَّ القاريء للرسائل يلمح أسلوب ''الفنقَلَة'' فيها، ويقصد به افتراض الأسئلة والجواب عنها، ولم تخل الرسالة الخامسة والعشرون منها، وهو أسلوب تعليمي لدى العلماء السابقين، ويكون بعدّة صيغ، منها: ''فإن قلتَ: كذا... فالجواب:...، أو: فإن قيل: كذا... قلتُ:...، أو: فإن قال قائل: كذا... قيل:...''، وهي طريقة السؤال والجواب، وممّن اشتهر بهذا الأسلوب الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ويبدو أنَّ الشيخ تأثر بأسلوبه، لا سيّما أنه صرّح باسمه في أكثر من موضع في ''الكلمات''،[89] وغيرها.[90]

ومثال ذلك قوله: ''إذا قلت: كيف نفهم أن القرآن قد أراد جميع تلك المعاني التي جاءت في الأمثلة السابقة، ويشير إليها؟

فالجواب: ما دام القرآن الكريم خطابا أزليا، يخاطب به الله سبحانه وتعالى مختلف طبقات البشرية المصطفة خلف العصور ويرشدهم جميعا، فلابد أنه يدُرج معاني عدة لتلائم مختلف الأفهام، وسيضع أمارات على إرادته هذه''.[91] ومثله ما ذكر في التعامل مع الآيات القرآنية بنظرتين: السطحية والأخرى العميقة، فسأل في معرض الفرق بين الآيات المكية والمدنية، فقال: ''سؤال: إن النظرة السطحية العابرة لا تستطيع أن ترى ما يورده القرآن الكريم من حقائق ذات أهمية، فلا تعرف نوع المناسبة والعلاقة بين فذلكة تعبر عن توحيد سام أو تفيد دستورا كليا، وبين حادثة جزئية معتادة، لذا يتوهم البعض أن هناك شيئا من قصور في البلاغة، فمثلا لا تظهر المناسبة البلاغية في ذكر دستور عظيم: ''وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٍ'' تعقيبا على حادثة جزئية وهي إيواء يوسف عليه السلام أخاه إليه بتدبير ذكي، فيرجى بيان السر في ذلك وكشف الحجاب عن حكمته؟ مقاصد القرآن الأربعة وهي: التوحيد، النبوة، الحشر، العدل...، ...سؤال آخر: ما حكمة سوق القرآن ألوف الدلائل لإثبات أمور الآخرةوتلقين التوحيد وإثابة البشر؟ وما السر في لفته الأنظار إلى تلك الأمور صراحةً وضمناً وإشارةً في كل سورة بل في

كل صحيفة من المصحف وفي كل مقام؟ الجواب: لأن القرآن الكريم ينبّه الإنسان إلى أعظم انقلاب يحدث ضمن المخلوقات ودائرة الممكنات في تأريخ العالم... وهو الآخرة''،[92] وغيرها من المواضع.[93]

٣. نوافذ الكلمات:

اتخذ الأستاذ بديع الزمان بعض الكلمات نوافذ لمعاني كثيرة وعوالم أوسع، فهي كلمات صغيرة لكنها تساند بعضها بعضاً، للوصول إلى المقاصد الكبيرة، فهو يقول بعد إيراده لقوله تعالى ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[الأنبياء:٤٦] ''تأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيعين كل الآخر، فكلّ يمدّ المقصد من جهته. هذا المثال الذي سقناهيلحظ اللفظ والمعنى''،[94] وقال عن كلمة (العرجون): ''والآن انظر إلى الأسلوب الذي يريه القرآن من نوافذ الكلمات، فمثلاً إلى كلمة 'العُرجون القديم' في الآية الكريمة ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَكَ الْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[يس:٣٩] كيف تعرض أسلوباً في غاية اللّطف''،[95] أمّا لفظ ''سراجاً'' فوقف عليه الشيخ وقفة متأنٍّ فاحص ومدقّق بارع، فقال: ''إن القرآن لا يبحث في الشمس لذات الشمس بل لمن نوَّرها وجعلها سراجا، ولا يبحث في ماهيتها التي لا يحتاجها الإنسان، بل في وظيفتها، إذ هي تؤدي وظيفة نابض 'زنبرك'لانتظام الصنعة الربانية، ومركز لنظام الخلقة الربانية، ومكوك لانسجامالصنعة الربانية، في الأشياء التي ينسجها المصور الأزلي بخيوط الليل والنهار. ويمكنك أن تقيس على هذا سائر الكلمات القرآنية، فهي وإن كانت تبدو كأنها كلماتمألوفة بسيطة، إلا أنها تؤدي مهمة مفاتيح لكنوز المعاني اللطيفة''،[96] وغيرها من الكلمات.[97]

٤. الاستشهاد والقياس:

يعدّ التوضيح معياراً أساساً في رسائل الشيخ النورسي، ومن آليات البيان والتوضيح الوقوف على قضية واحدة وبيانها، ثم تحويل القاريء إلى القياس عن ذلك، وهذا ما لمسناه في الرسالة الخامسة والعشرين كأنموذج للرسائل الأخرى، ومن ذلك قوله بعد الآيات ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ...﴾[الرحمن:٣٣-٣٦] يقول: ''قس في ضوء هذا المثال قوة معاني سائر الآيات ورصانة بلاغتها وسمو إفادتها''،[98] وذكر تفسير آيات من سورة النبأ: ''إنَّ الحدائق التي في صدر السورة تشير إلى رياض الجنة في الآخرة، فقس سائر النقاط على هذا لتشاهد علو الأسلوب ومدى لطافته''،[99] وصرّح

بالأمر في موضع آخر قائلاً: ''ولقد أوردنا من القرآن الكريم من جهة جامعية اللفظ من الكلام والكلمة والحروف والسكوت مثالاً فحسبُ من بين آلاف الأمثلة، فقس الآية والقصّة على ما أسلفناه''،[100] وغيرها من المواضع.[101]

٥. التخاطب على لسان الآخر:

وقد يتحدّث الشيخ بلسان الآخر، سواء أكان الآخر من المادّيات أو المعنويات، لينقل المتلقي إلى الجوّ أو الموقف الذي وردت فيه القصة أو المحاورة أو الحادثة، ومن ذلك قوله''إذ مثلما يقول ضوء الشمس: أنا منبعث من الشمس، فالقرآن كذلك يقول:'أنا كلام رب العالمين وبيانه'،''[102] وكذا قوله على لسان العلماء؟ ''خلَصُ العلماء المحققون –لدى إجراء تحقيقاتهم وأبحاثهم– إلى الانبهار والانشداه قائلِين: 'ما شاء الله.. بارك الله، إن الذي يحل طلسم الكون ويكشف معمّى الخلق إنما هو أنت وحدك أيها القرآن الحكيم!' ''[103]

المبحث الثالث:

سمات الأسلوب القرآني عند النورسي

يتسم الأسلوب القرآني بخصائص معينة، ومن خلال استقرائنا لأسلوب كتابة الأستاذ النورسي يمكننا إيجاز تلك الخصائص في الآتي:

١. في الآيات القرآنية دليل ونتيجة وتعميم حكم:

يتحدَّث الشيخ النورسي عن الأسلوب القرآني حديث العالم بدقائقه، والمفسّر لكلماته، والمتأمل لمقاماته، فيقول عن آيات سورة الإخلاص: ''هذه الآيات الجليلة فيها ست جمُل: ثلاث منها مثبتة وثلاث منها منفية، تثبت ستة أنواع من الشرك فكل جملة منها تكون دليلا للجمل ست مراتب من التوحيد كما ترد جملة معنيين، تكون باعتبار أحدهما نتيجةً، وباعتبارالأخرى كما تكون نتيجة لها لأن لكل الآخر دليلا''،[104] وقال في مقام ''الذمّ'': ''ومن بين آلاف أمثلة مقام 'الذم والزجر' الآية الكريمة ﴿... بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾الحجرات:١٢ تنهى هذه الآية الكريمة عن الغيبة بست مراتب وتزجر عنها بشدة وعنف، وحيث إن خطاب الآية موجّه إلى المغتابين، فيكون المعنى كالآتي: إنّالهمزة

الموجودة في البداية، للاستفهام الإنكاري، حيث يسري حكُمه ويسيل كالماء إلى جميع كلمات الآية، فكل كلمة منها تتضمن حكُما..."[105]

واستدلّ الشيخ النورسي بعجز الأدباء عن الإتيان بسورة –ولو قصيرة– تضاهي سور القرآن، فقال: "وكذا فإن عدم معارضة أدباء العرب الذين هم في المقدمة في الأدب، ولاسيما الذين لم يدخلوا في الإسلام مع رغبتهم الملحة في المعارضة، وعجَزهم عجزا تاما أمام وجه واحد، –وهو الوجه البلاغي– من بين وجوه الإعجاز السبعة الكبرى للقرآن، وعجزهم عن الإتيان بسورة واحدة فقط من سور القرآن الكريم، وصدودهم عن ذلك وعدم معارضته ممن أتى من مشاهير البلغاء وعباقرة العلماء لحد الآن لأي وجه من وجوه الإعجاز –مع رغبتهم في ذيوع صيتهم بالمعارضة– وسكوتهم بعجز وإحجامهم عن ذلك، لهو حجة قاطعة على أن القرآن الكريم معجزة فوق طاقة البشر".[106]

والقرآن يربط الأسباب بالمسببات، وقد أكد الأستاذ ذلك، فبعد ذكره لآيات في سورة عبس (٢٤–٣٢) قال: "هذه الآيات الكريمة تذكر معجزات القدرة الإلهية ذكرا مرتبا حكيما تربط الأسباب بالمسبَّبات، ثم في خاتمة المطاف تبين الغاية بلفظ: ﴿متاعاً لكم ولِأَنعامِكُم﴾ فتثبت في تلكالغاية أن متصرفا مستترا وراء جميع تلك الأسباب والمسببات المتسلسلة يرى تلك الغايات ويراعيها. وتؤكّد أنَّ تلك الأسباب ماهي إلا حجاب دونه".[107]

٢. أسلوب القرآن أسلوب بديع متين عالٍ خارق تعضده قوانين البلاغة وعلماؤها:

حاول النورسي أن يذكر كلّ صغيرة وكبيرة عن الأسلوب القرآني، واختصر كلامه بعبارات موجزة في اللفظ مفصلة في الدلالة، فهو أسلوب غريب بديع بعيد عن التقليد، فقال: "أساليب القرآن الكريم غريبة وبديعة كما أنها عجيبة ومقنعة، ولم يقلد أحدا قط ولا يستطيع أحد أن يقلده، فلقد حافظ وما يزال يحافظ على أساليبه وشبابيته وغرابته مثلما نزل أول مرة"،[108] وقال أيضاً: "أي التفوق والمتانة والهيبة، إذ كما أن في نظم القرآن جزالةً، وفي لفظه فصاحةً، وفي معناه بلاغةً، وفي أسلوبه إبداعا، ففي بيانه أيضا براعة فائقة. نعم، إن بيان القرآن لهو في أعلى مرتبة من مراتب طبقات

الخطاب وأقسام الكلام: كالترغيب والترهيب، والمدح والذم، والإثبات والإرشاد، والإفهام والإفحام''.[109]

ولم تخل كلماته من عبارات التواضع والعلمية والموضوعية حين يقف على موضوع يحتاج منه إلماماً أكثر، فقال برأيه في الحروف المقطعة: ''أما نحن فلن نفتح ذلك الباب لأننا لسنا أهلا لأسرارهم، زد على ذلك لا نستطيع أن نثبتها إثباتا يكون مشهودا لدى الجميع وإنما نكتفي بالإحالة إلى ما في «إشارات الإعجاز» من خمس أو ست لمعات إعجاز تخص المقطعات''.[110]

ويشهد لأسلوب القرآن الكريم الفريد والنادر علم البيان وعلم المعاني وألوف من أئمة العربية، فقال النورسي –رحمه الله تعالى–: ''إن القرآن الكريم قد جمع السلاسة الرائقة والسلامة الفائقة والتساند المتين والتناسب الرصين والتعاون القوي بين الجمل وهيئاتها، والتجاوب الرفيع بين الآيات ومقاصدها، بشهادة علم البيان وعلم المعاني وشهادة ألوف من أئمة هذه العلوم كالزمخشري والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني، مع أن هناك ما يقارب تسعة أسباب مهمة تخل بذلك التجاوب والتعاون والتساند والسلاسة والسلامة فلم تؤثر تلك الأسباب في الإفساد والإخلال، بل مدت وعضّدت سلاستهَ وسلامته وتسانده، إلا أنّ ما أجرتهْ بشيء من حكمها في إخراج رؤوسهامن وراء ستار النظام والسلاسة، وذلك لتدل على معان جليلة من سلاسة نظم القرآن، بمثل ما تخُرج البراعمبعض البروزات والندُب في جذع الشجرة المنسقة. فهذه البروزات ليست لإخلال تناسق الشجرة وتناسبها وإنما لإعطاء ثمرات يتم بها جمال الشجرة وكمال زينتها''.[111]

وذكر في موضع آخر أعلاماً معروفين حين تحدّث عن بلاغة القرآن، فقال: ''إنَّ القرآن الكريم قد أظهر بلاغة –أيما بلاغة– منذ ذلك العصر إلى زماننا هذا، حتّى إنَّهُ حطَّ من قيمة 'المعلقات السبع' المشهورة وهي قصائد أبلغ الشعراء، كتُبت بالذهب وعلُقت على جدران الكعبة، حتى إن ابنة 'لبيد' أنزلت قصيدة أبيها من على جدار الكعبة قائلة: 'أماَ وقد جاءت الآيات فليس لمثلك هنا مقام'.[112]

وكذا عندما سمع أعرابي الآية الكريمة: ﴿فَٱصْدَعْ بما تؤمَرْ﴾[الحجر:٩٤] خرَ ساجداً. فقيل له: 'أ أسلمت؟' قال: 'لا، بل سجدت لبلاغة هذه الآية' وكذا، فإنّ آلافا من أئمة البلاغة وفحول الأدب، أمثال عبد القاهر الجرجاني، والسكاكي، والزمخشري، قد

أقروا بالإجماع والاتفاق: أن بلاغة القرآن فوق طاقة البشر ولا يمكن أن يدُرك''،[113] وخلص إلى القول: ''والآن تذكَّر ما مضى في هذه الرسالة من أولها إلى هنا وانظر بمنظار مجموع ما فيها من الشعُلَ والأشعة واللمعات والأنوار والأضواء إلى نتيجة الدعوى المذكورة في أول الرسالة، تجدها تعلنها إعلانا بأعلى صوتها وتقرأها، تلك هي: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾''الإسراء: ٨٨''[114]

٣. الخطاب القرآني موجه للطبقات المختلفة:

أكّد الشيخ النورسي قضية دلالية مهمّة، وهي مراعاة الأسلوب القرآني لمستويات الخطاب، فهو خطاب مقبول لدى الآخرين، بمختلف طبقاتهم ومهنهم ومستواهم الثقافي والاجتماعي، فيدلو كل واحد منهم بدلوه، ويجد غايته فيه، وتطمئن نفسه إليه، من دون تعب ولا كلل ولا تكلّف، فقال بصدد بيان القرآن في ''الإفهام والتعليم'' بأنّه: ''خارق وذو لطافة وسلاسة، حتى إن أبسط شخص عامي يفهم بتلك البيانات أعظم حقيقة وأعمقهَا بيسر وسهولة. نعم، إنَّ القرآن المبين يرشد إلى كثير من الحقائق الغامضة ويعلم الناس إياها بأسلوب سهل وواضح وببيان شاف يراعي نظر العوام، من دون إيذاءٍ لشعور العامة ولا إرهاقٍ لفكر العوام ولا إزعاج له، فكما إذا ما حاور إنسان صبيا فإنّه يستعمل تعابير خاصة به، كذلك / الأساليب القرآنية والتي تسمى بـ 'التنزلات الإلهية إلى عقول البشر' خطاب ينزل إلى مستوى مدارك المخاطبَين، حتى يفهم أشد العوام أميّة، من الحقائق الغامضة والأسرار الربانية ما يعجز حكماء متبحرون عن بلوغها بفكرهم، وذلك بالتشبيهات والتمثيلات بصور متشابهات''.[115]

وقال في موضع آخر: ''إنَّ القرآن الحكيم يخاطب كل طبقة من طبقات البشر في كل عصر من العصور، وكأنه متوجه توجها خاصا إلى تلك الطبقة بالذات. إذ لما كان القرآن يدعو جميع بني آدم بطوائفهم كافة إلى الإيمان الذي هو أسمى العلوم وأدقهُّا، وإلى معرفة الله التي هي أوسع العلوم وأنورها، وإلى الأحكام الإسلامية التي هي أهم المعارف وأكثرهُا تنوعا، فمن الألزم إذن أن يكون الدرس الذي يلُقيه على تلك الطوائف من الناس، درسا يوائم فهمْ كلمنها. والحال أن / الدرس واحد، وليس مختلفا، فلابد إذن من وجود طبقات من الفهم في الدرس نفسه، فكل طائفة من الناس –حسب درجاتها– تأخذ حظهَّا من الدرس من مشهد من مشاهد القرآن. ولقد وافينا بأمثلة كثيرة لهذه الحقيقة، يمكن مراجعتها، أما هنا فنكتفي بالإشارة إلى طبقة أو

طبقتين منها من الفهم فحسب''،[116] وقسم المخاطبين بالنسبة إلى فهمهم لقوله تعالى ﴿لم يلِد ولم يولَد. ولم يكن له كُفُواً أحد﴾الإخلاص:٣-٤ على أربع طبقات: طبقة العوام، وطبقة أخرى متوسطة، وطبقة ثالثة أكثر تقدماً، وطبقة أعلى من البقية، ثم أردف قائلاً لك أن تقيس على هذه الطبقات أصحاب الحظوظ المختلفة في الإدراك، من أمثال طبقة العارفين وطبقة العاشقين وطبقة الصديقين وغيرهم...''[117] ونظر النورسي لهذه القضية نظرة أوسع وأبعد، ليقول: ''وكذا فإنَّ أخذ كلّ طبقة من طبقات البشر –ابتداء من الغبي الشديد الغباء والعامي، إلى الذكي الحاد الذكاء والعالِم– نصيبهَا كاملا من الدروس التي يلقيها القرآن الكريم، وفهَمْهَم منه أعمق الحقائق، واستنباط جميع الطوائف من علماء مئات العلوم والفنون الإسلامية، وبخاصة مجتهدي الشريعة السمحة ومحققي أصول الدين وعباقرة علم الكلام وأمثالهم، واستخراجهم الأجوبة الشافية لما يحتاجونه من المسائل التي تخص علومهم من القرآن الكريم، إنما هو تصديق بأن القرآن الكريم هو منبع الحق ومعدن الحقيقة''.[118]

ويقول عن جامعية القرآن الخارقة: ''هذه الجامعية واضحة جلية في الآيات المذكورة في 'الكلمات' السابقة وفي هذه 'الكلمة'. نعم، إن الألفاظ القرآنية قد وضُعت وضعا بحيث إن لكل لكل حرف بل حتى لسكوت أحيانا وجوها كثيرة جدا، تمنح كل مخاطب حظةَ ونصيبه منأبواب مختلفة، كما يشير إلى ذلك الحديث الشريف، فلكل آية ظهر وبطن وحد ومطّلع، ولكل شجون وغصون وفنون''،[119] وأنَّ لكلّ من العامّي والشاعر والبدويّ البليغ والجغرافيّ الأديب والمتخصص في أمور المجتمع والملمّ بمتطلبات الحضارة الحديثة وفيلسوف طبيعي حصته في فهم كلام ربّ العالمين.[120]

وما أبلغ قول الشيخ وأوجزه حين يقول: ''فهذا الخطاب الجليل الذي اكتسب من السعة والسمو والإحاطة والشمول ما اكتسب، يبرز إعجازا رائعا وإحاطة شاملة، بحيث: إنمراتبه الفطرية والظاهرية التي تلاطف أفهامالعوام البسيطة –وهم معظم المخاطبين– تمنح في الوقت نفسه حصة وافرة لأعلى المستوياتالفكرية ولأرقى الطبقات العقلية، فلا يهب لمخاطبيه شيئا من إرشاداته وحدها، ولا يخصهم بعبرة من حكاية تاريخية فقط، بل يخاطب مع ذلك كل طبقة في كل عصر –لكونها فردا منأفراد دستور كلي– خطابا ندَيّاً طريّاً جديداً كأنه الآن ينزل عليهم''.[121]

٤. دراسة الأسلوب القرآني لاعتبارات كثيرة (السورة، والمقصد، والآيات، والكلام، والكلمة):

يشير الأستاذ النورسي –رحمه الله تعالى– إلى أساليب القرآن بالنظر في اعتبارات عدّة، وهي: السورة، والمقصد، والآيات، والكلام، والكلمة، ومثال الآية قيام الشيخ النورسي بمقاربة صوتية إحصائية لآية واحدة، هي الآية ١٥٤ في سورة البقرة ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ليصل في الأخير إلى القول: ''إنَّ هذه الحروف بهذا الوضع المنتظم الخارق، مع تلك المناسبات الخفية، والانتظام الجميل، والنظام الدقيق، والانسجام اللطيف تثبت بيقين جازم كحاصل ضرب اثنين في اثنين يساوي أربعا أنه ليس من شأن البشر ولا يمكنه أن يفعله أما المصادفة فمحال أن تلعب به هذا فإن ما في أوضاع هذه الحروف من الانتظام العجيب والنظام الغريب مثلما هو مدار للفصاحة والسلاسة اللفظية، يمكن أن تكون له حكِم كثيرة أخرى فما دام في الحروف هذا الانتظام، فلا شك أنه قد روعي في كلماتها وجملها ومعانيها انتظام ذو أسرار، وانسجام ذو أنوار، لو رأته العين لقالت من إعجابها: 'ما شاء الله'، وإذا أدركه العقل لقال من حيرته: 'بارك الله'.''[122]

ومثال الحرف ما أورده الشيخ النورسي عن معاني اللام في كلمة ﴿لِمُسْتَقَرّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾يس:٣٨ فقال''فاللام في تفيد معنى اللام نفسها ومعنى 'في' ومعنى 'إلى'، فهذه 'اللام' يفهمهُا العوام بمعنى 'إلى' ويفهمون الآية في ضوئها... والآية نفسهُا تظهر 'اللام' بمعنى 'إلى' إلى العالمِ أيضا، ولكن ليس بمعنى أن الشمس مصدر الضوء وحده، وإنما كمكوك تحيك المنسوجات الربانية التي تنُسج في معمل الربيع والصيف... أماً بالنسبة للفلكي، فإن 'اللام' يفهمها بمعنى 'في' أي إن الشمس تنظ منظومتها 'كزنبرك الساعة' بحركة محورية حول نفسها... و'اللام' هذه يفهمها العالمِ المدقق بمعنى 'العلة' وبمعنى 'الظرفية' أي إن الصانع الحكيم جعل الأسباب الظاهرية ستارا لأفعاله وحجابا لشؤونه فقد ربط السيارات بالشمس بقانونه المسمى بـ 'الجاذبية'... وهكذا، فهذا الحكيم

المدقق يفهم مثل هذه الحكمة من حرف واحد من القرآن الحكيم، ويقول: 'الحمد لله، إن الحكمة الحقة لهي في القرآن فلا أعتبر الفلسفة بعد شيئا يذُكر'. ومن هذه 'اللام' والاستقرار يرد هذا المعنى إلى منَ يملك فكرا وقلبا شاعريا أن الشمس شجرة نورانية، والسيارات التي حولها إنما هي ثمراتهُا السائحة، فالشمس تنتفض دون الثمرات – بخلاف الأشجار الأخرى– لئلا تتساقط الثمرات، وبعكسه تتبعثر الثمرات''.[123]

٥. بلاغة القرآن بلاغة حقيقية وليست محالة خلافاً لترجمته:

وقد ردّ الشيخ على قاصري الفهم، ومنْ لا يدققون النظر في الدلالات العظيمة لبعض الآيات، فقال: ''ولقد توهم بعض قاصري الفهم وممن لا يكلفون أنفسهم دقة النظر أن المعنى العظيم والحقيقة الكبرى التي تفيدها الآية الكريمة: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾الإسراء:٨٨ ظنّوها صورة محالة ومبالغة بلاغية! حاش لله! بل إنها بلاغة هي عين الحقيقة، وصورة ممكنة وواقعةوليست محالة قط''.[124]

كما ردّ على مَنْ فكّر في ترجمة القرآن لتظهر قيمته!!! فقال: ''قد شلّت تلك الفكرة وأجهضت تلك الخطة بحججها الدامغة وبانتشارها الواسع فيكل مكان الله، فأثبتت إثباتا قاطعا أنه لا يمكن قطعا ترجمة القرآن الكريم ترجمة حقيقية... وأن أية لغة غير اللغة العربية الفصحى عاجزة عن الحفاظ على مزايا القرآن الكريم ونكُته البلاغية اللطيفة... وإن الترجمات العادية الجزئية التي يقوم بها البشر لن تحَلُ –بأي حال– محل التعابير الجامعة المعجزة للكلمات القرآنية التي في كل حرف من حروفها حسنات تتصاعد من العشرة إلى الألف، لذا لا يمكن مطلقا تلاوة الترجمة بدلا منه''.[125]

٦. سمو القرآن وبلاغته آتيانمن منابعه –من دون مقارنةٍ–:

عمد النورسي إلى بيان أن الكلام يستمدّ قوته من أمور عدَّة، فقال: ''وهو أن القرآن الكريم لا يمكن أن يقُاس بأي كلام آخر، إذ إن منابع علو طبقة الكلاموقوتهِ وحسنهِ وجمالهِ أربعة: الأول: المتكلم، الثاني: المخاطبَ، الثالث: المقصد، الرابع: المقام، وليس المقام وحده كما ضل فيه الأدباء. فلابد من أن تنظر في الكلام إلى: منَ قال؟ ولمن قال؟ ولمِ قال؟ وفيم قال؟ فلا تقف عند الكلام وحدهَ وتنظر إليه. ولما كان الكلام يستمد قوتهَ وجمالهَ من هذه المنابع الأربعة، فبإنعام النظر في منابع القرآن تدُرك درجة بلاغته وحسنهَا وسموهَّا وعلوهَّا. نعم، إن الكلام يستمد القوة من

المتكلم، فإذا كان الكلام أمرا ونهيا يتضمن إرادة المتكلم وقدرتهَ حسب درجته، وعند ذاك يكون الكلام مؤثرا نافذا يسري سريان الكهرباء من دون إعاقة أو مقاومة. وتتضاعف قوة الكلام وعلوّه حسب تلك النسبةّ''.[126]

وقال في موضع آخر واصفاً من يدّعي أنه أتى بكلام شبيه بالقرآن، فقال: ''والآن إذا ما قام أحد ونظم قسماً من الحدائق التي أتى بها القرآن حسب أهوائه وتصرّفاته الصبيانية، ثمَّ أراد أن يوازن كلامه وككلام القرآن، بغية الاعتراض على بعص آياته، وقال: 'لقد قلت كلاماً شبيهاً بالقرآن'، فلا شكَّ أنَّ كلامه هذا يحمل من السخف والحماقة ما يشبه هذا المثال''،[127] وذكر مثال من شيّد قصراً ودخل فيه مَنْ لا يقدّر قيمته ودقته وما وضع فيه، ثمَّ يدّعي أنه ماهر في فنّ البناء يفوق مهارة باني القصر نفسه،[128] وأكد الأمر نفسه في موضع آخر، فقال: ''نعم، إن قيمة الكلام وعلوه وبلاغته تتوضح في بيانِ 'منَ قاله؟ ولمنِ قاله؟ ولمِ قاله؟'.''[129]

الخاتمة

وفي نهاية البحث يمكن عرض أهم النتائجَ التي توصّل إليها البحثُ، وهي:

أ– تعدّ رسالة ''المعجزات القرآنية'' من رسائل النور المميّزة، بل سماها الأستاذ النورسي ''شمس رسائل النور''،[130] فهي تضم جميع الكلمات الأربع والعشرين السابقة، فضلاً عن تناولها الواسع للإشارات الإعجازية، والدقائق البيانية، فهي و ''إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز'' يشكلان زبدة أفكار الشيخ البيانية الإعجازية.

ب– تمثل رسالة ''المعجزات القرآنية'' تحديداً مساراً للفكر البياني اللغوي الذي انتهجه الشيخ النورسي، وقد تبيّن لنا أنّ الفكر البياني اللغويّ للنورسي ينتهج عدَّة معايير كلّيّة، كالتكرار والإيجاز والإحالة والذوق والتمثيل، وعُني الشيخ بالعقل وإعماله في فهم الآيات القرآنية والكونية، وذلك بقوله ''أنعم النظر، ثم انظرَّ، ودقة النظر، والنظر الدقيق...''

ت– كان للشيخ النورسي طريقة في الإحالة بديعة، حيث اتخذت الإحالة في رسالة المعجزات القرآنية منحيين اثنين، الأول: الإحالة إلى الرسائل الأخرى ''الشعل والأشعة واللمعات والمقامات والأنوار والأغصان والأضواء والأمثلة''، والثاني هو الإكثار من التصريح بالإحالة إلى كتاب ''الإشارات'' لتقاربه من الكلمة الخامسة

والعشرين في الموضوع والمعالجة، مما أنبأ عن دقّة الشيخ وقوة حفظه واتقانه لما كتبه ودليل على أن الرسائل مترابطة الأجزاء متماسكة الأفكار، بحيث لا يمكن تجزئتها.

ث- عمد الأستاذ النورسي في بيان المعجزات القرآنية إلى وسائل عديدة للكشف عن المعنى كالمقارنة والأخذ بنوافذ الكلمات، وغيرها، واتخذ أسلوب ''الفنقَلَة'' أي السؤال والجواب، في الرسائل عموماً و ''الكلمات'' خاصّة، متأثراً بالزمخشري (ت ٥٣٨هـ) الذي اشتهر بذلك في تفسيره.

ج- حاول الشيخ سعيد النورسي -رحمه الله تعالى- الوقوف على سمات الأسلوب القرآني الذي اتّسم بخصائص معينة، أوردها بإيجاز في كلمات محدودة بداية الولوج في الموضوع، لاعتبارات كثيرة، صوتاً، وكلمةً، وعبارةً، ومضموناً، ودقّةً، وأصالةً، وسموّاً، ومرجعاً، وقبولاً، وجامعيّةً، وحجةً، وغيرها.

ح- ركّز الشيخ بديع الزمان في بيان أسلوب الخطاب القرآني على أنه خطاب موجه للجميع، وأنَّ سموّ بلاغته آتٍ من منابعه، وأنه يخاطب العقول المتباينة في الفهم والقبول، كما يخاطب الطبقات المختلفة من البشر، على اختلاف مشاربهم الفكرية، واتجاهاتم العقدية، والتزاماتهم السلوكية.

* * *

المصادر والمراجع

- بعد كتاب الله تعالى:

١. إعجازالقرآناللغوي فيفكرالنورسي، د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي،(بحث)، وقائع المؤتمر العالمي الثالث عن بديع الزمان سعيد النورسي، مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم، ١٩٩٥م.

٢. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.

٣. بديع الزمان النورسي حياته. دعوته. جهاده، جمال الأحمر، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط ١، ١٩٨٤م.

٤. بديع الزمان النورسي سيمياء الشكل والصميم، أ. د. عشراتي سليمان، مطبعة نسل، إستنبول، ٢٠٠٠م.

٥. البرهان في علوم القرآن، للزركشى (بدر الدين محمد بن بهادر، ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٧م.

٦. تربية التذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عرفة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٣م.

٧. حكمة التكرار في القرآن في ضوء كتب الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، مطبع الرحمن عبد الحليم محمد خالد، (بحث)، وقائع المؤتمر العالمي الرابع عن بديع الزمان سعيد النورسي بعنوان ''نحو فهم عصري للقرآن الكريم رسائل النور أنموذجاً''، مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم، ١٩٩٨م.

٨. حكمة التكرار من خلال رسائل النور، د. غانم قدوري الحمد(بحث)، وقائع المؤتمر العالمي الرابع عن بديع الزمان سعيد النورسي، مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم، ١٩٩٨م.
٩. الدرس اللغوي عند النورسي، دلير عبد الله أحمد (رسالة ماجستير)، جامعة السليمانية، فاكلتي اللغات، ٢٠١١م.
١٠. سعيد النورسي تراثه وفكره، عبد الله عزت حمه صالح خهيال (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، كلية الشريعة، ١٩٨٩م.
١١. الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٧، ٢٠١٤م
١٢. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٣. فعل الأمر منهجا تربويا في رسائل النور، المثنوي العربي نموذجا، د. ليلى محمد على جمعة، (بحث)، وقائع الندوة الدولية الثالثة للأكاديميين الشباب، مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم، ٢٠١١م.
١٤. القاموس المحيط، الفيروزآبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م.
١٥. الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٧، ٢٠١٤م.
١٦. اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٧، ٢٠١٤م.
١٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي(أحمد بن محمد الحموي، أبو العباس، ت ٧٧٠هـ)، نشر: المكتبة العلمية، بيروت.
١٨. مفتاح العلوم، للسكاكي(أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر الخوارزمي، ت ٦٢٦هـ)، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٨٧،٢م.
١٩. مقدمةابنخلدون، ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي، ت ١٤٠٦هـ)تحقيقدرويشالجويدي، المكتبةالعصرية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.
٢٠. المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٧، ٢٠١٤م.
٢١. الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٧، ٢٠١٤م.
٢٢. نحو رؤية جديدة للدلالة النفسية لأسلوب التكرار في القرآن الكريم، د. عزيز محمد عدمان، (بحث) منشور في مجلة ''النور''، العدد ٨، يوليو٢٠١٣م.
٢٣. النكت في إعجاز القرآن، الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى، ت ٣٨٤هـ)، تح: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.

* * *

الهوامش

[1] جامعة صلاح الدين – أربيل / كلية اللغات، جامعة صلاح الدين / أربيل – العراق.
[2] الملاحق، ص١٩١.
[3] الشعاعات، ص١٦٤.
[4] الكلمات، ص٤٩٦.
[5] المصدر نفسه، ص٤١٦.
[6] نفسه، ص٤٥٥.
[7] سعيد النورسي تراثه وفكره، ص ٤٧.
[8] بديع الزمان النورسي سيمياء الشكل والصميم، ص٢٧.
[9] بديع الزمان النورسي حياته. دعوته. جهاده، ص٨٥.
[10] الكلمات، ص٥١٠.
[11] نفسه، ص٥٢٤، وقد تناول الشيخ النورسي في (إشارات الإعجاز) تفسير سورة ''الفاتحة'' وثلاثاً وثلاثين آيةً من سورة ''البقرة''، وهو المكتوب الثلاثون من كتاب ''المكتوبات''، ألفه باللغة العربية أثناء مشاركته في الحرب العالمية الأولى، بيَّنَ فيه الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، موضحاً مناسبة الآيات بعضها ببعض، وتناسب الجمل وتناسقها ''ينظر: الدرس اللغوي عند النورسي، ص٢٠''.
[12] اعجاز القرآن اللغوي في فكر النورسي، د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، (بحث)، ص٣٣.
[13] الكلمات، ص ٥١٦.
[14] وقائع الندوة الدولية الثالثة للأكاديميين الشباب نظمتها مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم، ٢٠١١م.
[15] بحث منشور في مجلة ''النور''، العدد ٨، يوليو ٢٠١٣م.
[16] نحو رؤية جديدة للدلالة النفسية لأسلوب التكرار في القرآن الكريم (بحث).
[17] المصباح المنير، للفيومي، ٥٣٠/٢.
[18] البرهان في علوم القرآن، للزركشى ١٠/٣.
[19] حكمة التكرار من خلال رسائل النور، د. غانم قدوري الحمد(بحث)، ص٥٧٩-٥٨٠).
[20] الكلمات، ص ٥٢١.
[21] ينظر: حكمة التكرار في القرآن في ضوء كتب الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص٦٢٥.
[22] الكلمات، ص ٤٣٥.
[23] المصدر نفسه، ص ٥٢٣.
[24] نفسه، ص ٤٤٣.
[25] نفسه، ص ٤٥٨–٤٥٩.
[26] الكلمات، ص ٥٢٢.
[27] نفسه، ص ٥٢٨.
[28] نفسه، ص ٤٥٣-٤٥٤.
[29] نفسه، ص ٤٦١.
[30] نفسه، ص ٥١٣.
[31] القاموس المحيط، ص ٩٨٩.
[32] علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي الفقي ٣٩/١.
[33] الكلمات، ص ٤٤٠.

[34] المصدر نفسه، ص ٤٤١.
[35] نفسه، ص ٥٠٥.
[36] نفسه، ص ٥٠٧–٥٠٨.
[37] وهي: ١٥ رسالة أهمها: ''١. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: وهو تفسير شيق للقرآن الكريم. ٢. المثنوي العربي: يحتوي على عدة رسائل في العقيدة والتفسير والتربية والأخلاق والعلوم الأخرى (ويسمى أيضا بالمثنوي النورى). ٣. الصيقل الإسلامي: وهو محاولات في حل كثير من المشكلات التي تعترض طريق الدعاة إلى الله. ٤. التفكير الإيماني: وهو كتاب معرفة ومناجاة وتفكر وعبادة. ٥. ذو الفقار: وهو يبحث في المعجزات القرآنية، ومعجزات الرسول. ٦. رائد الشباب: ويعالج العديد من مشاكل الشباب المعاصر...''
[38] الكلمات، ص ٥٠٨.
[39] المصدر نفسه، ص ٤٦٠.
[40] نفسه، ص ٥٠١.
[41] نفسه، ص ٤٣٤.
[42] نفسه، ص ٤٢٩.
[43] الكلمات، ص٤٥٣ ,
[44] المصدر نفسه، ص ٤٦٧ .
[45] نفسه، ص ٤٦٨.
[46] نفسه، ص ٤٧٢.
[47] نفسه، ص ٤٤١.
[48] نفسه، ص ٤٥٤ .
[49] نفسه، ص ٤٦٩.
[50] الكلمات، ص ٤٧٧.
[51] نفسه، ص ٤٤٧–٤٤٨.
[52] نفسه، ص ٤٣٣.
[53] نفسه، ص ٤٣٢.
[54] نفسه، ص ٤٨٩.
[55] نفسه، ص ٤٣٣.
[56] نفسه، ص ٥٠٢.
[57] الكلمات، ص ٤٤٠.
[58] نفسه، ص ٤٩٩.
[59] النكت في إعجاز القرآن، ص ٨٠.
[60] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص ١٣٤.
[61] الكلمات، ص ٤٥٧.
[62] المصدر نفسه، ص ٤٣٣.
[63] مفتاح العلوم، ص ٤٢١.
[64] الكلمات، ص ٤٥٩.
[65] الكلمات، ص ٤٩٥.
[66] نفسه، ص ٤٩٣–٤٩٤.
[67] مقدمةابن خلدون، ص ٥٦١.

[68] تربية التذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عرفة، ص ٤٠٣.
[69] الكلمات، ص ٥٢٩.
[70] المصدر نفسه، ص ٤٦٤.
[71] نفسه، ص ٤٩٨-٤٩٩.
[72] نفسه، ص ٤٣٢.
[73] نفسه، ص ٤٣٦.
[74] الكلمات، ص ٤٦٣.
[75] نفسه، ص ٤٨٩.
[76] نفسه، ص ٥٠٧.
[77] الكلمات، ص ٤٧٢.
[78] نفسه، ص ٥٠١.
[79] نفسه، ص ٤٨١.
[80] نفسه، ص ٥٠١.
[81] نفسه، ص ٤٨٣.
[82] نفسه، ص ٤٨٤.
[83] نفسه، ص ٤٩٠.
[84] نفسه، ص ٥٢٤.
[85] الكلمات، ص ٤٩١.
[86] نفسه، ص ٤٨٣.
[87] الكلمات، ص ٤٩٢.
[88] ينظر: الكلمات، ﴿إنَّ ربّك عليم حكيم﴾،ص:٤٨١ و ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾، ص: ٤٨٢ و ﴿إنَّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾،ص:٤٨٣ و ﴿إنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير﴾،٤٩٢ و ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ ٤٩٣.
[89] ينظر: الكلمات: ص ٤٧٦، و ٥١٢.
[90] ينظر: المكتوبات، ص ٥٧٨، و ٥٧٩، واللمعات ٢٥٩، والشعاعات ١٦٥، وإشارات الإعجاز ص ٦، و ٧، و ٤٤، و ١١٩، و ١٧٤، و ١٧٥، و ١٨٣.
[91] الكلمات، ص ٤٥٤.
[92] نفسه، ص ٥٢٥-٥٢٦.
[93] ينظر: الكلمات، ص ٤٢٥، و ٤٣٨ وقال: ''وهو محل السؤال والجواب''.
[94] الكلمات، ص ٤٢٦-٤٢٧.
[95] نفسه، ص ٤٣٣.
[96] نفسه، ص ٤٣٥.
[97] ينظر: الكلمات، ''سبَّحَ'' ٤٢٩، و ''تجري'' ٤٣٤، و ''رتقاً'' ٤٥١، و ''صرحاً'' ٤٦١، و ''كوِّرَت'' ٤٨٩.
[98] الكلمات، ص ٤٣٠.
[99] نفسه، ص ٤٣١.
[100] نفسه، ص ٤٥٣.
[101] ينظر: الكلمات: ''وهكذا فقس على هذا المنوال'' ٤٢٨، و ''فقس قطرات هذا البحر'' ٤٣٣.
[102] الكلمات، ص ٤٥٦.
[103] المصدر نفسه، ص ٤٩٩.

[104]نفسه، ص ٤٢٨.
[105] الكلمات، ص ٤٣٨.
[106]نفسه، ص ٥١٥.
[107]نفسه، ص ٤٨٦.
[108]نفسه، ص ٤٣٠.
[109]نفسه، ص ٤٣٧.
[110]نفسه، ص ٤٣١.
[111] الكلمات، ص ٤٧٦.
[112]ينظر: الكلمات: ص ٤٢٤، وص ٥١١.
[113]نفسه، ص ٥١١-٥١٢.
[114]نفسه، ص ٥٠٩.
[115]نفسه، ص ٤٤٧-٤٤٨.
[116] الكلمات، ص ٤٧٣-٤٧٤.
[117]نفسه، ص ٤٧٤.
[118]نفسه، ص ٥١٥.
[119]نفسه، ص ٤٤٩.
[120]نفسه، ص ٤٤٩-٤٥٠.
[121]نفسه، ص ٥١٩.
[122] الكلمات، ص ٤٣٧.
[123]نفسه، ص ٤٥٢.
[124]نفسه، ص ٤٧٣.
[125]نفسه، ص ٥٣٠.
[126] الكلمات، ص ٤٩٤.
[127]نفسه، ص ٤٩٨.
[128]نفسه، ص ٤٤٩-٤٥١.
[129]نفسه، ص ٥١٥.
[130] المكتوبات: ٢٦٥.

معرفة الله تعالى وأثرها على العمل الإيجابي
–من خلال رسائل النور للإمام بديع الزمان النورسي–

أ. د. عادل عبد الله حمد[1]

الملخص

إن معرفة الله تعالى هي مدار العقيدة ومغزاها، فقد جعلها الله تعالى من أعظم المطالب وأشرفها، لأن معرفته تعالى روح الإيمان وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد استشعاراً بمعرفةً بخالقه وأسمائه وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه، ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه الله تعالى لا محالة.

وقد ذهب الإمام النورسي (رحمه الله) إلى أن الإيمان بالله تعالى ومعرفته أهمّ ما يدركه الإنسان في حياته وما ينفعه بعد مماته، لأنها أشرف الغايات وأعلاها، قال الأستاذ: ''اعلم يقيناً أن اسمى غاية للخلق، وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية هو: الإيمان بالله، واعلم إن أعلى مرتبة للإنسانية، وأفضل مقام للبشرية هو: معرفة الله التي في ذلك الإيمان، واعلم إن أزهى سعادة للإنس والجن، وأحلى نعمة هو: محبة الله النابعة من تلك المعرفة، واعلم أن اصفى سرور لروح الإنسان، وانقى بهجة لقلبه هو اللذة الروحية المترشحة من تلك المحبة.

أجل! إن جميع أنواع السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة، إنما هي في معرفة الله، في محبة الله، فلا سعادة، ولا مسرة، ولا نعمة حقاً بدونها''.[2]

فيتضح من كلام الاستاذ النورسي أن السرور الكامل دنيوياً وآخروياً نابع عن معرفته تعالى، وفيه من اللذائذ الروحية ما لا يحصر، وأهم تجليات معرفة الله تعالى، محبته، ومن أهم ثمارها خدمة الخلق، وطريقه العمل الإيجابي في تصرفاته وتعاملاته اليومية، ويظهر ذلك في تسامحه ورأفته ومحبته وإحسانه لمن حوله.

تجلت دعوة رسائل النور إلى العمل الإيجابي في حياة النورسي وسيرته، فقد كان نِعْمَ الموجّه والمرشد لتلاميذه ومن خلالهم إلى مجتمعه وأمّته، قال الأستاذ: " لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق سلامة إيمان المجتمع، فليس في قلبي رغب في الجنة ولا رهب من جهنم، فليكن سعيد بل ألف سعيد قرباناً ليس في سبيل إيمان المجتمع التركي البالغ عشرون مليونا فقط، بل في سبيل إيمان المجتمع الإسلامي البالغ مئات الملايين. ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الأرض فلا أرغب حتى في الجنة إذ ستكون هي أيضاً سجناً لي، وإن رأيت إيمان أمتنا في خير وسلام فإنني ارضى أن أُحرق في لهيب جهنم، إذ بينما يحترق جسدي يرفل قلبي في سعادة وسرور".[3]

الكلمات المفتاحية: معرفة الله تعالى، العمل الإيجابي، الأمن والأمان.

Abstrak

Knowing and obeying Allah Almighty and its impact on positive action, through Risa'il al-Nur by Imam Badi' al-zaman al-Nursi

Assistant Professor Dr. Adel Abdullah Hamad

The knowledge of God is the orbit of faith and its significance, it has made God Almighty of the greatest demands and honor, because the knowledge of the meaning of the spirit of faith and its origin and purpose, the more the person knowledge of his Creator and his names and qualities increased faith, and strong certainty, and God knows his names and attributes and deeds love God does not Mentioned.

Imam al-Nawrasi (may Allah have mercy on him) went on to say that faith in God and His knowledge is one of the most noble and highest goals that man has to realize in his life. He says: 'I know for sure that my name is an end to creation. The greatest result of human instinct is faith in God. The best gift for mankind is the knowledge of God in that faith. I know that the happiest of men and women is the grace of God that is derived from that knowledge, and I know that the purest pleasure of the human spirit is the spiritual pleasure of this love.

Yes! All kinds of true happiness, pure pleasure, grace beyond grace, and pleasure that do not exceed pleasure, are in the knowledge of God, in the love of God, there is no happiness, no pleasure, no grace without them. '

It is clear from the words of Professor Norsi that the pleasure of mundane and all other, and spiritual lamentations stems from the knowledge of the Almighty, and that it must be reflected from the knowledge of God and love of the work of the positive person in his actions and daily treatment, and tolerance and compassion and love with his surroundings and charity to them.

This affirmative action called for by Islam is clearly manifested in the life and biography of the Badi'zaman al-Nawrasi with his community and his disciples. He said: "I have sacrificed even my otherness in order to achieve the safety of the faith of the community. It is not in my heart that I desire paradise or a monk from hell. It is not only for the faith of the Turkish community of 20 million, but for the faith of the Muslim community of hundreds of millions, and if our Qur'an remains without a group bearing its banner on the surface of the earth, I would not even want to be in heaven. And peace, I desire to be burned in the flames of hell; To my heart in happiness and pleasure. "

Keywords:

knowledge of God Almighty, affirmative action, security and safety.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾،[الأنعام:١] والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فتعدُّ معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته من أهم مباحث العقيدة الإسلامية وأكبرها، دعا إليها القرآن الكريم الإنسان في آيات كثيرة إلى معرفة خالقه عن طريق التفكر والتدبر في سنن الكون ونظامه الدقيق، ودعا إلى التعمق في أثار قدرته تعالى على خلقه.

إن معرفة أسماء الله تعالى وصفاته هي أساس العقيدة وقاعدتها وأصلها، لأن عبادة الله تعالى موقوفة عليها، فمن لا يعرف ربه حق معرفته قاصر عن الوفاء بمتطلبات عبادته، وتتم هذه المعرفة بالنسبة لمن سلمت فطرهم بالنظر والاستدلال لما دلت عليه أسماء الله الحسنى من المعاني واستشعارها في القلب.

والمعرفة الإلهية عند المسلمين ليست قصة خيالية مجرّداً من نسْجِ الخيال، بل لها معانيها ودلالاتها وأبعادها، وهي من أهم الغايات التي خلق الإنسان من أجلها، فمن عرف الله عز وجل حق المعرفة من غير تعطيل أو تشبيه، وأقام الفرائض المفروضة عليه، والتزم بأوامره ونواهيه، وهو يرجو في كل ذلك رضا الله تعالى ورحمته، ويخشى عقوبته، فهو المؤمن حقاً، له من ربه مغفرة، وأجر عظيم بفضله سبحانه وتعالى.

ومن الجدير بالذكر أن مجدد العصر الأستاذ النورسي خاض في رسائل النور مسألة معرفة الله تعالى على ضوء منهج القرآن الكريم بأسلوب سهل مقنع، بعيداً عن تعقيدات علم الكلام، لأنه رأى أن دلالة القرآن الكريم على معرفة الله تعالى شمس ساطع لا يحتاج إلى أدلة أخرى، ولذلك عدَّ (رحمه الله) المعرفة الربانية من خلال كتاب الله تعالى من أبرز نتائج الاستقامة على الدين، وأساساً لكل علم والحكمة، وفي هذا الصدد يعرّفنا الأستاذ مسالك تحصيل معرفة الحقيقة، فقال مخاطباً نفسه: ''إن كنت ترومين الحصول على علم الحقيقة والحكمة الحقة، فاظفري بمعرفة الله، إذ حقائق الموجودات كلها إنما هي أشعة اسم الله الحق، ومظاهر أسمائه الحسنى، وتجليات صفاته الجليلة''.[4]

وفيما يتعلق بالعمل الإيجابي فقد حمل الإمام المجدد على أكتافه هموم أمته ومشاكلها طيلة حياته، محللاً أسباب ضعفها وتخلفها، باحثاً عن وسائل قوتها ونهضتها، وقد تحرى عن هذه الأسباب بتمعَّن في القرآن الكريم، ووجد الجواب الشافي والكافي في ينابيعه المباركة ما يرشده في معالجة مشاكل الحاضر، والتفكير الجدي في بناء المستقبل على أساس علمي رصين وبشكل أفضل.

واستشعاراً بهذه الأهمية الملحة نجد أن الأستاذ النورسي في كثير من المناسبات من رسائله حث طلابه ودعاهم إلى المشاركة في العمل البناء الجاد اقتداء بسيرة رسول الله ﷺ وتمثّلات لصحابة الكرام ﷺ، وطلب منهم في الوقت نفسه الابتعاد عن كل مظاهر العمل السلبي، وعلمهم عملياً أنه كيف صبر لسنوات طويلة على البلاء والأذى من أجل الحفاظ على أمن الأمة واستقرارها، فيقول: ''إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله، إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي... لا إنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألاّ أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله، بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل اقتداء بنبي الله جرجيس (عليه السلام)، وبالصحب الكرام ﷺ الذين قاسوا كثيراً في غزوة بدر وغزوة أحد''.[5]

أهمية الموضوع:

١. تظهر أهمية هذا البحث في موضوعه، ويكفيه أهمية أن يتعلق بمعرفة الله تعالى كما عرضتها رسائل النور، إذ شرف البحث متعلق بشرف موضوعه، وليس هناك شرف أكبر وأزكى من معرفة الله تعالى.

٢. تُعدُّ مسألة العمل الإيجابي من القضايا المهمة في عصرنا الحالي، إذ الحاجة إليها ماسّة، وخاصة في ظل الظروف الدولية الراهنة، حيث تركّز القوى العالمية على عالمنا الإسلامي، ففيه تحدث أغلب أحداث العنف والأعمال الشنيعة، وهي الأعمال التي يمثّل العالم الإسلامي وقودها وضحيتها في الوقت نفسه.

الهدف من الموضوع:

١. يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على موضوع: معرفة الله تعالى وأثرها على العمل الإيجابي من خلال رسائل النور للإمام النورسي (رحمه الله)، والتأكيد على أنّ ما يقترفه بعض المسلمين من الأعمال السلبية غير الحميدة لا علاقة لها بالإسلام.

٢. حث الناس ولفت أنظارهم إلى سماحة الإسلامي وعظمته، إذ أن الإسلام دعا إلى العمل الإيجابي واحترام، وجعل من التعايش السلمي أساسا قويما في العلاقات مع المخالفين منذ أكثر من ١٤٠٠سنة.

٣. دعوة المسلمين إلى قراءة رسائل النور والاستفادة منها بعمق، إذ تعدُّ كليات الرسائل من أهم المصادر الذي عالج قضايا العصر الحساسة برؤيا علمية واضحة، من غير تعصب مذهبي أوتشدد في مواجهة المخالف، فابتعدت (رسائل النور) عن العرض الطائفي، وركّزت على العرض الحضاري الراقي للدين الإسلامي.

منهج البحث:

اعتمدت في إنجاز هذه الدراسة المنهج الوصفي، واستفدت من آلية التحليل، ويتجلى هذا الاستعمال فيما يأتي:

١. بيان معرفة الله تعالى وأثرها على العمل الإيجابي في كليات رسائل النور للإمام النورسي، لأنّ عليها مدار الدراسة.

٢. رصد أقوال المتكلمين وأدلتهم ذات الصدد بموضوعنا بقصد المقارنة والتحليل.

٣. ترجمة الأعلام الواردة في البحث بإيجاز.

خطة البحث:

اقتضت المادة العلمية تقسيمه على مقدمة يقفوها مبحثين، فنتائجه، فمصادره ومراجعه.

احتوى المبحث الأول ثلاثة مطالب، عرضت في أوله عن مفهوم المعرفة في اللغة والاصطلاح، وفي ثانيه بيّنت موقف المتكلمين من معرفة الله تعالى، وخصصت ثالثه لموقف الإمام النورسي من معرفة الله تعالى.

وتضمن المبحث الثاني مطلبين، اشتمل أوله على أقسام معرفة الله تعالى وأسبابها، وتطرقت في ثانيه لأثر معرفة الله تعالى على العمل الإيجابي من خلال رسائل النور. وختمتُ الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

وختاماً أعتذر عمَّا بدر مني من خطأ أو تقصير، وأرجو من الله العليم الحكيم أن يلهمنا الصواب، وان يسدد خطانا، وأرجو أيضاً أن يكون عملي هذا موافقاً لخدمة ديننا الحنيف، ويساهم في نشر رسائل النور وخدمتها بشكل هادف، ويجعله الله تعالى ذخيرة في حسناتي، إنه سميع مجيب.

المبحث الأول

مفهوم المعرفة في اللغة والاصطلاح، وموقف المتكلمين منها

اهتم العلماء بمسألة معرفة الله تعالى اهتماماً بالغاً، فتناولوها بالبحث والدراسة، وفيما يأتي نسط الضوء في هذا المبحث على مفهوم المعرفة في اللغة والاصطلاح، وموقف المتكلمين منها نذكرها في مطلبين وكالآتي:

المطلب الأول

تعريف معرفة الله تعالى في اللغة والاصطلاح

أولاً: المعرفة في اللغة:

المعرفة لغة من: ''عَرَفه يَعْرِفُه عِرْفة وعِرْفاناً وعِرِفَّاناً ومَعْرِفةً''،[6] بكَسْرَتَيْنِ، مُشَدَّدَةَ الفاءِ: بمعنى عَلِمَه،[7] يقول ابن الفارس:[8] ''العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدلُّ أحدُهما على تتابُع الشيء متَّصلاً بعضُه ببعض، والآخر على السكون والطُّمَأنينة... تقول: عَرَف فلانٌ فلاناً عِرفاناً ومَعرِفة، وهذا أمر معروف''.[9] ويضادّ المَعْرِفَةُ الإنكار،[10] قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها﴾. النحل:٨٣

وجدير بالذكر أنه لم ترد لفظة (المعرفة) في القرآن الكريم، ولكن وردت لها اشتقاقات كثيرة استخدمت في سياق الكلام بمعاني عدة ومختلفة، نذكر منها:

١. كثر استعمال لفظة (العَرْفُ) بالفتح بمعنى الرَّائحة الطيّبة، يقال: ما أطيَبَ عَرْفَه، ومنها قول الله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾، محمد:٦ أي طيَّبَها،[11] يقول ابن عباس ﷺ: ''عرفها لهم: طيبها لهم من العرف، وهو الريح الطيبة''.[12]

٢. وجاءت صيغة (المعرفة) بمعنى بيَّن وأعلم،[13] يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾. التحريم:٣

٣. واستعملت بمعنى ''الاعتِرافِ'' و ''الإقرار''، قال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، التوبة:١٠٢ ويقال: عَلَيَّ أَلْفٌ ''عُرْفاً'' أي: اعْتِرافاً.[14]

٤. وجاءت بمعنى ''التتابع''، قال الله تعالى: ﴿والمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾، المرسلات:١ أي متتابعة.[15]

٥. وثبت بمعنى (التعارف) بعضهم بعضاً،[16] قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، الحجرات:١٤ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. يونس:٤٦

٦. ومن اشتقاقات ''المعرفة'' ''المعْرُوفُ'' وقد استعملت بمعنى ''الاقتصاد والإحسان''، و ''المعْرُوفُ'' هو ما عرف حسنه بالشرع أو بالعقل، يقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، لقمان:١٧ ولهذا قيل للاقتصاد في الجود: مَعْرُوفٌ، لمّا كان ذلك مستحسناً في العقول وبالشّرع[17] نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾. النساء:٦

٧. وثبتت بمعنى رد بالجميل، ودعاء خير من صدقة،[18] نحو قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ﴾. البقرة:٢٦٣

٨. إظهار مَعْرِفَةِ الذّنبِ، وذلك ضدّ الجحود، قال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾، الملك:١١ وقوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا﴾. غافر:١١

٩. ووردت بمعنى اسم لبقعة مخصوصة، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ﴾، البقرة:١٩٨ فسمّيت بذلك لوقوع اللقاء فيها بين آدم وحوّاء، وقيل: بل لِتَعَرُّفِ العباد إلى الله تعالى بالعبادات والأدعية.[19]

يبدو مما مضى ان لفظة ''المعرفة'' وردت باشتقاقاتها المتعدة في القرآن الكريم وكذا في اللغة العربية، وتنوعّت معاني تلك المشتقات بحسب سياق استعمالها في الآية الكريمة.

ثانياً: تعريف المعرفة في الاصطلاح:

المعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بالجهل بخلاف العلم، يقول الجرجاني:[20] ''المعرفة ما وضع ليدل على شيء بعينه وهي المضمرات والأعلام والمبهمات وما عرف باللام والمضاف إلى أحدهما، والمعرفة أيضاً إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف''.[21]

وعرفها الراغب الأصفهاني[22] فقال: ''المَعْرِفَةُ: إدراك الشيء بتفكّر وتدبّر لأثره، وهو أخصّ من العلم، ويضادّه الإنكار، ويقال: فلان يَعْرِفُ اللهَ ولا يقال: يعلم الله متعدّيا إلى مفعول واحد، لمّا كان مَعْرِفَةُ البشرِ لله هي بتدبّر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يَعْرِفُ كذا، لمّا كانت المَعْرِفَةُ تستعمل في العلم القاصر المتوصّل به بتفكّر''.[23]

يتضح من التعريف الاصطلاحي أن المعرفة هي إدراك الأشياء الجزئية بالحواس، وأنها تستعمل في التصورات، بخلاف العلم الذي يستعمل في التصديقات، ولذلك يقال عرفت الله تعالى دون علمته، لأن من شرط العلم أن يكون محيطاً بأحوال المعلوم إحاطة تامة، ومن أجل ذلك وصف الله تعالى بالعلم لا بالمعرفة، فالمعرفة أقل من العلم، فكل علم معرفة، وليس كل معرفة علماً، وجملة القول إن المعرفة تطلق على معنيين أساسيين، الأول: هو الفعل العقلي الذي يدرك الظواهر ذات الصفة الموضوعية، والثاني: اطلاقها على نتيجة ذلك الفعل، أي على حصول صورة الشيء في الذهن.[24]

المطلب الثاني

موقف المتكلمين من معرفة الله تعالى

إن أهم قضية قررها القرآن الكريم ودعا إليها النبي ﷺ هي الدعوة إلى معرفة الله تعالى، وتأسيس التوحيد في قلوب العباد على أساس حجج العقل والنقل، وإبطال ما يضادها من العقائد الباطلة، والظنون السيئة الفاسدة، لتخلص بالإنسان إلى عبادته تعالى وحده عن معرفة مقنعة عقلا ومسعدة قلباً.

وقد ذهب جمهور المتكلمين–عدا المعتزلة– إلى أن معرفة الله تعالى أمر غيبي مبني على ثبوت الخبر بالدليل وهي أصل المعارف والعقائد الدينية، وعليها يتفرع وجوب كل واجب من الواجبات الشرعية،[25] ولكنهم اختلفوا هل أنها تحصل بحجة بالعقل، أو أنها تثبت بالنظر والاستدلال، أو أنها ضرورة فطرية، أو أنها ضرورة فطرية وتثبت بالنظر والاستدلال.

وللإلمام بهذه التفاصيل أرى من الضروري أن نذكر وبإيجاز مواقف المتكلمين من مسألة معرفة الله تعالى وأوجزها كالآتي:

القول الأول: ذهبت المعتزلة والشيعة الإمامية إلى أن النظر في معرفة الله تعالى واجب إجماعاً،[26] وإنها لا تحصل إلا بحجة العقل، لأن ما عدى العقل من الدلالات والحجج فرع على معرفة الله وتوحيده وعدله، ولو استدل بشيء منها على الله تعالى لكان ذلك استدلال بفرع للشيء على أصله وذلك لا يجوز،[27] وقالوا: أن معرفة الله تعالى لو كانت فطرية وضرورية يخلقها الله تعالى في قلوب عباده لكانت غير مقدور عليها، ولا شيء من غير المقدور بواجب.[28]

واحتج أصحاب هذا القول بأدلة عدة، منها:

١. إن معرفة الله تعالى من أعظم نعمه، وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع، وأن الحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل، لأنه لا حاكم بالحسن والقبح سوى العقل، ولا حكم لله تعالى فيهما، بل إن الله تعالى تابع في أفعاله لحكم العقل، ولا يجوز أن يخالفه.[29]

٢. المعرفة لولم يكن حاصلاً بالعقل، بل كان يتوقف حصوله على النظر لكان العبد مكلفاً بفطرته ونظره ليثبت بها الشرائع والأحكام التكليفية، وأن التكليف بتحصيلهما تكليف الغافل، لأن من لا يعلم إثبات الصانع وصفاته والنبوات لا يعلم التكليف قطعاً لا بهذه الأمور ولا بغيرها، وتكليف الغافل لا يجوز إجماعاً.

يبدو مما تقدم أن المعتزلة والشيعة جعلوا العقل السبيل الوحيد المتاح للإنسان للوصول إلى حقيقة معرفة الله تعالى، وهذا لا يسلم لهم، لأن مستوى المكلفين متفاوتة يختلف من شخص إلى آخر، فلا يصح ذلك بالضرورة على كل أحد، فقد يكون الشخص قوي الإدراك فيتمكن من المعرفة، ولكن هذ ليس معناه أنه يستطيع معرفة

أسمائه وصفاته وأفعاله، فهذه المسائل توقيفة لا تدرك إلاَّ بالوحي الإلهي. وعلاوة على ذلك أن ثمة أدلة أخرى يستدل بها بهذا الخصوص كالنظر والسمع والفطرة، فلا يجوز الاقتصار على حجة العقل ورفض غيره.

القول الثاني: ذهب جمهور المتكلمين[30] من الأشاعرة، والماتريدية[31] إلى أن الواجبات كلها سمعية، والعقل لا يوجب شيئاً، ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً،[32] وإن معرفة الله تعالى ليست ضرورة فطرية، بل أنها تحصل بالنظر والاستدلال، وبالسمع تجب.[33]

يقول الإيجي:[34] ''وقد اختلف في أول واجب على المكلف أنه ماذا؟ فالأكثر ومنهم الشيخ أبو الحسن الأشعري[35] على أنه معرفة الله تعالى، إذ هو أصل المعارف والعقائد الدينية، وعليه يتفرع وجوب كل واجب من الواجبات الشرعية''.[36]

وقالوا: أنه يجب على العاقل البالغ المكلف القصد إلى النظر والاستدلال المؤديين إلى معرفة الله تعالى، فمن أنكر النظر والاستدلال لا يخلو: إما ان ينكر بدليل، أو بغير دليل، أو بالتقليد، فإن أنكره بغير دليل لا يقبل منه، وإن أنكره بالتقليد، فليس تقليد من قلده بأولى من تقليدنا، وإن أنكره بدليل فهو النظر والاستدلال الذي أنكره، والنظر لا يزول بالتفكير، فبطل دعواه.[37]

وقد استدل الأشاعرة والماتريدية بأدلة عدة على صحة مذهبهم نذكر منها:

١. إن معرفة الله يجب بالنظر والاستدلال، لأنه لو لم يجب إلا بالشرع يلزم إفحام الأنبياء (عليهم السلام) وعجزهم عن إثبات نبوتهم في مقام المناظرة، إذ يجوز للمكلف حينئذ أن يقول إذا أمره النبي بالنظر في معجزته وغيرها مما يتوقف عليه نبوته ليظهر له صدق دعواه: لا أنظر ما لم يجب النظر علي، ولا يجب النظر علي ما لم يثبت الشرع عندي، إذ المفروض عدم الوجوب إلا به، ولا يثبت الشرع عندي ما لم أنظر، لأن ثبوته نظري، فيتوقف كل واحد من وجوب النظر وثبوت الشرع على الآخر، وهو دور محال، ويكون كلامه هذا حقاً لا قدرة للنبي على دفعه، وهو معنى إفحامه.[38]

٢. إذا كانت معرفة الله والإقرار به ثابتة في كل فطرة، فكيف ينكرها كثيرٌ من المسلمين وغيرِهم من أصحاب العقول والنظر، فلمّا أنكر ذلك هؤلاء النظار والعقلاء، دل ذلك على أن معرفة الله نظرية لا فطرية.[39]

ويمكن مناقشة هذين الدليلين وكالآتي:

أ. المعرفة قد تحصل في قلوب كثير من الناس بالضرورة، أو بالأدلة النظرية،[40] فإذا حصل أدنى تذكر رجعت النفس وتوجهت نحو المطلوب، فيحصل لها معرفة الله تعالى ومحبته،[41] لأن أصل الإقرار العام بالخالق موجود في قلوب العباد، ولكن ما علا تلك القلوب من الران، وما علق بها من الشبهات، أو ما عرض لها من غفلةٍ عما خلقت له أدى إلى ذهولها وإنكارها لتلك المعرفة التي وجدت فيها.[42]

ب. الإنكار والإلحاد خلافُ الأصل والغالب، فهو وإن كثرت أفراده إلا أنه قليل نسبياً مقارنةً بالأمم التي تقر بوجود الله تعالى، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة وجوده تعالى.[43]

ت. إن الإلحاد المطلق إما أن يكون إنكاراً ظاهراً، مع علمه في قرارة نفسه ببطلانه، وتكون تلك مكابرةً مهَّد لها شهوة رئاسة أو مال أو نحو ذلك، وقد يكون ذلك الإنكارُ إنكاراً ظاهراً وباطناً، فيكون وهماً كاذباً من جنس الأوهام التي تطرأ على القلوب والنفوس، والتي دعت قوماً إلى إنكار البدهيات والضروريات من أهل السفسطة ونحوهم.[44]

القول الثالث: ذهبت الصوفية إلى إن معرفة الله تعالى ضرورة فطرية تحصل في قلوب العباد، فالله تعالى يبتدي تلك المعرفة اختراعاً في قلوب العقلاء البالغين من غير سبب يتقدم ومن غير نظر، وقالوا إن الطريق الى معرفته الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية.[45]

والمعرفة عند الصوفة نوعان: معرفة تعرف، ومعرفة تعريف، ومعنى التعرف ان يعرفهم الله عز وجل نفسه ويعرفهم الأشياء به كما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾،الأنعام:٧٦ ومعنى التعريف أن يريهم آثار قدرته في الآفاق والأنفس ثم يحدث فيهم لطفاً تدلهم الأشياء أن لها صانعاً، وهذه معرفة عامة المؤمنين، والأولى معرفة الخواص وكل لم يعرفه في الحقيقة إلا به.[46]

وقالوا: إن الدليل على الله تعالى هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل لأنه محدث، والمحدث لا يدل إلا على مثله، وأما العقل فأنه

عاجز، والعاجز لا يدل إلا على عاجز مثله، لأن العقل آلة للعبودية لا للإشراف على الربوبية.[47]

وقد وضح الإمام النورسي مسلك الصوفية في طريقة استدلالهم على المعرفة الإلهية، فيقول: ''إن اصحاب الطريقة الصوفية قد سلكوا في المعرفة الالهية طريقين: أحدهما السير الأنفسي، والآخر السير الآفاقي، ووجدوا أن أقصر طريق وأيسرها وأمتنها وأكثرها اطمئناناً هي الطريق الأنفسي أي في القلب، وذلك بالذكر الخفي، والآخر: الصعود إلى مرتبة الإيمان الخالية من الشكوك والريوب بمطالعة خريطة الحقيقة الإنسانية وفهرس الأنانية البشرية وماهيتها النفسانية، وهي أقوى مرتبة وجدانية وشعورية وشهودية –الى حد ما– فهي بدرجة حق اليقين، بحيث أن هذه المرتبة متوجهة إلى سر الأقربية الإلهية، والوراثة النبوية''.[48]

ولعلَّ مما ينبغي الالتفات إليه أن كلام بديع الزمان هذا يدل أن طرق الصوفية تمتلك أقوى مرتبة وجدانية وشعورية وشهودية في الاستدلال على معرفة الله تعالى، ولكنه أشار في موضع آخر أن علم الكلام على الرغم من أنه قاصرة، إلا انها تملك قوة وطاقة اكثر مما في طرق التصوف، وهذا يدل على أن النورسي لم يرفض منهج المتكلمين جملة وتفصيلاً، وإنما رفض تعقيداته، إذ يقول: ''لقد انقادت طائفة المدارس الشرعية لطائفة التكايا والزاويا الصوفية منذ سالف العصور، أي سلّموا لهم القياد وراجعوهم للحصول على ثمار الولاية. وتحرّوا عندهم أذواق الايمان وانوار الحقيقة. حتى كان عالم كبير من علماء المدرسة الشرعية يقبّل يد شيخ ولي صغير من أولياء الزاوية الصوفية ويتبعه، فطلبوا ذلك النبع الفياض بالماء الباعث على الحياة في التكايا والزوايا. بينما أظهرت رسائل النور بالمعجزة المعنوية للقرآن الكريم –كما هو ماثل امامكم– إن في المدارس الشرعية أيضاً طريقاً قصيرة توصل إلى أنوار الحقيقة، وفي العلوم الايمانية ينبوع ثرّ هي أصفى وأنقى من غيرها. وإنه في العلم الشرعي، وفي الحقائق الايمانية وعلم كلام أهل السنة، طريقاً للولاية هي أسمى وأحلى واقوى من العمل والعبودية والطريقة الصوفية''.[49]

وقد استدل أصحاب هذا القول بأن معرفة الله تعالى ضرورة وغير مكتسبة بالنظر بأدلة عدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نذكرها منها:

١. قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الروم:٣٠

٢. روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهِ: ''كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ''.[50]

٣. ومن الأدلة التي استدلوا بها قول الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ: ''الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته''.[51]

وقد وضح الشيخ الجنيد[52] قول الصديق فقال: ''ليس يريد الصديق ﷺ أنه لا يعرف، لأن عند المحققين العجز عجز عن الموجود دون المعدوم، كالمقعد عاجز عن قعوده إذ ليس بكسب له ولا فعل والقعود موجود فيه، وكذلك العارف عاجز عن معرفته، والمعرفة موجودة فيه لأنها ضرورية، وعند هذه الطائفة: المعرفة به سبحانه في الانتهاء ضرورية، فالمعرفة الكسبية في الابتداء، وإن كانت معرفة على التحقيق، فلم يعدّها الصديق ﷺ شيئاً بالإضافة إلى المعرفة الضرورية، كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه''.[53]

يلاحظ مما تقدم أن معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده أمر فطريٌّ ضروري عند الصوفية، ولا شك أن هذا هو الأصل الذي يجب أن يؤخذ به، ولكن يجب أن لا ننسى أن معرفة الله وإن كانت فطرية ضرورية إلا أنها قد تحصل بطرق أخرى، فلا يجوز حصرها على الفطرة وحدها. فيخاطب من فسدت فطرته وغطت الشبهات بصيرته بالطرق النظرية الصحيحة التي جاء القرآن الكريم ببيان أصولها أحسن بيان وأوضحه، وذلك ليمحو الفساد الذي غطى تلك الفطرة وحجبها.

القول الرابع: ذهب أصحاب هذا القول إلى أن معرفة الله ضرورةً فطرية، ويمكن أن تقع بالنظر. وهذا هو قول جماعة من المتكلمين كالغزالي،[54] والرازي،[55] والآمدي[56] وهو مذهب الحنابلة.[57]

وقالوا: إن معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده أمر أزلي فطريٌّ ضروري، فأن الخلق فطروا على معرفة خالقهم، وهو الذي يقر به الناس كافة، وإن كان قد يحصل عند البعض فهو نوع من التقصير لفهم تفاصيل المعرفة أو الإتيان بلوازمها، فذلك أمر آخر، فالإقرار بوحدانيته داخل الميثاق الذي أخذه الله تعالى على بني آدم وهم في ظهور

آبائهم،[58] يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾. الأعراف:١٧٢-١٧٣

وإن الله تعالى نصب على الحق الأدلة والأعلام الفارقة بين الحق والنور، وبين الباطل والظلام، وجعل فطر عباده مستعدةً لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من الاستعداد لمعرفة الحقائق لم يكن النظر والاستدلال، ولا الخطاب والكلام، كما أنه سبحانه جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا ذلك لما أمكن تغذيتها وتربيتها، وكما أن في الأبدان قوة تفرق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل أعظم من ذلك.[59]

ويقول الرازي:[60] ''العقائد الحاصلة عند التصفية إما أن تكون ضرورية، وإما أن لا تكون، فإن كانت ضرورية فلا كلام لنا فيها، فإنا قد نسلم أن النظريات يمكن أن تصير ضرورية، وإن لم تكن ضرورية فلا يخلو إما أن تكون تلك العقائد بحال يلزم من زوالها زوال شيء من العلوم الضرورية، أو يلزم، فإن لزم فتلك العلوم إنما حصلت مرتبة على تلك العلوم الضرورية، ولا معنى للعلم النظري إلا ذلك، وإن لم يلزم فتلك العقائد ليست إلا عقائد تقليدية، فلا عبرة حينئذ بذلك، فإن أمثال تلك العقائد قد توجد لأصحاب الرياضة من المبطلين من اليهود والنصارى والدهرية''.[61]

وتجدر الإشارة إلى أن معرفة الله تعالى وإن كانت فطرية ضرورية عند أصحاب هذا القول إلا أنهم قالوا أنها قد تقع بطرق أخرى، كالنظر الصحيح الذي جاء به الشرع، وكأن يخلق الله تعالى العلم للمكلف بذلك من غير واسطة، وإما بأن يخبره به من لا يشك في صدقه، كالمؤيد بالمعجزات القاطعة، وإما بطريق السلوك والرياضة، وتصفية النفس وتكميل جوهرها، حتى تصير متصلة بالعوالم العلوية عالمة بها، مطلعة على ما ظهر وبطن من غير احتياج إلى دليل، ولا تعلم، ولا تعليم.[62]

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة عدة من المصدرين الشريفين، نذكر منها:

١. معرفة الله تعالى فطرية بمعنى أن الخلق فطروا على معرفة خالقهم، يقول الله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ

ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾،إبراهيم:١٠ فالناس جميعاً معترفون بالله مقرون به أنه ربهم وخالقهم ورازقهم وأنه رب السماوات والأرض والشمس والقمر.[63]

٢. إن المعرفة ممكنة بالعقل، فالعقل السليم موافق للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، ولكن لا تجب إلا بالسمع، لأن الحجة لا تقوم على المكلف إلا بعد بعث الرسل،[64] يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.الإسراء:١٥

المطلب الثالث

موقف الإمام النورسي من معرفة الله تعالى

ذهب الأستاذ بديع الزمان النُوْرْسي إلى أن الإنسان إنما جيء به إلى هذا العالم لأجل أمر واحد وهو: معرفة الله تعالى والدعاء والتضرع إليه، فقال: ''لقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء، لأن كل شيء فيه موجَّه إلى العلم ومتعلقٌ بالمعرفة حسبَ الماهية والاستعداد، فأساسُ كلّ العلوم الحقيقية ومعدنها ونورُها وروحها هو 'معرفة الله تعالى'، كما أن أُسَّ هذا الأساس هو: الإيمان بالله جل وعلا''.[65]

وقد اقتطف الاستاذ النورسي من ثمار القرآن الكريم آية كريمة توجب على كل الإنسان عبادة الله تعالى ومعرفته، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إلاّ لِيَعْبُدون﴾،الذاريات:٥٦ وقد استنبط منها أسراراً جليلة، وحكماً بالغة، فيقول: ''يفهم من أسرار هذه الآية الجليلة: إن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه، هي: معرفة خالق الكون سبحانه، والأيمان به، والقيام بعبادته، كما أن وظيفة فطرته، وفريضة ذمَّته، هي: معرفة الله والإيمان به، والتصديق بوجوده وبوحدانيته إذعاناً ويقيناً''.[66]

وتجدر الإشارة إلى أن للإمام النورسي منهجه المُمَيَّز عن المتصوفة والمتكلمين، وذهب إلى أن معرفة الله تعالى المستنبطة بدلائل علم الكلام وطرق الصوفية لا يوصلان الإنسان إلى الإيمان التحقيقي، ويُعَدُّ منهج القرآن الكريم الذي لا تشوبه شائبة أيسر في بلوغ المقصود من الإيمان ومعارفه، فقال: ''أن القرآن الحكيم خاطب كل طبقة من طبقات البشر في كل عصر من العصور بأسلوبهم، وكأنه يخاطب تلك الطبقة بالذات، إذ لما كان القرآن يدعو جميع بني آدم بطوائفهم كافة إلى الإيمان الذي هو أسمى العلوم وأدقها، وإلى معرفة الله التي هي أوسع العلوم وأنورها، وإلى

الاحكام الإسلامية التي هي أهم المعارف واكثرها تنوعاً، فمن الألزم إذاً أن يكون الدرس الذي يلقيه على تلك الطوائف من الناس، درساً يوائم فهم كلٍ منها، والحال أن الدرس واحد، وليس مختلفاً، فلابد اذاً من وجود طبقات من الفهم في الدرس نفسه، فكل طائفة من الناس –حسب درجاتها– تأخذ حظها من الدرس من مشهد من مشاهد القرآن''.[67]

يقول النورسي: ''إن الذي دعا محي الدين بن عربي إلى أن يقول هذا الكلام لفخر الدين الرازي وهو إمام من أئمة الكلام هو: إن ما بينه أئمة اصول الدين وعلماء الكلام فيما يخص العقائد ووجود الله سبحانه وتوحيده غير كاف في نظر ابن عربي.

حقاً: إن معرفة تعالى المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين إن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب... ثم ان معرفة الله التي استقاها الرازي من علم الكلام كما تبدو ناقصة وقاصرة في نظر ابن عربي، فان المعرفة الناتجة عن طريق التصوف ايضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة التي استقاها ورثة الانبياء من القرآن الكريم مباشرة، ذلك لأن ابن عربي يقول: ''لا موجود إلاّ هو'' لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم، أمام الله سبحانه وتعالى، حتى وصل به الأمر الى انكار وجود الكائنات... بينما المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم، فضلاً عن انها لا تقضي على الكائنات بالعدم ولا تسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الاهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الالهية وتفتح في كل شيء نافذة إلى المعرفة الإلهية''.[68]

فيتضح من النص السابق أن الإمام بديع الزمان النورسي نقد منهجي المتكلمين والمتصوفة، لأنهما مسلكان لا يورّثان تمام الاطمئنان، إذ قدما العقل على النقل، فصعبوا الوصول إلى الحقائق، وحتى وإن وصلوا إليها فإنها لا تورث قناعة كتلك التي يورثها القرآن الكريم بأدلته السهلة الواضحة، لأن المتكلمين سلكوا لإثباتها طرقاً طويلة تستعصي على أفهام الجمهور.[69]

وهذا الرأي من الإمام النورسي لم يكن بدعاً وخروجاً عن المألوف، بل هو رأي سبق إليه كبار العلماء، يقول الإمام الغزالي:[70] ''فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله،

فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه ومانعاً منه، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة''.[71]

وقد ذكر النورسي مثالاً واقعياً وبأسلوب سهل مبسط على معرفة الله تعالى، يقول: ''إني قد شاهدت أن شواهد معرفة الله وبراهينها ثلاثة اقسام:

قسم منه: كالماء يُرى ويحسّ، ولكن لا يمسك بالأصابع، ففي هذا القسم عليك بالتجرّد عن الخيالات، والانغماس فيه بكليتك، فلا تتجسس بإصبع التنقيد، فانه يسيل ويذهب، اذ لا يرضى ماءُ الحياة ذلك بالأصبع محلاً.

القسم الثاني: كالهواء، يحسّ ولكن لا يُرى، ولا يُتخذ ولا يُستمسك، فتوجه لنفحات تلك الرحمة، وتعرّض لها، وقابلها بوجهك وفمك وروحك، فان نظرت الى هذا القسم بيد التردد والريب ومددت اليه يد التنقيد، بدلاً من الانتعاش روحياً، فانه ينطلق، إذ لا يتخذ يدك مسكناً له ولا يرضى بها منزلاً.

القسم الثالث: فهو كالنور، يُرى ولكن لا يحس، ولا يؤخذ ولا يستمسك، فتعرّض له وقابله ببصيرة قلبك ونظر روحك، وتوجّه اليه ببصرك، ثم انتظر، فلربما يأتي بذاته ومن نفسه. لان النور لا يؤخذ باليد، ولا يُصاد بالأصابع، بل بنور البصيرة يُصاد. فاذا مددت اليه يداً مادية حريصةً، ووزنته بموازين مادية، فانه يختفي وإن لم ينطفئ، لان نوراً كهذا مثلما انه لا يرضى بالماديّ حبساً، ولا يدخل بالقيد ابداً، فانه لا يرضى بالكثيف مالكاً وسيداً عليه''.[72]

والمنهج الذي سلكه الأستاذ النورسي وتبناه في الاستدلال على معرفة الله تعالى والمسائل العقدية هو: دليل العناية والاختراع، وهو يتفق في هذا المنهج[73] مع ابن رشد،[74] فيقول: ''إن أصول العروج إلى عرش الكمالات وهو معرفة الله جلّ جلاله أربعة:

أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

هذان الأصلان وإن تشعبا من القرآن الكريم، إلاَّ أن فكر البشر قد أفرغهما في صور أخرى فأصبحتا طويلة وذات مشاكل.

ثالثها: مسلك الفلاسفة.

هذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام.

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبنى الإنسان. ونحن قد اخترنا هذا الطريق، وهو نوعان:

الأول: دليل العناية:

إن جميع الآيات الكريمة التي تعدد منافع الأشياء، تومئ إلى هذا الدليل وينظم هذا البرهان، وزبدة هذا الدليل: رعاية المصالح والحكم في نظام العالم الأكمل، مما يثبت قصْد الصانع وحكمته وينفي وهْمَ المصادفة... فان شئت فراجع القرآن الكريم، تجد دليل العناية بأكمل وجه، في وجوه الممكنات، لأن القرآن الكريم الذي يأمر بالتفكر في الكون، يعدّد أيضاً الفوائد ويذكّر بالنعم الإلهية... فتلك الآيات الجليلة مظاهر لهذا البرهان، برهان العناية.

الثاني: دليل الاختراع:

إن الله تعالى قد أعطى كل فرد وكل نوع، وجوداً خاصاً، هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنبع كمالاته اللائقة، فلا نوع يتسلسل إلى الأزل، لأنه من الممكنات، فضلاً عن أن حدوث قسم منها مشاهد وقسم آخر يراه العقل بنظر الحكمة. إن انقلاب الحقائق محال، وسلسلة النوع المتوسط لا تدوم، أما تحول الأصناف فهو غير انقلاب الحقائق".[75]

جلّى أنّ رسول الله ﷺ هو الأنموذج الأكمل في معرفة منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الله تعالى، وقد تمثّله أصحابه ﷺ، وفي هذا الصدد يقول الإمام النورسي: "إن أقوى منهج من بين المناهج المؤدية إلى معرفة الله، كعبة الكمالات، وأكثرها استقامة، هو المحجة البيضاء التي سلكها صاحب المدينة المنورة ﷺ، ذلك المنهج الذي ترجمه لسانه الصادق المبارك العاكس كالمرآة لما في قلبه الشريف –الذي هو كمشكاة مطلة على عوالم الغيب– فهو ﷺ روح الهداية، واصدق شاهد حي وافصح برهان ناطق واقطع حجة على الصانع الجليل؛ إذ من حيث الخليقة، ذاته برهان باهر،

ومن حيث الحقيقة لسانه شاهد صادق. نعم! أن محمداً ﷺ حجة قاطعة على وجوده تعالى وعلى النبوة وعلى الحشر وعلى الحق وعلى الحقيقة".[76]

يستشف مما سبق تقريره ومن خلال بيان أقوال المتكلمين وأدلتهم إن أصح الأقوال هو قول الإمام النورسي والمتكلمين والحنابلة، فمعرفة الله تعالى لا تحصل إلاّ بالفطرة السليمة، وقد تحصل بالنظر والاستدلال، وإن أسهل طرق الاستدلال وأوضحها على المعرفة يكون من خلال القرآن الكريم، فالمتدبر في آياته يلتمس بكل يسر ووضوح الأدلة الباهرة على عظمة الله تعالى وقدرته على خلقه، فإذا نظر وصل إلى الغاية التي خلق من أجلها وهو انفراد الله تعالى بالربوبية والعبادة والطاعة.

المبحث الثاني

أقسام معرفة الله تعالى وأثرها على العمل الإيجابي

نستعرض في هذا المبحث على أقسام المعرفة وأثرها على العمل الإيجابي، ويتم هذا في مطلبين:

المطلب الأول

أقسام معرفة الله تعالى وأسبابها

أولاً: أقسام معرفة الله تعالى:

قسَّم العلماء معرفة الله تعالى على قسمين اثنين:

١. معرفة كنه وحقيقة ذات الله تعالى، وهذا غير مطلوب من أحد من خلقه، لأنه مستحيل أن يعرف كنه وحقيقة ذاته تعالى، فهو مما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فالمطلوب أذن معرفة الذات بالوجود، ومعرفة الصفات بالمعاني، والاعتقاد الجازم بأنه تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.[77]

وقد ورد في القرآن الكريم نهي صريح في عن الخوض في حقيقة ذات الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾،[النحل:٧٤] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[الشورى:١٢]

وقد يتساءل سائل بأنه ما دام الله تعالى لا يمكن وصفه، وبالتالي لا يمكن رؤيته، كيف إذًا يمكن معرفته؟

ويمكن الإجابة عن هذا التساؤل كالآتي:

أ. إن المرء لا يستطيع أن يعرف كنه ذات الله تعالى، لأن الله تعالى فوق قدرة الفهم البشري، ويستحيل على الفاني أن يعرف الخالد، لا يدرك الشبيه إلا الشبيه به.[78]

ب. إن معرفة الله بتمامه وإن كانت مستحيلة يبقى أن الإنسان يعرف من الموضوع بحسب طاقته، وقد أعطى الإنسان وحيًا يمكنه فهمه، ويتجلى هذا الوحي في الخلق، وبما أن الخلق تعبير صريح عن الوحي الإلهي أصبح الله حاضرًا في كل مكان؛ حيث اتجهتم فثم وجه الله.[79]

٢. معرفة الوجود والمعاني، وهذا هو المطلوب من العباد.

إن من مقامات الدين الإسلامي ومنازله العلية الرفيعة معرفةَ الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وما تعرَّف به إلى عباده في كتابه وسنة رسوله ﷺ، بل إنّ هذا أساسٌ من أسس الدين، وأصل من أصول الإيمان، وقِوام الاعتقاد وأصلُه.

ولا ريب أنَّ هذه المعرفة أشرف العلوم الشرعية لتعلُّقه بأشرف معلوم وهو الله تعالى، فمعرفته سبحانه والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين كلها، وإرادة وجهه أجل المقاصد، وعبادته أشرف الأعمال، والثناءُ عليه بأسمائه وصفاته ومدحُهُ وتمجيدُه أشرفُ الأقوال، وهو الدين الذي اجتمع عليه جميع النبيّين، وعليه اتفقت كلمتهم وتواطأت مقالتهم وتوارد نصحهم وبيانهم.[80]

ويقول ابن رجب:[81] ''أفضل العلم: العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، التي توجب لصاحبها مغفرة الله وخشيته ومحبته وهيبته، وإجلاله وعظمته والتبتل إليه، والتوكل عليه، والصبر عليه، والرضا عنه، والانشغال به دون خلقه''.[82]

ولشرف هذا العلم كانت دعوة الأنبياء والرسل (عليهم السلام) تدور على ثلاثة أصول:

الأصل الأول: تعريف الربِّ المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله.

الأصل الثاني: معرفة الطريقة الموصلة إليه، وهي ذكره وشكره وعبادته التي تجمع كمال حبّه وكمال الذلّ له.

الأصل الثالث: تعريفهم ما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الذي أفضله وأجله رضاه عنهم وتجلّيه لهم ورؤيتهم وجهه الأعلى وسلامه عليهم وتكليمه إياهم.[83]

والمعرفة التي يريدها الله تعالى من عباده هي معرفة المبادرة إليه تعالى، معرفة الطاعة، معرفة الشكر، معرفة التوكل، هذه المعرفة الخاصة الجارية على لسان القوم، وتفاوتهم فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه، ولا شك أنه متى وجد المعرفة في العبد بهذا الشكل فأنه يزداد إيماناً ويقيناً.[84]

يقول السعدي:[85] "حقيقة الإيمان أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه وكلما نقص، نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر صفاته وأسمائه من القرآن".[86]

والقرآن الكريم فيه آياتٌ كثيرة متضافرة، تضمنت الدعوة إلى معرفة الله ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلا، وبيان ما يترتب على هذه المعرفة من الآثار الحميدة والنهايات الرشيدة والمآلات الطيبة، يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،[الأعراف:١٨٠] ويقول الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾،[الإسراء:١١٠] ويقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾،[طه:٨] ويقول الله جل وعلا: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.[الحشر:٢٢-٢٤]

بل جاء في القرآن الكريم آياتٌ صريحة ونصوصٌ واضحة فيها الدعوة إلى تعلّم الأسماء والصفات ومعرفتها ومعرفة الله تبارك وتعالى بها، وفي القرآن الكريم قرابة الثلاثين آية فيها الدعوة إلى العلم بأسماء الله تعالى وصفاته، نذكر منها قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾،[البقرة:٢٠٩] وقوله تبارك وتعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾،[المائدة:٩٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة.[87]

يلحظ مما تقدم أن معرفة ذات الله تعالى بكنهه وحقيقته غير مطلوب من العباد لقصور البشر عن تحصيل ذلك، بل أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف حقيقة نفسه، فكيف يستطيع أن يدرك حقيقة ذات الله تعالى وكنهه، وإن أول فرض فرضه الله على خلقه: معرفته، وتحصل هذه المعرفة من خلال الفطرة السليمة أو التمعَّن في آثار قدرته وعظمته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته.

ثانياً: أسباب معرفة الله تعالى:

إن أسباب المعرفة عديدة، وأنها تكون بأمور عدة، نذكر منها:

١. من أسباب معرفة الله تعالى هو اتباع هدي رسله الذين أيدهم بالمعجزات والأدلة الباهرة، والبينات... الشاهدة لهم على أنهم رسل رب العالمين حقاً، لأن معرفة الله تعالى وصفاته من الأمور الغيبية لا يستطيع أحد معرفتها إلا بالاتصال برسل الله الذين يحملون الأدلة القطعية التي تثبت حقاً أنهم مرسلون صادقون قد أرسلهم الله تعالى،[88] يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾. الحديد:٢٥

وجدير بالذكر أن عامة الناس الذين ضلوا عن معرفة الله تعالى، فإنما هو لتفريطهم في اتباع ما جاء به الرسل (عليهم السلام)، وترك النظر والاستدلال الموصل إِلَى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا،[89] كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾. طه:١٢٣-١٢٦

يقول النورسي: "إن الرسول الكريم ﷺ دليل بذاته على وجود الخالق العظيم وعلى وحدانيته، كما يدل عليه اي موجود من موجودات الكون، وقد اعلن ﷺ وجه دلالته هذا على التوحيد والوجود مع دلالة الموجودات قاطبة.[90]

٢. النظر والتفكر في مخلوقاته عز وجل، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر الإنسان وتحثه على تدبُّر آثار عظمة الله تعالى وقدرته، وجاءت هذه الدعوة إلى

معرفته عن طريقين: أحدهما: النظر في مفعولاته، والثاني: التفكر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة.[91]

وتعدُّ هذه الطريقة من أسهل الطرق المؤدية إلى معرفة الله تعالى، إذ لو أمكن تحصيلها بطريق آخر أسهل من ذلك لسلكه سيدنا إبراهيم (عليه السلام)،[92] يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾،الأعراف:١٨٥ وقوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾،الروم:٥٠ وقول الله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾،يونس:١٠١ وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾،سبأ:٤٦ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾،آل عمران:١٩٠-١٩١ فدلت هذه الآيات الكريمات وغيرها أن الفكر في دلائل معرفة الله تعالى وعظمته وقدرته واجب على كل مكلف.[93]

يقول الباقلاني:[94] ''أن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد. النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته، لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار، ولا مشاهد بالحواس، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة، والبراهين الباهرة''.[95]

٣. ومن أسباب معرفة العبد ربه النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل (عليهم الصلاة والسلام)، فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمة التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها، فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة وجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه عز وجل،[96] يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.النساء:٨٢

٤. ومنها ما يلقى الله عز وجل في قلب المؤمن من معرفة الله تعالى حتى كأنه يرى ربه رأي العين،[97] روى أبو هُرَيْرَةَ ﷺ أن سيدنا جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإحسان، فقال: (ما الْإِحْسَانُ؟ قال: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ).[98]

المطلب الثاني

أثر معرفة الله تعالى على العمل الإيجابي

إن الرشد والسداد والعمل الإيجابي في كل نشاط إنساني مرجعها إلى معرفة الله تعالى معرفة صحيحة، والعمل بموجب تلك المعرفة، فكلما كان في معرفة الله تعالى خلل عند الفرد أو الجماعة، كان في سلوكها وهدايتها خلل بقدره، فهناك تلازم وثيق بين الاعتقاد وبين السلوك البشري، فصلاح وهداية النشاط البشري عائد إلى صلاح الاعتقاد، وفساده راجع إلى فساده.[99]

وكان الأستاذ النورسي (رحمه الله) كثيراً ما يوصي طلابه ويحثهم على العمل الإيجابي، ويدعوهم إلى التسامح والتصافح، والعفو عن أخطاء المخطئين والسياسيين، وينهاهم عن ترك كل ما يخالف المبادئ السمحة التي دعا إليها الإسلام الحنيف، يشهد لهذه المعاني قوله: ''إخواني! إن مرضي قد اشتد كثيراً، ولعلي أتوفى قريباً، أو امنع من المكالمة كلياً –كما كنت امنع أحياناً منها– لذا فعلى إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدّوها من قبيل أهون الشرين، وليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً، لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا، ولأن العمل السلبي في الداخل لا يُغتفر، ومادام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلاً، لذا انظروا اليهم كأهون الشرين، ومن اجل التخلص من اعظم الشر فلا تمسوهم بضرر بل حاولوا أن تنفعوهم''.[100]

وفيما يلي بيان لأثر معرفة الله تعالى على العمل الإيجابي، وفق ما بيَّنها رسائل النور:

١. حصول الأمن والأمان:

إن من آثار معرفة الله تعالى حصول الأمن والأمان، وعصمة الدماء والأموال والأعراض، فمن يؤمن بالله تعالى ويحقق لوازمها ومقتضياتها، فأنه يأمن على نفسه، ويأمنه غيره، ممن يعيش في المجتمع، لأنه يعرف ما يحل له فيأخذه، ويحرم ما عليه فيتركه، فيكف عن الاعتداء والظلم والعدوان، وهضم حقوق الآخرين، وكل ذلك من ثمار التفاعل الفعّال مع عقيدته التي تملى عليه ذلك، وتلزمه به، وبهذا تحل في المجتمع المحبة والموالاة في الله تعالى، والتعاون على الخير والمودة، ونصرة

المظلوم، وكف الظالم، يقول الله تعالى: ﴿اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. آل عمران:١٠٣

ومن الجدير بالذكر أن الأمن نعمة ربانية عظيمة تدوم وتزيد بالشكر والعرفان، وتفتقد بالكفر والعصيان، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد﴾. إبراهيم:٧

وقد انطلق بديع الزمان النورسي في ذلك من مسلَّمة منطقية مُضمَّنها أن تحقيق الأمن والأمان نعمة ربانية وعد الله تعالى بها عباده الصالحين، وهيأهم لحمايتها، وهذه القناعة جعلته ينذر حياته لنشر الأمن واستتبابه، وإسعاد الناس في جميع ربوع وطنه،[101] فيقول: ''ليهلكني الله ثلاث مرات إن لم أكن قد خدمت الأمن العام لهذا البلد أكثر من ألف مدير أمن، وأكثر من ألف مدعٍ عام''.[102]

ولم يكن موقف الأستاذ شعارات أو كلمات عابرة لكسب الرأي العام أو الحصول على مكاسب دنيوية، بل كانت مواقف وطنية صادقة نابعة من حسها الإيماني والوجداني والوطني ذكرها في مناسبات ومواطن عدة من رسائله لتعم بها الفائدة، ولكي يقتدى به المسلمون والأجيال القادمة، وحسبنا أن نذكر موقفاً من مواقفه ودعواته، فيقول: ''أما نحن طلاب النور، فإننا نسعى لمعاونة الإدارة، وإقرار الأمن والنظام، وإحراز السعادة للأمة والوطن''.[103]

وقد لاقت هذه الدعوة من الإمام النورسي صدى كبيراً بين الناس، وكانت كافية في نشر الأمن في أرجاء الدولة التركية، وإلجام أفواه المحرضين وأصحاب النفوس الضعيفة وأرباب المصالح الذين يحاولون نشر الفوضى في المجتمع والأخلال بأمنها وسلمها الوطني، فيقول: ''على الرغم من وجود قوى معنوية رهيبة تحاول الإخلال بالأمن والنظام، وعلى الرغم من فعالياتهم ونشاطهم في البلاد كافة... لم يستطيعوا الإخلال بالأمن، وما سبب ذلك إلاّ ستمائة ألف من نسخ رسائل النور، وخمسمائة ألف طالب من طلابها، وقد أصبحوا كقوة معنوية مساندة للأمن ليصدوا تلك القوى الهدامة الرهيبة ''.[104]

لقد اقتنع الإمام النورسي منذ بداية أمره بأن تحقيق الطمأنينة للأمة، وحفظ الأمن للوطن مأتىً عظيم لا يتأتى إلاّ بإعداد العدة الكافية لذلك، وقد حدد (رحمه الله) سبل إنقاذ الأمة من حافية الهاوية والإنتقال بهم إلى برّ الأمان، ولقد لخَّصها بقوله: ''هناك خمسة أسس ضرورية لإنقاذ هذه الأمة، وهذا الوطن، ونجاتهما من الفوضى والإرهاب، ومن المخاطر العظيمة: الأول: الرحمة، والثاني: الاحترام، والثالث: الأمن والثقة، والرابع: اجتناب المحرمات، والتمييز بين الحرام والحلال، والخامس: الطاعة، وترك التسيب''.[105]

ويلحظ أن هذه الأسس الخمسة التي دعا إليها الأستاذ هي بمثابة ركائز أساسية للنظام في البلاد، والمساس بها يعني: المساس بالوطن والأمة، وإن من تدبر القرآن الكريم على مُكث وعلم ومعرفة، يتضح له هذه المفاهيم بكل الوضوح، ويتجلى له أن أقصر الطرق إلى تحقيق الأمن، وأيسر السبل إلى تثبيت الأمان والاستقرار هو التمسك بكتاب الله تعالى.[106]

٢. البعد عن العُجب والتكبر:

رأس ما يطهّر القلب من مرض العُجب والتكبر، الإيمان القلبي القائم على معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله العظيمة الحكيمة، فإذا استشعر العبد عظمة الله تعالى وكبريائه وجلاله، وبالمقابل استشعر ضعفه وذله وفقره وحاجته إلى ربه، فإن ذلك من أعظم البواعث على ابتعاده عن التكبر وجنوحه إلى التواضع، لأن مقياس المؤمن الكامل هو التواضع لله تعالى، أمَّا غير المؤمن أو الشخص الناقص فيرى نفسه مختلف عن الآخرين، أو أنه أفضل منهم، وقد عدَّ الأستاذ النورسي هذا التكبر والعُجب إذا وجد في الإنسان نقصاً وليس كمالاً، فيقول ''إن مقياس العظمة في الكاملين هو التواضع، أما الناقصون القاصرون فميزان الصُغر فيهم هو التكبر''.[107]

وأيضاً الإنسان إذا كمل توكله على الله تعالى واستشعر أن النعمة التي هو بها – وغيرها من الخير الذي يأمله والشر الذي يحاذره– بيده تعالى وحده، حمله هذا العلم على ترك الاعتداد بنفسه أو قوته أو جاهه أو غناه.[108]

يقول الإمام النورسي: ''فيا أيها الإنسان! اذا آمنتَ بالله وحدَه وأصبحتَ عبداً له وحدَه، فُزتَ بموقعٍ مرموقٍ فوق جميع المخلوقات. أما اذا استنكفتَ من العبودية وتجاهلتَها فسوف تكون عبداً ذليلاً أمام المخلوقات العاجزة، واذا ما تباهيتَ بقدرتك

وأنانيتك، وتخلّيتَ عن الدعاء والتوكل، وتكبرّتَ وزِغتَ عن طريق الحق والصواب، فستكون أضعفَ من النملة والنحلة من جهة الخير والإيجاد، بل أضعف من الذبابة والعنكبوت. وستكون أثقلَ من الجبل وأضرّ من الطاعون من جهة الشر والتخريب''.[109]

٣. طمأنينة القلب:

إن معرفة الله تعالى تجعل القلب خصباً بالخير في التصورات والعواطف والتصرفات، كما أنها عامل في توازن القلب واستقراره، وكلما كانت معرفة الإنسان بالله أكمل، كان حظه من الكمال أوفر، وذلك أن لكل اسم من أسماء الله تعالى عبودية خاصة، وأثراً معيناً في القلب والفكر والسلوك.

لأن أصل معرفة العبودية أن تكون مبنية عَلَى الافتقار إِلى الله تعالى، لأن القلوب لا تطمئن ولا تهدأ ولا تسكن ولا ترتاح إلا بأن تعرف الله تعالى وأن تعبده عَزَّ وَجَلَّ، فإن من لم يعرف الله عَزَّ وَجَلَّ حق المعرفة، ويعبده حق العبادة كان فيه من الشقاء والألم، والنكد والنغص بقدر جهله بالله تعالى.[110]

وعليه فإنّ معرفة لله تعالى واعتقاد أنه متصف بكلّ صفات الكمال لها أثر كبير في القلب، فالقلب باستشعاره لمعنى عظمته تعالى يتفاعل ويتجاوب مع هذا المعنى ويتأثر به، وينبعث بموجبه، محبة أو خوف، رغبة أو رهبة، أو تعظيم وإجلال، أو توكل ورجاء.[111]

فأكمل الناس عبودية لربه: المتعبد بجميع الأسماء والصفات، لأن قلب الإنسان لا يشعر بالاطمئنان ولذة العبادة إلاَّ من خلال معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته التوقيفية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.[112]

وقد استشعر الاستاذ النورسي هذه اللذة الروحانية في حياته، نلتمسها في سلوكه وكلامه بكل وضوح، ومن ذلك قوله: ''إن قلب الإنسان مثلما ينشر الحياة إلى أرجاء الجسد، فالعقدة الحياتية في الوجدان –وهي معرفة الله– تنشر الحياة إلى آمال الإنسان وميوله المتشعبة في مواهبه واستعداداته غير المحدودة... إذن فالوجدان يطل على الحقائق بذاتها من هاتين النافذتين، فيرى هيمنة النظام على العالم كله، والخالق الكريم ينشر نور معرفته ويبثها في وجدان كل إنسان من هاتين النافذتين... فمهما أطبق العقل

جفنه، ومهما أغمض عينيه، فالفطرة تراه وعيون الوجدان مفتحة دائماً، والقلب نافذة مفتوحة''.[113]

٤. الابتعاد عن الحقد والحسد:

إن لمعرفة الله تعالى أثر كبير في سلامة القلب واتزان التفكير والسلوك، والابتعاد عن الحقد والحسد، فضلا عن أثرها البيّن في طمأنينة القلب، وصدق توكّله وركونه إلى ربه، وتسليمه لشرعه، راضياً بقدره، واثقاً بعدله وحكمته، مطمئناً إلى عفوه ومغفرته عند زلته وتوبته، يقول بديع الزمان النورسي: ''إن الذين يملأ قلبه الحقد والعداوة تجاه إخوانه المؤمنين إنما يظلم نفسه أولاً، علاوة على ظلمه لإخوانه، وفضلاً عن تجاوزه حدود الرحمة الإلهية، حيث يوقع نفسه بالحقد والعداوة في عذاب أليم، فيقاسها عذاباً كلما رأى نعمة حلّت بخصمه، ويعانيها ألماً من خوفه. وإن نشأت العداوة من الحسد فدونه العذاب الأليم، لأن الحسد أشد إيلاماً للحاسد من المحسود حيث يحرق صاحبه بلهيبه، أما المحسود فلا يمسه من الحسد شيء، أو يتضرر طفيفاً''.[114]

وقد بيّن الأستاذ النورسي سبل علاج هذا المرض الخطير، وذكر في مستهل كلامه: أن من يحسد محسوده كأنه يعترض على قسمة الله تعالى وقدره فيقول:''علاج الحسد هو: أن يلاحظ الحاسد عاقبة ما يحسده، ويتأمل فيها، ليدرك إن ما ناله محسوده من أعراض دنيوية، من مال وقوة ومنصب ـ إنما هو أعراض زائلة فانية، فائدتها قليلة، مشقتها عظيمة. أما اذا كان الحسد ناشئاً من دوافع آخروية، فلا حسد أصلاً. ولو تحرك عرق الحسد حتى في هذه الأمور، فالحاسد أما أنه مراء، يحبط حسناته الآخروية في الدنيا، أو أنه يسئ الظن بمحسوده فيظلمه. ثم أن الحاسد في حسده يسخط على قدر الله، لأنه يحزن من مجيء فضل من الله ورحمته على محسوده، ويرتاح من نزول المصائب عليه، أي كأنه ينتقد القدر الإلهي ويعترض على رحمته الواسعة، ومعلوم أن من ينتقد القدر كمن يناطح الجبل، ومن يعترض على الرحمة الإلهية يُحرم منها''.[115]

٥. نبذ الأنانية وحب النفس:

إن من النصائح الناصعة والإرشادات النيرة التي سجلها بديع الزمان النورسي لتلامذته هو ابتعادهم عن روح الأنانية وحب النفس، وقد ذكر الإمام المجدد أنه أول

درس الذي تلقاه من القرآن الكريم هو التخلي عن هذا المرض، فمن يعرف الله حق معرفته، ويؤمن بصفاته وأسمائه لا يقدم إلاَّ على فعل الخير، فيقول: ''إخواني! ربما أموت قريباً، فان لهذا العصر مرضاً داهماً، وهو الأنانية وحب النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباهج وزخارف المدنية الجذابة وأمثالها من الأمراض المزمنة، إن أول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم، هو التخلي عن الأنانية وحب النفس، حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقلد بالإخلاص الحقيقي، ولله الحمد والمنة، فقد برز في الميدان كثيرون ممن بلغوا ذلك الإخلاص الأعظم الحقيقي، فهناك الكثيرون ممن يضحون بإنانيتهم وبمنصبهم وجاههم في سبيل أصغر مسألة إيمانية''.[116]

٦. التوكل على اللّه تعالى:

التوكل على الله تعالى ثمرة من ثمرات معرفته، فكلما كان العبد بالله أعرف، كان توكله عليه أصدق، فيتوكل على الله في مغفرة الذنوب، وفي حصول الرزق، والإحسان... ويمثل التوكل على الله وثقة العبد واطمئنانه إلى ربه ومليكه ومدبره حصناً حصيناً يحمي الله به العبد، فيكون راسخ الإيمان قوياً ثابتاً عند الابتلاء وفي مجابهة الفتن والمغريات التي تستهدف زعزعة دينه... إذا تبين ذلك، فإن القلق الناتج عن عدم التوكل على الله عند من قام في قلبه مرض الريب والنفاق، يكون دافعاً إلى موالاة غير المسلمين والركون إليهم والتعاون معهم على نشر الفكر الخبيث والتخطيط والمكر.[117]

فبالتوكل تحصل قوة القلب وشجاعته، وعدم الخوف من المخلوقين، والتحرّر من التعلق بهم، والعمل الجاد في الحياة، كما يورّث الثقة بالله، وأهلية توفيقه وتسديده، وهذا التعلق بالله يورث الإخلاص لله وحده في الأعمال كلها، وعدم النظر إلى المخلوقين، ولا مدحهم أوذمهم، أو إعطاؤهم ومنعهم، فأمره كله لله، بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكون إليها بل يخلع السكون إليها من قلبه، ويلبسه السكون إلى مسببها، ويصف الإمام النورسي مثل الإنسان الذي يتوكل على الله تعالى بإيمانه، وبين الذي يتجاهل ذلك، فيقول: ''أن الإيمان نورٌ وهو قوةٌ أيضاً، فالإنسان الذي يظفر بالأيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائناتِ ويتخلصَ من ضيق الحوادثِ، مستنداً إلى قوةِ إيمانه فَيبحرُ متفرجاً على سفينة الحياة في خضم

أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلاً: تَوكَّلتُ على الله، ويسلّم أعباءه الثقيلةَ أمانةً إلى يدِ القُدرةِ للقدير المطلق، ويقطعُ بذلك سبيلَ الدنيا مطمئنّ البال في سهولةٍ وراحةٍ حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع أن يرتفعَ طائراً إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية. أما إذا ترك الإنسان التوكل فلا يستطيع التحليقَ والطيرانَ إلى الجنة فحسب بل ستجذبه تلك الأثقالُ إلى أسفلَ سافلين، فالإيمان إذن يقتضى التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين".[118]

٧. المعية مع اللّه تعالى:

من آثار معرفة الله تعالى وتوحيده على الإنسان شعورهم بمعية الله تعالى معهم في كل زمان ومكان، فالعبد بتوحيده لله تعالى يحقق أمراً مهماً هو أن يكون عبداً لله تعالى وحده، ولا يقبل إلاَّ أمره، ولا يجيب إلاَّ نهيه، ولا يسعى إلاَّ إلى رضوانه، فكل الطاعات والعبادات تكون لله الواحد الأحد، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. الأنعام:١٦٣

وصور الأستاذ حاجة البشر إلى معية الله تعالى للوقف أمام تحديات الأشرار وكيدهم، فقال: "إن الإنسان لدى انحيازه إلى جانب التخريب بالكفر والعصيان، يسبب دماراً رهيباً بعمل جزئي، فان أهل الإيمان محتاجون إذن، تجاه هؤلاء المخربين، إلى عناية إلهية عظيمة، لأنه إذا تعهّد عشرة من الرجال الأقوياء بالحفاظ على بيت وتعميره، فان طفلاً شريراً في محاولته إحراق البيت، يُلجئ أولئك الرجال إلى الذهاب إلى وليّه بل التوسل إلى السلطان. لذا فالمؤمنون محتاجون أشد الحاجة إلى عنايته سبحانه وتعالى للصمود تجاه هؤلاء العصاة الفاجرين".[119]

٨. محبة اللّه تعالى:

أن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته توجب محبته تعالى في القلوب، وتوجب أيضاً خشيته وخوفه ورجاءه وإخلاص العمل له، إذ أن النفوس قد جبلت على حب الكمال والفضل، فإذا تحققت محبة الله تعالى في القلوب انقادت الجوارح بالأعمال، وتحققت الحكمة التي خلق العبد من أجلها وهي عبادة الله تعالى، وهذا هو عين

سعادة العبد، ولا سبيل إلى هذه السعادة إلى بمعرفة خالقه وأسمائه وصفاته، والتفقه بمعانيها، وأحكامها، ومقتضياتها.[120]

وقد بيّن الإمام النورسي أهمية معرفة الله تعالى ومحبته بالنسبة إلى الإنسان، حيث عدَّها من أعظم وأسمى الغايات التي خلق الإنسان من أجلها، فيقول: ''اعلم يقيناً أن اسمى غاية للخلق، واعظم نتيجة للفطرة الإنسانية... هو 'الإيمان بالله'... واعلم إن أعلى مرتبة للإنسانية، وافضل مقام للبشرية... هو 'معرفة الله' التي في ذلك الإيمان... واعلم أن أزهى سعادة للإنس والجن، وأحلى نعمة... هو 'محبة الله' النابعة من تلك المعرفة... واعلم أن اصفى سرور لروح الإنسان، وانقى بهجة لقلبه... هو 'اللذة الروحية' المترشحة من تلك المحبة.

أجل! إن جميع أنواع السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة، إنما هي في 'معرفة الله'... في 'محبة الله' فلا سعادة، ولا مسرة، ولا نعمة حقاً بدونها، فكل من عرف الله تعالى حق المعرفة، وملأ قلبه من نور محبته، سيكون أهلاً لسعادة لا تنتهي، ولنعمة لا تنضب، ولأنوار وأسرار لا تنفد، وسينالها إما فعلاً وواقعاً أو استعداداً وقابلية، بينما الذي لا يعرف خالقه حق المعرفة، ولا يكنّ له ما يليق من حب وود، يصاب بشقاء مادي ومعنوي دائمين، ويظل يعاني من الآلام، والأوهام، ما لا يحصر''.[121]

٩. زيادة الإيمان:

تعد معرفة الله تعالى من أعظم أسباب زيادة الإيمان، وذلك لما يورثه في قلوب العابدين من المحبة، والإنابة، والتقديس، والتعظيم للباري جل وعلا، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.[محمد:١٧]

ومعرفة الله تعالى تثمر زيادة الإيمان لدى المؤمنين، وبحسب معرفة الإنسان بربه، يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه في القرآن الكريم.[122]

ولما كان سبحانه يحبّ أسماءه وصفاته كان أحبّ الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، والاتصاف بهذه الصفات والأسماء الحسنى يزيد الإيمان ويغرسه في قلب المؤمن، يقول الأستاذ النورسي: ''إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين

فيكتسب بذلك قيمةً تجعلُه لائقاً بالجنة، بينما يتردّى بظلمةِ الكفر إلى اسفل سافلين فيكون في وضعٍ يؤهّلُه لنار جهنم، ذلك لأنّ الإيمان يربطُ الإنسان بصانعهِ الجليل، ويربطه بوثاق شديد ونسبةٍ إليه، فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالأيمان قيمة سامية من حيث تجلِّي الصنعةِ الإلهية فيه، وظهورِ آيات نقوشِ الأسماء الربانية على صفحةِ وجوده. أما الكفرُ فيقطع تلك النسبةَ وذلك الانتسابَ، وتغشى ظلمته الصنعةَ الربانية وتطمِس على معالمها، فَتنقُص قيمةَ الإنسان حيث تنحصر في مادّته فحسب؛ وقيمةُ المادة لا يُعتدّ بها فهي في حكم المعدوم، لكونها فانية، زائلة، وحياتُها حياةٌ حيوانيةٌ مؤقتة''.[123]

١٠. القوة واليقين:

أن من آثار معرفة الله تعالى على عباده اجتماع القلوب على الحق، ووحدة الكلمة والصف، وبذلك تحصل القوة للمسلمين، والانتصار على أعدائهم، والثبات أمام التيارات والأفكار الباطلة المعادية للإسلام والمسلمين.

ولا شك أن هذه القوة واليقين لا تحصل إلا من خلال معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته والعمل بمقتضاها، فمن عرف ربه تمام المعرفة تحقق لنفسه ولمجتمعه هذه الآثار الحسنة العظيمة، فمعرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته يورث قوة اليقين بانفراده تعالى بتصريف شؤون الخلق وانفراده بذلك لا شريك له، وهذا مما يحقق صدق التوكل على الله تعالى في جلب المصالح الدينية والدنيوية، وفي ذلك فلاح العبد ونجاحه في الدنيا والآخرة.[124]

وكان بديع الزمان الأستاذ النورسي كثيراً ما يدعو طلابه والمسلمين إلى الوحدة والاتحاد والتآخي والتوادّ والتحاب، ونبذ الخلافات والمنازعات، وتجنب التفرقة، والبعد عن الحركات المتطرفة، لأنها تضعف شأنهم، وتهز كيانهم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. الحجرات:١٠

وذكر في موضع آخر: ''إن معرفة الله نقطة استناد وحيدة للإنسان، تجاه تقلبات الحياة ودوّاماتها، وتزاحم المصائب وتوالى النكبات. اذ لو لم يعتقد الانسان بالخالق الحكيم الذي امرُهُ كله حكمة ونظام، واسند الامور والحوادث الى المصادفات العمياء، وركن اليها والى ما يملكه من قوة هزيلة لا تقاوم شيئاً، فسينتابه الفزع والرعب وينهار من هول ما يحيط به من بلايا، وسيشعر بحالات أليمة تذكّر بعذاب جهنم..

وهذا ما لا يتفق وكمال روح الانسان المكرم، اذ يستلزم سقوطه الى هاوية الذل والمهانة، مما ينافي روح النظام المتقن القائم في الكون كله''.[125]

١١. تزكية النفوس:

إن تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد من أجل الثمرات التي تحصل بمعرفة الله تعالى وصفاته، فالشريعة المنزلة من عند الله تعالى تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريقُ الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلمُ بأسماء الله وصفاته يعصم من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، ويعين على الصبر، فإذا عرف العبد خالقه، واستحضر معانيها أثّر ذلك فيه تأثيراً كبيراً، وامتلأ قلبه بأجل المعارف والألطاف.[126]

لأنّ الإنسان –على قول الأستاذ– ''جيء به: ''فالإنسان جيء إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بمعرفة الله تعالى، لأن كل شيء فيه موجَّه إلى العلم ومتعلقٌ بالمعرفة حسبَ الماهية والاستعداد. فأساسُ كلِّ العلوم الحقيقية ومعدنها ونورُها وروحها هو 'معرفة الله تعالى' كما أن أُسَّ هذا الأساس هو الإيمان بالله جل وعلا''.[127]

١٢. الابتعاد عن العواطف الفاسدة:

إنّ المؤثر الأول في تخليص القلب من العواطف الفاسدة هو عمرانه بالتوحيد والإيمان، إذ به تقوى محبته لربه، ويزداد خوفه منه، ورجاؤه فيه، وأن الطريق إلى ذلك هو معرفة الله تعالى بأسمائه وأفعاله، واستشعار القلب لذلك، ثم عبادته تعالى بهذه المعرفة الصحيحة. ذلك أن النفوس قد تهفو إلى العواطف الفاسدة وإلى مقارفة المعاصي، فتذكر أن الله تعالى يبصرها، فتستحضر هذا المقام وتذكر وقوفها بين يديه، فتنزجر، وتجانب المعصية.[128]

ويرى الأستاذ أن الذي يؤمن بالله تعالى هو الذي يفوض أمره إلى خالقه في الأمر كله، وبالتالي يبتعد عن العواطف الفاسدة التي يقمتها الشارع الحكيم والناس جميعاً، ويعتقد بأن الله يحاسب عن كل صغيرة وكبيرة، فيقدم على أفعال الحميدة الحسنة، وفي المقابل يتجنب الأهواء الفاسدة، قال (رحمه الله): ''إن الذي يتحدث عن القدر والجزء الاختياري إن كان ذا إيمان كامل، مطمئن القلب، فأنه يفوّض أمر الكائنات كلها، ونفسه كذلك، إلى الله سبحانه وتعالى، ويعتقد بأن الأمور تجري تحت تصرفه

سبحانه وتدبيره... ويظل في دائرة العبودية ويرضخ للتكليف الإلهي ويأخذه على عاتقه. وينظر إلى القدر في الحسنات والفضائل الصادرة عنه، لئلا يأخذه الغرور، فيشكر ربه بدل الفخر، ويرى القدر في المصائب التي تنزل به فيصبر''.[129]

وذهب (رحمه الله) إلى أبعد من هذا، ورأى أن إدارة مائة من المفسدين أصعب من إدارة ألوف الصالحين، لأنه يصعب تنظيم شؤونهم وضبط أمرهم، فيقول: ''إن إدارة مائةٍ من الفاسقين الذين فسدت أخلاقهم وتزلزل اعتقادهم، أصعب من إدارة ألوف من المتدينين، فأهل الإسلام لا يحتاجون إلى التشويق على الحرص على الدنيا، بل يحتاجون إلى تنظيم مساعيهم، والتعاون، والأمنية بينهم، وما هي إلاّ بالتقوى''.[130]

ووجد الأستاذ النورسي أنّه ما من داء، إلاّ وله دواء شافي في القرآن الكريم، والعودة إليه وتطبيقه قولاً وعملاً، شاهد هذا الرأي قوله: ''لا تجد في القرآن آية إلا توحي بمحبة شديدة لله... وفيه حث كبير على الفضيلة – خلا تلك القواعد الخاصة بالسلوك الخلقي، وفيه دعوة كبيرة إلى تبادل العواطف، وحسن المقاصد، والصفح عن الشتائم، وفيه مقت للعجب والغضب، وفيه إشارة إلى أن الذنب قد يكون بالفكر والنظر، وفيه حض على الإيفاء بالعهود حتى مع الكافرين، وتحريض على خفض الجناح والتواضع، وعلى استغفار الناس لمن يسيئون إليهم، لا لعنهم. ويكفي جميع تلك الأقوال الجامعة، المملوءة حكمة ورشداً؛ لإثبات صفاء قواعد الأخلاق في القرآن. إنه أبصر كلّ شيء''.[131]

١٣. اليقين بنصر الله تعالى:

يشترط في نصر الله تعالى الإيمان به تعالى وتمام معرفته وتوحيده، توحيداً خالصاً، والقيام بالفرائض المفروضة عليه التي ترضي الله تعالى ورسوله الأكرم ﷺ في الدنيا والآخرة، فالعارف بالله تعالى له خاصية لا يملكها غيره، فهو حر من كل استعباد بعبوديته لله تعالى وحده. يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾. الأنعام:١٨

ويرى الإمام النورسي أن وظيفة البشر في هذه الحياة هو الإيمان بالله تعالى وثمرته العمل الإيجابي، وهو ما صرّح به الأستاذ بقوله: ''إن وظيفتي الخدمة الإيمانية، أما

النصر أو الهزيمة فمن الله سبحانه، وإنني قد تلقيت درس التقلد بالإخلاص التام من القرآن الكريم".[132]

الخاتمة

١. إن أهم قضية قررها القرآن الكريم ودعا إليها النبي ﷺ هي الدعوة إلى الله تعالى، وتأسيس التوحيد في قلوب العباد على أساس معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، فهي مدار العقيدة الإسلامية ومغزاها، وروح الإيمان، وأصله وغايته.

٢. ذكر بديع الزمان الإمام النورسي في رسائل النور مسألة معرفة الله تعالى مستفادة من منهج القرآن الكريم بأسلوب سهل مقنع، بعيداً عن التعقيدات الواردة في علم الكلام، ورأى أن دلالة القرآن الكريم على معرفة الله تعالى شمس ساطع يستنير به كلّ من أمعن النظر وصدقت نيته في التوجّه إلى كتاب الله.

٣. المعرفة الإلهية عند الإمام بديع الزمان النُوْرْسي حقيقة موضوعية، لها أثارها على الفرد والمجتمع، لما فيها من دلالات وأبعاد تعود عل الإنسان نفسه، ولهذا عدَّها من أهم الغايات التي خلق الإنسان من أجلها.

٤. إنّ أجلى الطرق وأوضحها في الاستدلال على معرفة الله تعالى هو القرآن الكريم، فالمتمعن في آياته يلتمس بكل يسر ووضوح الأدلة الباهرة على عظمة الله تعالى وقدرته على خلقه، فإذا نظر وصل إلى الغاية التي خلق من أجلها، والتي مفادها انفراد الله تعالى بالربوبية والعبادة والطاعة.

٥. معرفة ذات الله تعالى بكنهه وحقيقته غير مطلوب من العباد، بل هم قاصرون عن نيل ذلك، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعرف حقيقة نفسه، فمن المحال أن يدرك حقيقة ذات الله تعالى وكنهه.

٦. كرس الإمام سعيد النورسي حياته للأعمال الإيجابية في سبيل خدمة مجتمعه والأمة الإسلامية، وحاول إيجاد الحلول المناسبة للقضايا المستجدة والمشاكل الراهنة بما يوافق روح العصر الحديث، ويلبي متطلبات الحياة الاجتماعية من منظور إسلامي.

٧. أثبت مجدد العصر بديع الزمان من خلال مؤلفاته وخدماته التي قدمها لمجتمعه أن النظام الإسلامي ذات أهداف واضحة، وهي عبارة عن منظومة من القيم التي لا يمكن تجزئتها أو التخلي عنها أو استبدالها أو مقارنتها بنظم أخرى.

٨. كان الأستاذ النورسي (رحمه الله) كثيراً ما يوصي طلابه القيام بالعمل الإيجابي والعفو عن أخطاء العلماء المنحرفين والسياسيين المغرضين، وينهاهم عن أذية الناس وترك كل ما يخالف المبادئ السمحة التي دعا إليها الإسلام الحنيف.

٩. إن من آثار معرفة الله تعالى على عباده حصول الأمن والأمان، وعصمة الدماء والأموال والأعراض، فمن يؤمن بالله تعالى ويحقق لوازمها ومقتضياتها، فأنه يأمن على نفسه، ويأمنه غيره ممن يعيش في المجتمع، فتحل في المجتمع المحبة والموالاة في الله تعالى، والتعاون على الخير والمودة، ونصرة المظلوم، وكف الظالم.

١٠. لم تكن دعوة الإمام النورسي إلى إقرار الأمن في المجتمع شعارات أو كلمات عابرة لكسب الرأي العام أو الحصول على مكاسب دنيوية، بل كانت مواقف وطنية نابعة من حسها الإيماني والوجداني والوطني ذكرها في مناسبات ومواطن عدة من رسائله لتعم بها الفائدة، ولكي يقتدى به المسلمون والأجيال القادمة.

١١. إن لمعرفة الله تعالى أثر كبير على العمل الإيجابي، وعلى سلامة القلب واتزان التفكير والسلوك، والابتعاد عن الحقد والحسد، كما أن لها أثراً مهماً في طمأنينة القلب وتوكله وركونه إلى خالقه، وانقياده لأوامره، شاكراً لأنعمه، راضياً بقدره، واثقاً بعدله وحكمته، مطمئناً إلى عفوه ومغفرته عند زلته وتوبته.

١٢. إن من النصائح الناصعة والإرشادات النيرة التي سجلها بديع الزمان النورسي لتلامذته هو ابتعادهم عن روح الأنانية وحب النفس، وقد ذكر الإمام المجدد أنه أول درس تلقاه من القرآن الكريم هو التخلي عن هذا المرض، فمن عرف الله حق معرفته، وآمن بصفاته وأسمائه لا يقدم إلاَّ على العمل الإيجابي.

١٣. من آثار معرفة الله تعالى على العمل الإيجابي الاجتماع على الحق، ووحدة الكلمة والصف، والانتصار على أعداء الدين، والثبات أمام التيارات والأفكار الباطلة المعادية للإسلام والمسلمين.

التوصيات

بعد انتهاء رحلتي العلمية في رحاب رسائل النور المتعلقة بمسألة معرفة الله تعالى وأثرها على العمل الإيجابي، وإطلاعي على مؤلفات المؤلفين، وإتمامه بفضل الله تعالى، توصلت إلى نتائج، أُبرزها ما يأتي:

١. أوصي الباحثين والطلاب المسلمين بعدم الخوض في مسائل المتشابهات العقدية التي لا مجال للعقل فيها والتي تبعدهم عن هدفهم المنشود كالبحث عن حقيقة ذات الله تعالى وصفاته والعرش والاستواء والنزول... وإن يلتمسوا حقيقة هذه الحقائق من آثار عظمته وقدرته، ومظاهر رحمته.

٢. حازت كليات رسائل النور للإمام النورسي بالاهتمام الواسع الكبير لدى الباحثين، وإنه أجري حولها دراسات وأبحاث مستفيضة كثيرة، إلاَّ أن هناك مسائل نفيسة كثيرة لم تدرس حتى الآن، وانها تنتظر من يخرج دررها الثمينة، وجواهرها النفيسة إلى نور الوجود.

٣. انعقاد دورات ومؤتمرات علمية من مختلف البلدان الإسلامية، تناقش فيها مسائل عقدية بهدف نبذ الاختلاف، ومحاولة التوصل إلى اتفاق حول قضايا عقدية التي فرقت صفوف المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

١. أبكار الأفكار في أصول الدين: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: أحمد محمد المهدي، ط(٢)، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٢. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع: ط (١) دار النشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٣. إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت ٥٥٠هـ) دار المعرفة، بيروت.

٤. الأديان الوضعية: مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية (على موقع المكتبة الشاملة).

٥. أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة: عمر سليمان الأشقر، ط(٢) دار النفائس، عمان، الأردن، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٦. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النّورسي (ت ١٣٧٩هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(٧)، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م.

٧. الإشارة إلى مذهب أهل الحق: على ذيل (نهاية الإقدام في علم الكلام) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) تحقيق: محمد حسن إسماعيل، ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٨. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء، ط(١) الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، السعودية، ١٤٢١هـ.

٩. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت٦٠٦هـ) تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

١٠. الأعلام: خير الدين الزركلي، ط(٥)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

١١. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) تحقيق: محمد زاهد بن حسن الكوثري (ت ١٣٧١هـ) ط(٢)، مطبعة الخانجي، مصر، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م.

١٢. البدر الطالع: محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ط(١) دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٨هـ.

١٣. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط(١) دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢ م.
١٤. تأويلات أهل السنة: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط(١) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
١٥. التعرف لمذهب أهل التصوف: محمد الكلاباذي أبو بكر(ت ٣٨٠ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
١٦. التعريفات: السيد الشريف علي محمد الجرجاني الحنفي (ت ٨١٦ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط(١) مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٨. جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط(١) مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٩. الجامع المسند الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط(١) دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٢٠. درء تعارض العقل والنقل: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد رشاد سالم، ط(٢)، مطبعة جامعة الإمام محمد، السعودية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٢١. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت٨٣٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط(١) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٢٢. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر (ت ٤٤٤هـ) تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، ط(٢) الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٢٣. الرسالة القشيرية في علم التصوف: عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٢٤. رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة: كمال الدين الطائي، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.
٢٥. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
٢٦. سيرة ذاتية: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النّورسي (ت ١٣٧٩هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(٧)، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م.
٢٧. السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة: نصير الدين محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي المكي، اختصره وشذبه: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت ١٣٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور مجيد الخليفة، ط(١) مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨م.
٢٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن عماد الدمشقي (ت١٠٣٢هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط(١)، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٢٩. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، راجعه: الشيخ عبدالله عبدالرحمن الجبرين، سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني (٤)، مؤسسة الجريسي، الرياض.
٣٠. شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد (ت ٤١٥هـ) تحقيق: عبد الكريم عثمان، ط(١) مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.

٣١. شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية): محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني (ت ١١٨١هـ) تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٨م.
٣٢. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢ هـ) ط (٤) دار المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.
٣٣. شرح ثلاثة الأصول: محمد بن صالح العثيمين (ت ١٢٠٦هـ)، أعداد: فهد بن ناصر، دار الثريا للنشر، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
٣٤. الشعاعات: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النّورسي (ت ١٣٧٩هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(٧)، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م.
٣٥. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٣٦. صب العذاب على من سب الأصحاب: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن أبي الثناء الألوسي (ت ١٣٤٢هـ).
٣٧. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط(١) دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ.
٣٨. صيقل الإسلام: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النّورسي (ت ١٣٧٩هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(٧)، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م.
٣٩. العبودية مسائل وقواعد ومباحث: عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف، ط(١) دار النشر: مدار الوطن للنشر، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٤٠. غاية المرام في علم الكلام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
٤١. الفتاوى الحديثية: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ات: ٩٧٤هـ).
٤٢. الفتاوى الكبرى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، ط(١) دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.
٤٣. فلسفة الأمن والأمان عند الإمام بديع الزمان: أ.د. ميمون باريش.
٤٤. الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ط(٢) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
٤٥. فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمود بيجو، ط(١) ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٤٦. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط (٨) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٤٧. كتاب توحيد الخالق: عبدالمجيد الزنداني، ط(٢)، دار الخير، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
٤٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط (١) دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٤٩. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي، الطبعة الأولى، مكة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٥٠. الكلمات: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النّورسي (ت ١٣٧٩هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(٧)، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م.
٥١. الكوكب الأزهر شرح الفقه الأكبر: محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) تحقيق: محمد ياسين عبد الله، مكتبة الفكر العربي، بغداد ١٩٨٥.
٥٢. لباب التأويل في معاني التنزيل: أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، ط(١) تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٥٣. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ط (١) دار صادر، بيروت.
٥٤. اللمعات: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النّورسي (ت ١٣٧٩هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط (٧)، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م.
٥٥. المثنوي العربي النوري: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النّورسي (ت ١٣٧٩هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(٧)، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م.
٥٦. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
٥٧. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط(٢) ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
٥٨. المحصول: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ) تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط(٣) مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٥٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، ط(٢) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
٦٠. مسائل الإيمان: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: سعود عبدالعزيز الخلف، ط(١)، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ.
٦١. المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط(١) دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٦٢. المعجم الفلسفي: جميل صليبا، ط(١) منشورات ذوي القربى، مطبعة سليمان زاده، إيران، ١٣٨٥هـ.
٦٣. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٦٤. معرفة الله بين أهل السنة ومخالفيهم، موقع العقيدة والحياة [على الخط]. يمكن الحصول عليه http://www.al-aqidah.com/art/s/359 ، يوم الزيارة: ٢٠١٨/١٢/١٠.
٦٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، ط (٣) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٦٦. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق: محمد سيد جيلاني، دار المعرفة.
٦٧. المكتوبات: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النّورسي (ت ١٣٧٩هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(٧)، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م.
٦٨. الملاحق: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النّورسي (ت ١٣٧٩هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(٧)، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م.

٦٩. الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) تحقيق: محمد سعيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٧٠. مناهج الأدلة في عقائد الملة: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي (ت٥٩٥هـ) تحقيق: محمود قاسم، ط(٢)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م.
٧١. مهذب شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت٧٩٢هـ) تحقيق: علي بن محمد، ط(٢) مكتبة الغرباء، استنبول، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
٧٢. المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٣هـ) تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط(١) دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
٧٣. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط(١) دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
٧٤. نهاية الإقدام في علم الكلام: محمد بن عبدالكريم الشهرستاني(ت ٥٨هـ) تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط(١) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٧٥. نهاية العقول في دراية الأصول: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: سعيد عبداللطيف فوده، ط(١) دار الذخائر، لبنان، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
٧٦. الوافي بالوفيات: إصدار جمعية المستشرقين الألمانيين، الطبعة الثانية، عمان، مطبعة الجمعية العلمية الملكية.
٧٧. وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

* * *

الهوامش

[1] كلية العلوم الاسلامية – جامعة صلاح الدين – أربيل.
[2] المكتوبات: المكتوب (٢٠): ٢/٢٧٣.
[3] سيرة ذاتية: ٩/٥١٦.
[4] الكلمات: الكلمة (٢٦): ١/٥٤٧.
[5] سيرة ذاتية: ٩/٥٣٢.
[6] لسان العرب: ٤/ ٢٨٩٧.
[7] القاموس المحيط:٨٣٥.
[8] هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة، وألف كتابه المجمل في اللغة، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً، وله كتاب حلية الفقهاء، وله رسائل أنيقة، توفي سنة (٣٩٥هـ) (ينظر: وفيات الأعيان (١/١١٨).
[9] معجم مقاييس اللغة: ٤/٢٢٩.
[10] ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٦١.
[11] الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢/١١٠.
[12] ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٤/١٤١.
[13] ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٦١.
[14] القاموس المحيط: ٨٣٧.

[15] جامع البيان في تأويل لقرآن: ٢٤/ ١٢٢.
[16] ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٦١.
[17] ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٦١.
[18] ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٦١.
[19] المفردات في غريب القرآن: ٥٦١.
[20] هو: على بن محمد بن على الحسينى الجرجانى، ويعرف بالسيد الشريف، ولد سنة (٧٤٠ هـ)، توفي سنة (٨١٦ هـ) (ينظر: البدر الطالع ٤٨٨/١).
[21] التعريفات: ١٩٧.
[22] هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي سنة (٥٠٢هـ) (ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٢٠/١٨، برقم: ٦٠).
[23] المفردات في غريب القرآن: ٥٦١.
[24] ينظر: المعجم الفلسفي: ٣٩٤.
[25] شرح العقيدة السفارينية: ١٠٧/١.
[26] ينظر: المواقف: ٢٨.
[27] ينظر: شرح الأصول الخمسة: ٨٨.
[28] ينظر: المواقف: ٧٨/١.
[29] ينظر: الملل والنحل: ٤٥/١.
[30] وافق بعض من علماء الحنابلة مثل أبو الفرج المقدسي، والقاضي أبو يعلى جمهور الأشاعرة والماتريدية في أن أول الواجب يوجب على العباد هي المعرفة الحاصلة بالنظر والاستدلال، يقول القاضي أبو يعلى: ''إذا ثبتت صحة النظر ووجوبه فإن أول ما أوجب الله على خلقه العقلاء النظر والاستدلال المؤديين إلى معرفة الله تعالى'' (ينظر: مسائل الإيمان: ٦٨).
[31] ينظر: تأويلات أهل السنة: ١٧٦/١.
[32] الملل والنحل: ١٠١/١.
[33] ينظر: الكوكب الأزهر: ٤١ والإنصاف: ٢٩ ورسالة في التوحيد والفرق المعاصرة: ٢١.
[34] هو: القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الفارسي، المشتهر بالعضد الإيجي الشافعي، ولد سنة (٧٠٨هـ)، وكان أصولياً متكلماً حكيماً، وكان في أعلى مرتبة من مراتب التحقيق، وله مصنفات وشروح كثيرة، وتولى القضاء بديار فرس المحمية، وكان (رحمه الله) جرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجوناً سنة (٧٥هـ). (ينظَر: الأعلام: ٢٩٥/٣).
[35] هو: علي بْن إِسْمَاعِيل بْن أَبِي بشر أَبُو الحسن الأشعري، المتكلم صاحب الكتب، والتصانيف فِي الرد على الملحدة، وغيرهم من المعتزلة، والرافضة، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة. ولد سنة (٢٦٠هـ)، وتوفي في بغداد سنة (٣٢٤هـ) (ينظر: تاريخ بغداد: ٢٦٠/١٣، برقم: ٦١٤٢).
[36] المواقف: ١٦٥/١.
[37] ينظر: الإشارة إلى مذهب أهل الحق: ٣٧٢.
[38] ينظر: صب العذاب على من سب الأصحاب: ٣٥٨.
[39] شرح الأصول الخمسة: ٢٦.
[40] مجموع الفتاوى: ٣٤٠/١٦.
[41] درء تعارض العقل والنقل: ٤٢٥/٧.

[42] مجموع الفتاوى: ٣٤٠/١٦.
[43] ينظر: نهاية الإقدام: ٧٤.
[44] ينظر: الفتاوى الكبرى: ٣٧٤/١.
[45] التعرف لمذهب أهل التصوف: ٦٣.
[46] التعرف لمذهب أهل التصوف: ٦٤.
[47] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ٧٢.
[48] الملاحق: ملحق إميرداغ (١): ٢٦٨/٧.
[49] الملاحق: ملحق قسطموني: ١٩٧/٧.
[50] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين: ١٠٠/٢، رقم الحديث (١٣٨٥).
[51] نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب: ٢٨٦/٥.
[52] هو: ابن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري، شيخ الصوفية. ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، وتفقه على أبي ثور. وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتأله، وتعبد، ونطق بالحكمة، قال ابن المنادي: سمع الكثير، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورزق الذكاء وصواب الجواب. لم ير في زمانه مثله في عفة وعزوف عن الدنيا، وتوفي ليلة النوروز، سنة (٢٩٨هـ) (ينظر: سير أعلام النبلاء: ١١/ ٤٣، برقم (٢٥٥٣).
[53] الرسالة القشيرية في علم التصوف: ٣٠٠.
[54] ينظر: المستصفى: ٣٥٠ وفيصل التفرقة: ١٩.
[55] ينظر: المحصول: ٢٦٢/٢ ونهاية العقول: ٢٠٤.
[56] ينظر: أبكار الأفكار: ١٥٨/١وغاية المرام في علم الكلام: ٢٤٠.
[57] ينظر: درء تعارض العقل والنقل: ٣٥٤/٧.
[58] ينظر: شفاء العليل: ٢٩٥.
[59] درء تعارض العقل والنقل: ٦٢/٥.
[60] هو: الإمام الفخر الدين الرازي، محمد عمر الحسين، ولد سنة (٥٤٤هـ) وكنيته أبو عبد الله الشافعي، المفسر المتكلم، وصاحب التصانيف المشهورة، منها "التفسير الكبير"، وتوفي بهراة، يوم عيد الفطر، سنة (٦٠٦هـ) (يُنظَر: شذرات الذهب: ٤٠/٧).
[61] نهاية العقول: ٢٠١٦.
[62] ينظر: أبكار الأفكار: ١٥٨/١ومعرفة الله بين أهل السنة ومخالفيهم: http://www.al-aqidah.com/art/s/359 تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٧/٣.
[63] ينظر: مجموع الفتاوى: ٧٦/٢.
[64] رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: ١٣٥.
[65] الكلمات: الكلمة (٢٣): ٣٥٥/١.
[66] الشعاعات: الشعاع: (٧): ١٢٩/٤.
[67] ينظر: الكلمات: الكلمة (٢٥): ٤٧٣/١.
[68] المكتوبات: المكتوب (٢٦): ٤١١/٢.
[69] ينظر: غاية المرام في علم الكلام: ١٦.
[70] محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسي الفقيه الشافعي، ولد سنة (٤٥٠هـ) بالطابران، وتوفي سنة (٥٠٥هـ) (ينظر: الوافي بالوفيات: ٢١١/١).
[71] إحياء علوم الدين: ٢٣/١.

[72] اللمعات: اللمعة (١٧): ١٧٩/٣.
[73] ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة: ٢٥.
[74] هو: ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد القرطبي، العلامة، فيلسوف الوقت، أبو الوليد، ولد سنة (٥٢٠هـ)، عرض (المُوَطَّأ) على أبيه، برع فِي الفقه والطب، ثم أقبل على علوم الأوائل، توفي سنة (٥٩٥هـ) محبوساً بداره بمراكش (ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٠٧/٢١، برقم (١٦٤).
[75] صيقل الإسلام: المحاكمات (المقالة: ٣): ١١٢/٨.
[76] صيقل الإسلام: المحاكمات (المقالة: ٣): ١٢٤/٨.
[77] شرح العقيدة السفارينية: ١٠٨/١.
[78] الأديان الوضعية: ٣١٤.
[79] المصدر نفسه: ٣١٤.
[80] ينظر: الفوائد: ١٧٠.
[81] هو: عبد الرحمن بن أحمد بن حسن بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الشيخ زين الدين المعروف بابن رجب الحنبلي، قرأ على العز محمد بن إسماعيل بن عمر الحموي أمالي ابن سمعون، توفي سنة ٧٩٥هـ بدمشق (ينظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٧٢/٢، برقم (١١٧٦).
[82] مجموع رسائل: ٤١/١.
[83] ينظر: الصواعق المرسلة: ١٤٨٩/٤.
[84] ينظر: مدارج السالكين: ٣٣٨/٣.
[85] هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي: مفسر من علماء الحنابلة المعاصرين، من أهل نجد، ولد سنة ١٣٧٦هـ، له نحو ٣٠ كتاباً، توفي سنة ١٣٧٦هـ (ينظر: الأعلام: ٣٤٠/٣).
[86] تيسير الكريم الرحمن: ٣٥.
[87] ينظر: الكافية الشافية: ٤٠٣.
[88] ينظر: كتاب توحيد الخالق: ٢٦.
[89] ينظر: مهذب شرح العقيدة الطحاوية: ٢١.
[90] المكتوبات: المكتوب (١٩): ٢٣٣/٢.
[91] ينظر: الفوائد: ٢٠.
[92] الفتاوى الحديثية: ١٨٢.
[93] ينظر: المواقف: ١٤٨/١.
[94] هو: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور، له مصنفات كثيرة في علم الكلام وغيره، توفي سنة ٤٠٣هـ (ينظر: وفيات الأعيان: ٢٦٩/٤، برقم (٦٠٨).
[95] الإنصاف: ٢٢.
[96] ينظر: كتاب توحيد الخالق: ٢٦.
[97] شرح ثلاثة الأصول: ٤٤.
[98] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الإيمان، بَاب: سُؤَالِ جِبْرِيلَ النبي ﷺ: ٢٧/١، رقم الحديث (٥٠).
[99] ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: ٣٦١.
[100] السيرة الذاتية: ٥٣٦/٩.
[101] ينظر: فلسفة الأمن والأمان عند الإمام بديع الزمان: ٩.
[102] اللمعات: اللمعة (٢٦): ٣٦٤/٣.

[103] الشعاعات: الشعاع (١٤): ٥٣٤/٤.
[104] الملاحق: ملحق أميرداغ (٢): ٣٤٨/٧.
[105] الملاحق: ملحق قسطموني: ٢٠١/٧.
[106] ينظر: فلسفة الأمن والأمان عند الإمام بديع الزمان: ١٣.
[107] الكلمات: الكلمة (٣٣) ٨٥٦/١.
[108] ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: ٤٤١.
[109] الكلمات: الكلمة (٢٣): ٣٦٠/١.
[110] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٦٥.
[111] ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: ٤٧٤.
[112] ينظر: مدارج السالكين: ٤٥٢/١.
[113] صيقل الإسلام: المحاكمات (المقالة الثالثة): ١١٢/٨.
[114] المكتوبات: المكتوب (٢٢): ٣٢٩/٢.
[115] المكتوبات: المكتوب (٢٢): ٣٢٩/٢.
[116] السيرة الذاتية: ٥٣٧/٩.
[117] ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة:٤٩٨.
[118] الكلمات: الكلمة (٢٣): ٣٥٢/١.
[119] الكلمات: الكلمة (٢٦): ٥٣٦/١.
[120] ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: ١٢٢.
[121] المكتوبات: المكتوب (٢٠): ٢٧٣/٢.
[122] ينظر: العبودية مسائل وقواعد ومباحث: ٣.
[123] الكلمات: الكلمة (٢٣): ٣٤٨/١.
[124] ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: ١٢٢.
[125] صيقل الاسلام: المقالة (٣): ١١٢/٨.
[126] ينظر: أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة: ٢١.
[127] الكلمات: الكلمة (٢٣): ٣٥٥/١.
[128] ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: ٤١٥.
[129] الكلمات: الكلمة (٢٦): ٥٣٦/١.
[130] المثنوي العربي النوري: (زهرة من رياض القرآن الكريم): ٢٧٣/٦.
[131] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ٢٦٢/٥.
[132] السيرة الذاتية: ٥٣٣/٩.

العلامة الملا سعيد النورسي وجهوده في علم المنطق

د. لقمان عثمان عمر البَحركي

الملخص

يتكوّنُ هذا البحث مِن مبحثين، ذكرتُ في المبحث الأول فلسفةَ علمِ المنطق مِن تعريفِه وموضوعه وتاريخه وواضعه وحكم تعملّه وثمرته ومكانته بين العلوم واستمداده ومسائله وأسمائه ومباحثه.

ثم ذكرتُ في المبحث الثاني جهودَ الإمام سعيد النورسي رحمه الله في علم المنطق في كتابيه الذينِ صَنَّفهما في هذا الفن الذي يُعَدُّ مِن العُلوم العقلية.

* * *

Abstract

Mulla Said Nursi's Efforts in Logic

Dr. Loqman Uthman Oamr

This research consists of two topics. I mentioned in the first topic the philosophy of logic, from its definition, its subject, its history, its setting, the rule of its work, its position among the sciences and its derivation. Then, in the second topic, I mentioned the efforts of Imam Saied Al-Norsi, may God have mercy on him, in logic in his two books, which were classified in this art, which is considered from the mental sciences.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلَمْ، والصلاةُ والسلامُ على سيّدِنا محمدٍ الذي علَّمَنا ما لم نعلَمْ، وعلى آلِه وأزواجِه وأصحابِه الذينَ خَدَمُوا الدينَ بِعُلومهم التي تعلَّمُوا مِن النبيّ الرسولِ الأكرم.

أما بعد: فبعدما قررتُ أن أكتبَ بحثاً على الإمام النورسي رحمه اللهُ فكرتُ في أيّ مواضيع أكتبُ، لأنّ لبديع الزمانرحمه الله جوانب شتى، يحتاج إلى جامعة ضخمة مستقلة للبحث عن آراء وكُتب النورسي رحمه الله، ففكرتُ في جهوده المنطقي، لأنّ له باعاً طويلاً في العُلوم العقلية، ولم أجدْ مَن تعرض إلى هذا الجانب المهم، فبدأتُ بعون الله بكتابة بحث حول جهوده المنطقي.

يتكونُ هذا البحثُ مِن مبحثين:

المبحث الأول: فلسفة علم المنطق.

المبحث الثاني: جهود الأستاذ الملا سعيد النورسي في علم المنطق.

المبحث الأول: فلسفة علم المنطق.

أولاً: تعريف علم المنطق.١

لغةً: مصدرٌ ميميّ مِن نَطَقَ يَنطِقُ مِن باب ضرب، والنطقُ عبارة عن: ''الأصوات المقطّعة التي يُظهرها اللسانُ وتعيها الآذان''، قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾،الصافات:٩٢ ولا يكاد يقال إلا للإنسان، ولا يقال لغيره إلاّ على سبيل التبع، نحو الناطق والصامت فيُرادُ بالناطقِ ماله صوتٌ وبالصامتِ ما ليسَ له صوت.[2]

أو اسمُ مكانٍ فحينئذٍ يكونُ بمعنى منبع النطق ومعدنه.

واصطلاحاً: علمٌ يُبحَث فيه عن المعلوماتِ التصوريّة والتصديقيّةِ مِن حيث إنها تُوصِل إلى مجهولٍ[3] تصوريّأو تصديقي.[4]

وقد عُرِّف علم المنطق أيضاً بأنه: ''علم يبحث عن القواعد العامة للتفكير الصحيح''، فهو يبحث عن القواعد المتعلقة بجميع حقول التفكير الإنساني في مختلف مجالات الحياة، لا ما يخص جانباً معيَّناً، إذ أنَّ هناك قواعد يُحتاج إليها في علم خاص كعلم النحو أو البلاغة أو الأصول أو التفسير، فلا علاقة للمنطق بها بما

هي قواعد ذلك العلم، نعم للمنطق إشراف دقيق على مدى صحَّتها أو سقمها، فهو إذاً وسيلةٌ للتفكير الصحيح في كافة مجالات العلوم على اختلافها، ولهذا سمي بآلة العلوم.

وقال أبو نصر الفارابي:[5] ''المنطقُ هو القوانينُ التي تُقوِّم العقلَ وتُسيّر الإنسان نحو الصواب''.

وقال ابن سينا:[6] ''المنطق هو الصناعة النظرية التي تُعرّفنا من أي الصور والمواد يكون الحدُ الصحيحُ الذي يسمى بالحقيقة حداً، والقياسُ الصحيح الذي يسمى برهاناً).[7]

وقال الإمام الغزالي:[8] ''هو القانون الذي يميّزُ صحيح الحدِ والقياسِ عن غيره، فيتميز العلمُ اليقينيُ عما ليس يقينياً وكأنه الميزان أو المعيارُ للعلوم كلها''.[9]

قال القديس توما الأكويني[10] مِن المسيحيين في تعريف علم المنطق: ''إنه الفن الذي يقودنا بنظام وسهولة وبدون خطأ في عمليات العقل الاستدلالية''.[11]

وقد عَرَّفَ وولف[12] –مِن المناطقة الأوربية الحديثة– المنطقَ بأنّه: ''دراسةُ القواعدِ العامةِ للاستدلالِ الصحيح''.[13]

ثانياً: موضوعه.[14]

المعلوماتُ التصوريّةُ والتصديقيةُ مِن حيثُ صحةُ إيصالِها إلى المجهولات.[15]

ثالثاً: تأريخُ نشأةِ علمِ المنطق وواضِعُه.

أما عن تاريخ نشأة علم المنطق فإنَّ بدايتَه تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك أن أهل أثينا من اليونان كانوا يهتمون بالجدل والمناظرة، وقد نَزح إليهم جماعة من السوفسطائيين،[16] وهؤلاء: كانوا يرون استحالة وجود مقياس للحق، وكانوا ينكرون واقعية ما نحسّهفي الخارج، وقالوا ما تظنون أنه في الخارج ليس إلا محصّل قواكم الإدراكية وليس في خارج الذهن شيء، ''إن هو إلاّ خيال في خيال''، لكن ظهر من يُنكر مثل هذا النمط من التفكير ويؤصِّل لمنهجية الوصول إلى حقيقة خير أو شر وإمكانية وضع مقياس للحق، ومن أولئك ''سقراط''[17] وتبعه تلميذه ''أفلاطون''،[18] واهتموا بالبحث في مغالطاتهم، فوضعوا للرد عليهم أصول التفكير الجدلي السليم،

وأثبتوا وجود الأشياء في الخارج، وكان ما وضعه سقراط وأفلاطون النواةَ الأولى لعلم المنطق.

وجاء بعده أرسطو[19] فاستفاد من دراسات السابقين، فوضع اللبناتِ الأساسيةَ لعلم المنطق الصوري لعنايته بصورة الفكر دون مادته ومعناه، في كتاب مشهور أطلق عليه اسم ''التحليلات الأولى''.[20]

أما عند المسلمين فلم يكن المسلمون يهتمون بهذا العِلم لأنه ليس من علومهم، ويقال: إن خالد بن يزيد[21] أحد أمراء بني أمية هو أول من شجع الفلاسفة اليونانيين النازلين في مصر على ترجمة بعض الكتب اليونانية إلى العربية.

فبدأ نشاطُ حركة الترجمة بشكل أكبر في عصر الدولة العباسية ولا سيما في عصر أبي جعفر المنصور،[22] وهارون الرشيد[23] الذي أسس بيت الحكمة الذي تُرجِمَ فيه كثيرٌ مِن كتب الفلاسفة، لكن قمةُ ازدهار حركة الترجمة لعلم المنطق والفلسفة في عهد المأمون،[24] وكان من ضمن الكتب المترجمة في عهده كتب أرسطو وهو كتابه ''الآلة'' الذي وضعه أرسطو وعنوانه ''الأورجانون'' وكذلك كتابه ''العبارة والتحليلات'' و ''المقولات الأولى'' وغيرها.[25]

ومَن أشتهر بالترجمة والتأليف في علم المنطق عبدالله بن المقفّع[26] الذي تَرجمَ كثيراً مِن كتب أرسطو كما ترجم كتاب ''المدخل'' المعروف بإيساغوجي الذي نسب خطئاً لـأرسطو، وهو في الحقيقة لتلميذه فرفوريوس الصوري.[27]

وهكذا تدرّج هذا العلمُ حتى زمن ابن سيناالذي تأثر بأطروحات الفارابيبالمنطق، وأهم مصنفاته ''موسوعة الشفاء''، وكتاب ''الإشارات والتنبيهات'' وكتاب ''منطق المشرقيين'' وغيرها.[28]

وأيضاً ممن تأثر بالمنطق في مدرسة بغداد أبو سليمان المنطقيالسجستاني،[29] وأمتد هذا التأثير حتى وصل إلى بلاد المغرب العربي من العلماء المسلمين أمثال ابن رشد الحفيد.[30]

ثم جاء من علماء الشريعة أمثال الإمام الغزاليالذي أدرج علم المنطق في أصول الفقه، وله كتاب خاص في علم المنطق وهو ''معيار العلم'' وكتاب ''محك النظر في

علم المنطق"، ثم سار على نهج الغزالي كثير من علماء الأصول كابن الحاجب[31] وغيره.

وأول من غيّر فى قواعد أرسطو من المسلمين هو الإمام العظيم العلامة فخر الدين الرازي[32] من علماء القرن السادس الهجري.[33]

رابعاً: حكم تعلُّمه.

١- المنطق الإسلامي[34] تعلّمه فرضكفاية –كسائر العلوم الإسلامية– وإذا إنحصر بواحد صار فرض عين عليه.

٢- أما المنطق اليوناني فقد حصل خلاف بين العلماء في تعلّمه إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: تحريم تعلّمه وتعليمه مطلقاً وهو قول ابن الصلاح الشهرزوري،[35] والإمام أبى زكريا يحيى بن شرف الدين النووي.[36]

القول الثاني: الوجوب أوالاستحباب وهو قول الإمام –المجمع على جلالته وإمامته– محمد بن محمد بن محمد الغزالي ومن تبعه كالإمام الرازي.

القول الثالث: التفصيل أي جوازُه للذكي الذي يميّز بين المثال الصحيح السليم وبين ما يحمِل الإلحادَ والإنحرافَ، وله علم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وراسخُفي العقيدة وثابتُ الإيمان، ومنعُه للغبي الذي لم يكن مُتّصِفاً بالأوصاف المذكورة، لأنه يُخشَى عليه الانحرافُ والضلالُ، وهو الراجح الأصح عند جمهور علماء المسلمين، وعليه العمل والفتوى.

وأشار إلى الأقوالِ الثلاثةِ الإمامُ الأخضري[37] رحمه الله تعالى فى المنظومة المشهورة المسماة بـالسلم المرونق حيث قال:

والخلفُ في جوازِ الاشتغالِ به على ثلاثةِ أقوال
فابنُ الصلاح والنواوي حرّما وقال قومُينبغيأن يُعلَما
والقولةُ المشـــهورةُ الصحيحة جوازُه لكامل القــريحة
ممارِس السنة والكتاب ليهتدي به إلى الصواب[38]

ومما يجدر الاشارة إليه هو: أن الكتب التيتُدرَّس وتُقرَأ فيجميع المدارس والحجرات الأهلية في جميع نواحي كردستاننا الحبيبة، وفي أنحاء شتى فيالعالم الإسلاميهي الكتب التي أُلِّفَتْ في علم المنطق الإسلامي لا اليوناني –المختلف في حكم تعلّمه–. وكذلك مما ينبه عليه هو: أن النهي الذى ورد في الاشتغال بعلم المنطق مؤوّل على ضربين:

الأول: محمولٌ على الاشتغالِ به مِن أُناسٍ ليس لهم السيلانُ في الأذهان، ويشكلُ عليهم أدنى شيء مِن عَويصات المسائل.

الثاني: محمولٌ على المنطقِ القديمِ المخلوطِ بأمثلةٍ كُفرية وشِركية مخالفةٍ للدين الإسلامي الحنيف، لا على المنطق السليم والفن القويم الباحث عن التعريف والدليل وأحوالهمامادةً وصورةً مما لا يستغني عنه كلُ ناظر ومُناظِر، وناهيك في فضله وشرفه تزاحمُ العلماء الأجلّاء من السلفإلى الخلفِ حتى الآن من الأصولين والمفسِّرين والفقهاء في تحصيله وتدريسه وتأليف الكتب النفسية فيه.

خامساً: ثمرته.

صونُ الفكر أو الذهن عن الخطأ في التعريف والقياس ومناهج البحث.[39]

سادساً: مكانته بين العلوم.

المنطق علمٌ جليلُ القدر جميلُ الأثر ميزانٌ لعقولِ أهلِ النظر، وحسبُك في سموّفضله ومكانته قول الإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد الغزالي:[40] من لا معرفةَ له بالمنطق لاثقة بعلمه.[41]

سابعاً: استمداده.

استمدّ هذا العلمُ مبادئه من العقل والحس، وأحياناً تكون بعضُ المسائل التي يتطرّقُ إليها المناطقةُمركوزةً في النفس، لأن منها ما هو يكون مِن قبيل الطبائع، وبه يُعلَم أن الصحابةَ والتابعين ومِن بعدهم من أهل القرون الفاضلة وإن لم يتكلموا بالمصطلحات المنطقية، فإن الدلالاتِ التي يستخدمها أهلُ المنطق كانت موجودةً في فطرتِهم وإن لم يعبّروا عنها بنفس عبارات المناطقة.

ثامناً: مسائله.

القضايا النظرية الباحثة عن هيئة المعرِّفات والأقيسة وما يتعلق بها.

تاسعاً: أسماؤه.

لأهمية علم المنطق سُمِّي بأسماء كثيرة مِن قبل العلماء والباحثين فمنها: ١- علم المنطق، ٢- علم الميزان،[42] ٣- معيار العلم، ٤- معيار العقل، ٥- رئيس العلوم،[43] ٦- خادم العلوم،[44] ٧- علم الاستدلال، ٨- آلة العلم أو العلم الآلي،[45] ٩- فن التفكير، ١٠- علم النظر، ١١- الأورغانون،[46] ١٢- قانون الفكر، ١٣- مفتاح العلوم، ١٤- لوجيك.[47]

عاشراً: مباحث علم المنطق.

يتحدثُ علمُ المنطق بشكل عام عن ما يأتي:

العِلم، التصور، التصديق، الدلالة، اللفظ وأنواعه، الكلي والجزئي، النِسب الأربع، الكُليات الخَمس، الحد والرسم، الاستدلال، القضايا، التناقض، العكس، القياس، الأشكال الأربعة، الاستقراء، التمثيل، التحليل والتركيب، الصناعات الخمس.

وكل هذه المواضيع محتاجة إليها في معظم العلوم الإسلامية لأنها مخلوطة بها.

المبحث الثاني: جهود الأستاذ الملا سعيد النورسي في علم المنطق.

للأستاذ سعيد النورسي رحمه الله تعالى جهودٌ كثيرة في معظم المواضيع العلوم الإسلامية، خصوصاً في العُلوم العَقلية وخصوصاً في علم المنطق، العلم الذي يُعرف بصعوبته وغموضيته لدى جميع الناس إلاّ مَن تَعلّمَ وتدبَّرَ وتسهّر في تعلّمه فيكون له سهلاً بقاعدة ''كل شيء بعد معرفته سهل''، وكانَ الأستاذُ النورسي رحمه اللهُ تعالى منذ سنوات عدّة درّس العلومَ الشرعيةَ العقلية والنقلية بكُل أنواعها في المدراس الأهلية، وكان ذا باع طويل فيها، حتى صارَ العلومُ الإسلامية ملكةً له، وتَكلّم في كثيرٍ مِن المواضيعِ العُلوم العقلية والنقلية، وسهّل مواضيعَ كلاميةٍ ومنطقيةٍ بعبارة سهلةٍ في رسائل النور، ولكن ألّفَ في علمِ المنطق كتابينِ وأبدعَ فيهما وابتكرَ طريقةً لم يُنسَجْ على منوالها. وهما:

١- قزل إيجاز على سُلّم المنطق.

حاشية الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي على متن ''سُلم المنورق'' للشيخ عبدالرحمن الأخضري.[48]

٢- التعليقات على كتاب البُرهان للعلامة إسماعيل الكلنبوي.[49]

أما بالنسبة لمنهج الشيخ النورسي في تأليف هذين الكتابين فمن الممكن أن نقول هو منهجٌ خاصٌ بالشيخ إتبعه لكي يستفيدَ الدارس منه وتكونَ عنده معلوماتٌ كثيرةٌ في علم المنطق.

إتبع الشيخ خطواتٍ تاليةً في تاليف هذين الكتابين في علم المنطق (حسب ما يراه الباحث):

١- صعب العبارة ودقيقها.

٢- قليل الحشو والتطويل.

٣- قليل اللفظ كثير المعنى.

٤- إبتدأ بالصعب ثم الأصعب.

هذا ما ذكرناه باختصار مِن منهجِه وخطواته في تأليفاتِه المنطقية بوجه عام، وبعد هذا نأتي نتكلم على كِتابيهِ في علم المنطق على وجه الخصوص.

الكتاب الأول: قزل إيجاز.

وهذا الكتاب هو شرح قيّمٌ وصعبٌ جدّاً لكتاب مشهور في علم المنطق وهو متن: ''سُلّم المنورق'' للعلامة عبدالرحمن بن محمد الأخضري من علماء القرن العاشر رحمه الله، ولقد اهتمّ العلماء بعدَ تأليف هذا النظم بالشرح والحاشية والتعليقات المفيدة، فكتبوا شروحاً وحواشياً عِدّة[50] بينَ طويل ومتوسط وقصير، وبين مطبوع ومحقق ومخطوط.

ومن بين تلك الشروحِ القيّمةِ شرحُ بديع الزمان الملا سعيد النورسي باسم: ''قزل إيجاز''.

معنى كلمة: قزل إيجاز: اسم الرسالة ''قزل إيجاز'' قد يُثير القاريءَ الكريمَ فهو اسم مركّبٌ مِن التركية والعربية، أو على الأقلّ الكلمةُ تركيةُ التركيب.

فكلمة ''قزل'' تعني بالعربية: العرج الشديد، أي أنّ اسمَ الرسالة يعني: الإيجازُ الشديدُ العرج.

أما إذا اعتبرنا اسمَ الرسالة اسماً تركياً فهو يعني: الإيجازُ المُتَّقِد،[51] الإيجازُ الأحمر إلى حدِّ الجمرة.[52]

المقصودُ مِن تأليفِ هذا الشرح القيّم: سَلَكَ بعضُ علمائنا الأجلاء مسلكاً خاصاً لتأليفِ بعضِ الكُتب العلمية، فيُصَعِّبون عباراتهم ويُغمِضونها بحيث لم يسهل حلُّها، وفي بعض المرّات تصيرُ عباراتُهم ألغازاً لا يَفهمُها إلّا العُلماء الأَجلاء، كلُّ ذلكَ لتشحيذِ أذهانِ طُلابِ عصرِهم واللذين مِن بعدهم، فمِن بينِ تلك العُلماءِ الأستاذُ الملا سعيد النورسي كَتَبَ هذا الشرح القيّم لتعويدِ أذهانِ الطلابِ على العبارات الصعبة وفهمها بسهولة.

وقال الأستاذ بديع الزمان رحمه الله: ''على كلِّ حالٍ فقد كتبتُ هذا الأثر... لأجل تعويدِ الأذهان على الدقّةِ في الملاحظةِ والإنعامِ في النظر، وحيث إنه قد أُلِّفَ... فليُنشَر... وليُلاحَظ في الأقلّ المباحثُالمبدؤة بـ 'إعلم'.''[53]

ويقول أيضاً: ''وسطحيّةُ الذهنِ أشدُّ مرضٍ ألمَّ بنا فلتشويقِ الأذهانِ إلى الدقّة، أعجزتُكم أيّها الناظِرون بما أوجزتُ في هذه الرسالة.[54]

أولُ طبعة لهذا الكتاب: قامَ السيدُ الفاضل الملا محمد زاهد الملازكردي بتصحيحِ هذه الرسالةِ وطَبَعَها لأوّلِ مرّةٍ في مطبعةِ ''بركات'' بدمشق، وذلك في محرم الحرام سنة: ١٣٨٧هـ.

ثم أعادَ طبعَها الأستاذُ إحسان قاسم الصالحي مع إضافةِ حاشية أخيه الملا عبدالمجيد النورسي رحمه الله.

والكتاب عبارة عن ٥٥ صفحة، شرح الأستاذ متن السلم ووصل إلى فصلِ التناقض ولم يكمل شرحه إلى نهاية الكتاب لأنه أرادَ أن يُعطيَ نموذجاً مهماً لطلاب عصره، ليته كمّلَ هذا الشرح المبارك المفيد لزيادة الإفادة.

شروحٌ وحواش على كتاب ''قزل إيجاز''.

لأهميّةِ هذا الكتابِ المباركِ ودقّةِ عبارته وصعوبتِه اهتمَّ العلماءُ بعدَ وفاة الأستاذ بديع الزمان بالشرح والتعليق عليه، والحمدُ لله طبعوها، ولكن مع الأسف الشديد لم يكن لديَّ سوى تعليقات العلامة الملا عبدالمجيد النورسي، ولهذا فقط نعلِّق عليها ونتعرَّضُ لغيرها.

١– حاشية الملا عبد المجيد النورسي.

٢– حاشية الملا صدر الدين يوكسل.

٣– حاشية الشيخ صفوة الله الأوخيني.

٤– حاشية الملا موسى الجلالي.

حاشية الملا عبد المجيد النورسي رحمه الله.

حقاً أنّ بيتَ الإمام بديع الزمان رحمه الله كان بيتَ علمٍ ومعرفةٍ وبيتَ تقوى وصلاح، وكان له شقيقٌ أصغر منه، وهو الملا عبدالمجيد النورسي رحمه الله، وكانَ عالماً كبيراً وتتلمذَ على أخيه الأكبر بديع الزمان الملا سعيد.

وبعد حصول الملا عبدالمجيد رحمه الله على كتاب: ''قزل إيجاز'' ورأى أنه كتاب قيّم مع أنه صعب وكأنه لغزٌ لا يُحَلُّ بسهولة، بدأ بتصحيحه وعلّقَ عليه بتعليقاتٍ مُفيدةٍ، ووضَّحَ الكتابَ بتوضيحاتٍ مهمةٍ، ولولاه لفاتنا كثيرٌ من المهمات المفيدات.

وبعد انتهاء حاشيته كتبَ اعتذاراً ولأهميته ننقله كما هو:

''اعتذار:

لئن أدركتَ في شــرحي فتوراً ووهناً في بياني للمعاني

فلا تسند لنقصي إنّ رقصي على مقدار تسعيد الزمان

لأني زماناً ما حشرت ما رشح مِن فكري شرحاً على حاشيةِ الأستاذ، كنت فاقداً للراحةِ والشبابِ مفلوجَ الذهنِ غائباً عن الأمثال والأقران، شريداً عن الوطنِ وقد صرتُ كالهائمِ، بل كالبهائم، بل كالبوم، دائراً عائشاً في الأقفار، هارباً عن شرورِ الأشرار، تخطرتُ حينما تصوّرتُ ما قاله ابن الفارض:

وأبعدني عن أربُعي بعد أربَـع شبابي وعقلي وارتياحي وصحتي

فلي بعدَ أوطاني سكونٌ إلى الفلا وبالوحش أُنسي إذ مِن الأِنس وحشتي

نعم، مَن كانَ راكباً على كاهلِ الغُربة، وكانَ أنيساً بالوحشة، وجليسُه الوحدة، وسميرُه الكربة، وموطنُه الخربة، هل في الإمكانِ أنْ تخلوَ كتبُه عن الخطأ والسقطة، لاسيّما إذا كانَ المشرحةُ كأمثالِ ''قزل إيجاز'' بالغةٍ مِن الإغلاق والإيجاز، إلى حيثُ دون حلها خرط القتاد، وخرق الإعجاز.

فالمرجوُّ مِن النُظّار، ذوي دقّةِ الأفكار، وَحدّةِ الأبصار، أنْ يُصلحوا خطيئاتي، ويُصحِّحوا غلطاتي، ويُبيّنوا ما عَجَزَ عن حلِّه فكري، وضاقَ عنه صدري، وكَلَّ عن بيانِ متنِه متني، وعَمِيَ عن رؤيتِه طرفي وعيني... على أنّي ما كنتُ مِن رجالِ هذا الرهان، ولا بذي شأنٍ في هذا البيان، أوانُ شبابي وأنا ابنُ ثلاثين، فكيفَ بي هذا الامتحانُ وأنا ابنُ ثمانين، ولهذا قد بَقِيَ مواضِعُ باكرةٌ غيرُمفضوضةٍ بِفكري أحلتُها لذوي الأفكارِ الثاقبة، مِن دُهاةِ أذكياءِ الاستقبالِ بعدَ خمسمائة سنة''.[55]

ولأهميةِ هذه الحاشيةِ المباركةِ طبعوها مع ''قزل إيجاز'' في ضمنِ كلياتِ رسائل النور.

الكتاب الثاني: تعليقاتٌ على كتاب البُرهان.

لَمّا يقرأ عالمٌ مِن عُلماءِ علمِ المنطقِ هذا الكتابَ يَرى جمالاً ما أجمله، ويرى إبداعاً عجيباً ما أكثرَ هذا الإبداع الرائع مِن أعمالِ الأستاذ النورسي رحمه الله، ويكون له يقينٌ بأنّ بديع الزمان اسمٌ مُطابِقٌ لِمُسمّاه.

ونحنُ بخبرتنا عدّةَ سنواتٍ في علمِ المنطق نعرِفُ جيّداً أنّ كتابَ البُرهان للشيخ إسماعيل الكلنبوي رحمه الله مِن أصعبِ الكُتبِ المنطقيّةِ ومِن أدقِّها وأَمْتَنِها، والأستاذُ النورسي رحمه اللهُ كان يُتقنُ هذا العلمَ ويُتقنُ أيضاً فهمَ هذا الكتابِ القيّم لأنه كان يدرِّسُه، ولهذا كَتَبَ عليه حاشيةً أثناء التدريس في غاية الإتقان والإبداع، ومَن قرأها جيداً وفهمها حق الفهم كادَ أنْ يَحكُمَ أنّ الإمامَ النورسي رحمه الله أعلمُ بعلمِ المنطقِ مِن هذا العقلِ الجبار وهو الشيخ إسماعيل الكلنبوي رحمه الله.

وهذه الحاشية عبارةٌ عن تعلقياتٍ مُفيداتٍ على مواضيعَ عدةٍ في كتابِ البُرهان، كتبها الأستاذ بديع الزمان أثناء تدريسه لهذا الكتاب، وكانت مخطوطةً فريدةً يتيمةً، وظنَّ كثيرٌ مِن الناسِ أنها مفقودةٌ، والحمدُ لله تعالى أنها لم تكن مفقودةً.

ويقولُ الأستاذ إحسان قاسم الصالحي: ''فهذه الرسالةُ هي المخطوطةُ الوحيدةُ، وكانتْ تُظنُّ أنها مفقودةٌ، لذا فما إنْ أُعلن عن العثورِ عليها حتى بادرَ العالمُ الفاضلُ زين العابدين الآمدي إلى تبييضِها بوضوحٍ على النمط القديم. أما الأخُ الكريمُ عبدالقادر بَادِلِّي فله قصبُ السبقِ في تبييضِ الرسالةِ وتنسيقِها وتنظيمِها ووضعِ أرقامٍ لهوامِشها؛ فقد بَذَلَ جُهوداً مضنيةً وصَرَفَ مِن وقتِه أياماً بل شهوراً وسنينَ عدةً في فرزِ الجُملِ المتداخِلةِ والهوامِشِ المتراكبة، وتَرْجَمَ بعضَ فقراتها إلى التركيةِ، فهيأ نسخةً مُنسَّقةً مُحققةً، وأَهدى لي نسختَها المصوّرةَ.. فجزاهما اللهُ عنّا خيرَ الجزاء وأجزلَ ثوابهما''.[56]

ويقولُ أخوه الأصغر الملا عبدالمجيد في تعليقٍ صغيرٍ في الصفحة الأولى من المخطوطة، وتَرجَمَهُ الأستاذ إحسان قاسم الصالحي: (إلى حضرةِ الأخِ الكبير! أُقدِّمُ لحضرتِكم تقريراتِكم في أثناءِ تدريسِكم لد ''بُرهان'' والمسماة بـ ''تعليقات'' بخطِّ المرحومِ الشهيد الملا حبيب راجياً دعواتِكم مُقبّلاً أياديكم الكريمة''...[57]

قصة كتابة هذه الحاشية.

يحكي لنا العلامة الملا عبدالمجيد رحمه الله قصةَ كتابةِ هذه الحاشية المباركة مِن قِبَلِ الأستاذ بديع الزمان، ويقول ما ترجمتُه: ''أيُّها الناظِرُ إلى هذه الأوراقِ التي تَتَقَطَّرُ عبراً... هذه صفحاتُ مُسوَّداتِ رسالةٍ في المنطقِ ألَّفَها الأستاذُ بديعُ الزمان سعيدٌ النورسي في مدينةِ ''وان''، في أثناءِ تدريسِه لِطُلّابه، ولا سيّما لأخيه وطالبِه الملا حبيب ولَمّا أتمّها حيثُ اندلعتِ الحربُ العالمية الأولى... وفي خضمِ سيلِ الزمانِ الجارِف، فارَقَالأَخَوان أحدُهما الآخرَ.

وكانت نهايةُ المطاف أنْ صارَ الأخُ الصغيرُ المسمّى عبدالمجيد مُفتياً في 'أُورْكُوبْ' سنة ١٩٤٠ فاستقَرَّ فيها.. وكانَ يحتفِظُ بهذه المسوَّداتِ ذكرى تلكَ الأيام التي خَلَتْ. ولكنْ هيهاتَ... هيهاتَ... مضى ذاكَ وذهب.. ومَضى الآخرُ وذهب. ومرَّ الزمانُ ومَضى! فيا ترى هل سيَظهَرُ مَن يتصفَّحُ هذه المسوَّداتُويَقرؤها؟ وهل سيأتي ذلكَ الزمان؟ هيهاتَ... هيهاتَ.

سأجولُ مع هُمومي وأَحزاني حتى المحشر.

فهذه أقدارُنا نَتحمَّلُها... أيّها الحبيب!''[58]

طبعةٌ جديدة للكتاب.

الأستاذ إحسان قاسم الصالحي له جهودٌ كبيرةٌ في ترجمة كل رسائل النور إلى اللغة العربية وطبعها مراراً، ومن جهوده إيضا حقَّقَ هذه الحاشية وعملَ فيها كثيراً مع أنه لم يكن له تخصصٌ في علم المنطق ولكن اعتمدَ على النسخ الخطية وعلى تحقيق الأستاذ عبدالقادر بادلّلي رحمه الله.

ويقول: ''اقتصر عملي في الرسالةِ على الآتي:

١– عرضُ النُسخِ بعضِها على بعضٍ وهي:

أ– النسخةُ الخطيةُ الأصليةُ بخط الملا حبيب.

ب– نسخةٌ خطيةٌ مبيّضةٌ للعالم زين العابدين الآمدي.

ج– نسخةٌ خطيةٌ مبيّضةٌ منسقة للأستاذ عبدالقادر بادللي.

د– نسخةٌ خطيةٌ تبدأ مِن ص ٤٤–٥٩ أهداها لي الأخُ الكبير سعيد أوزدمير.

٢– تنسيقُ الرسالةِ مجدداً بوضع متنها في أعلى الصفحةِ تتخلله متون 'الكلنبوي'، ووضعُ الهوامشِ المذيّلةِ في النسخةِ الأصليةِ بـ 'تقرير' والهوامشِ الجزئيةِ الموجودةِ بين الأسطرِ في أسفل الصفحة.

٣– اكتفيتُ بمقابلةِ الأخ بادللي لمتنِ الـ 'كلنبوي'، فكلُّ هامشٍ يُشير إلى صفحاتِه منقولٌ مباشرةً مِن نسخةِ الأخ الفاضل، كما أنَّ كلَّ هامشٍ مذيّلٌ بـ 'ع.ب.' فهو منه أيضاً.

وحيثُ إنَّ باعي قصيرٌ في علم المنطق، لم أقمْ بعملٍ عِلمي يُذكر خلا ما ذكرتُ، إلّا أنَّ المولى القدير مَنّ عليَّ بِمَن له إلمامٌ بهذا العلم، فكمّلَ ما قصرتُ عنه مِن تنسيقٍ وتهميشٍ فقابلَ الرسالةَ والمخطوطَ وراجعَهما وضبطَ كثيراً مِن كلماتها، وهو الأخ الفاضل 'أجير أشيوق المحترم' فجزاه اللهُ عنا خير الجزاء وأجزل ثوابه... والحمد لله أولاً وآخراً''.[59]

وفي نهاية المخطوطة كتب الملا عبدالمجيد معلومةً مهمةً حول الكتاب:

''إنَّ هذه الرسالةَ الموسومةَ بـ 'تعليقات' هي ما كتبهُ بديعُ الزمان سعيدٌ الكرديّ من حواشٍ على كتابِ 'برهان كلنبوي'، ودَوّنها أحبُّ طُلّابه إليه والملازِمُ له في الدرسِ: 'الملا حبيب'، فسجّلَ هذه التقريراتِ مِن بديعِ الزمان على صورةِ حواشٍ وهوامش... كانَ ذلك في سنةِ ١٣٢٩هـ ثم اندلعتِ الحربُ العالميةُ الأُولى، وذَهَبَ 'بديعُ الزمان و 'الملا حبيب' كواعظينِ مع فرقة 'وان' إلى جبهةِ القتال في 'أرضروم'، وعادا معاً بعدَ عام وقد احتُلّتْ 'وان' مِن قِبل الأرمن، فانسحبنا إلى قضاءِ 'كواش' واستُشهِدَ الملا حبيب هناك، فحملتُ الرسالةَالتي خطَّها طوالَ سني الهجرات مِن مدينةٍ إلى أُخرى، ومِن قصبة إلى أُخرى حتى حللنا في مدينةِ 'ملاطية' سنة ١٩٤٠م، ومِن هناك مُفتياً في قضاء 'أُوركُوب'.

كانت الرسالةُ أوراقاً متفرّقةً فجَمّعتُها وجلّدتُها، على أملٍ أنْ يأتيَ زمانٌ ويُبعَثُ العلمُ والدينُ مِن جديد، ويظهرُ في الميدانِ أناسٌ يَقرؤون أمثالَ هذه الرسائل، وعندئذٍ يُقدَّرُ قدرُها ويُعلَم ما فيها مِن فكرٍ عميق وذكاءٍ نافذ. ولكن هيهات... فلا ذاكَ الزمانُ يأتي، ولا أولئكَ القُرّاء يَظهرون. والسلام''.[60]

وصفُ النسخة الخطية والمطبوعة.

والنسخةُ المخطوطة التي بينَ يديَّ عبارةٌ عن نسخةٍ راقيةٍ وجميلةٍ، كُتِبتْ بخطٍّ جميل، وعليها حواشٍ وتعليقاتٌ وتقريراتٌ مُفيدة، وهذه النسخة ٨١ صفحةً.

والنسخةُ المطبوعةُ بترتيب وتنظيم الأستاذ إحسان ٨٩ صفحةً.

بدأ الأستاذُ الملا سعيد النورسي في بدايةِ الكتابِ بالبسملة والحمدلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتركَ السلام اختصاراً لأنه إذا ذُكرتِ الصلاةُ ففيها معنى السلام.

ثم بدأ بتعريفِ علمِ المنطقِ، وأتى بالتعريف بحسب الغاية أي بجهةِ الوحدةِ العرضيّ، ويعتبرُ أن التعريف بحسب الغاية أولى، ويقول: ''فاللازمُ أنْ نَبتدئ أولاً بالتعريفِ وهو نوعان: إما بحسبِ الموضوعِ أو الغاية.

والتعريفُ بحسبِ الغاية أولى؛ إذ العلمُ بالغايةِ يزيدُ شوقَ المحصِّل. فهذا أي المنطقُ علمٌ آليٌّ.

وتعريفُه بحسبِ الغايةِ موقوفٌ على معرفةِ وجهِ آليّتِه. ومعرفةُ وجهِ الآليّةِ موقوفةٌ على جهةِ احتياجِ ما يحتاجُ إليه. وهو كلُّ العُلوم، وجهةُ الاحتياجِ عصمةُ الذهنِ عن الخطأ في الفكر''.[61]

ثم بعدَ تعريفِ علم المنطق مباشرةً ذكرَ الرؤوسَ الثمانية[62] بقوله: ''لابدّ لِمَن يبتدئ بشيءٍ مِن العلوم: مِن معرفةِ الرؤوس الثمانية استحساناً: وهي الفهرستة، وبيانُ المسائل إجمالاً، واسمُ الفن، وموضوعُه، وغايتُه، وتعريفُه، وشرفُه باعتبارٍ مّا؛ إما باعتبارِ الموضوعِ أو الغايةِ، أو الدليلِ والرتبةِ. هل هو مِن موجودِ النقشِ، أو اللفظِ، أو الذهنيّ، أو الخارجيّ؟ ليكونَ تحصيلُ المحصّل على ما فرضه الشرف والرتبة''.[63]

ذكرَ الإمامُ النورسي رحمه الله مواضيعَ عدّةٍ في هذه الحاشيةِ بترتيبٍ عمليّ دقيق، وهذه المواضيع ما يلي:

''سلسلة المنطق، الكليّ والجزئيّ، الذاتيّ والعرضيّ، الحد، القضايا، الحملية، العدول والتحصيل، الشرطية، العكس، عكس النقيض، الأدلة والحجج''.

ومن الملاحظ أيضاً أن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله تعالى رحمة واسعة لَمّا كتبَ رسائلَ النور أدخلَفيها كثيراً مِن المواضيعِ العلميةِ خصوصاً المسائل المنطقية، يعني أنه طبق كثيراً من القواعد المنطقية ومثل لها بأمثلة جديدة، ونحن لا نتعرض لهذا الجانب لكثرته.

وفي الختام أنقلُ لكم قصةً تدلُّ على عبقرية الأستاذ وعلى تبحُّره في العلوم. ومما يدل على درجةِ دقّةِ الأُستاذ سمكاً وعمقاً في أوائل شبابه:

أنْ سُئِل –وهو ابن عشرين– عن ثنتي عشرة كلمة على هذا الشكل ''فيل'' بلا نقطة ولا حركة. وقيل له –والقائل الشيخ أمين البتليسي– إن أصبتَ في تنقيطِها وتحريكِها وتفسيرِها نحن نعدُكَ مِن الأذكياء وإلاّ فلا يبقى لك بينَ الأذكياء ''لا رفع، ولا نصب، ولا جر''.

وكان الأستاذُ حينئذٍ حافِظاً لِما في القاموس مِن اللغات إلى باب السين... فبالاستمدادِ بما حَفِظَ أجابَ بعدَ ثلاثة أيام: ولقد أصابَ فيما أجابَ هكذا: كَتَبَ أولاً الأشكال ''فبل. فبل. فبل. فبل. فبل. فبل. فبل. فبل. فبل. فبل. فبل. فبل''. ثم وَضَعَ

على الحرفِ الأولِ مِن كلِّها نقطتين وتحتَ الحرفِ الأوسطِ أيضاً نقطتين مِن كلِّ تلك الأشكال إلّا الخامسَ وضع تحتَه نقطةً واحدةً ثم حَرَّكَها هكذا:

١. قِيلَ – ٢. قَيْلْ – ٣. قَيْلَ – ٤. قَيْلٍ – ٥. قَبْلَ – ٦. قَيْلٍ – ٧. قِيْلَ – ٨. قَيْلٍ – ٩. قِيلَ – ١٠. قَيْلُ – ١١. قَيْلٍ – ١٢. قُيِّل.

ثم فسَرها هكذا:

١. ''قِيلَ'' ماضي مجهول من القول.

٢. ''قَيْلْ'' أمرٌ مِن بابِ التفعيل بمعنى الإعطاء.

٣. ''قَيْلَ'' اسمُ بعير.

٤. ''قَيْلٍ'' اسمُ رجل والتركيب إضافي.

٥. ''قَبْلَ'' ظرفٌ.

٦. ''قَيْلٍ'' أي العصر. والتركيب إضافي.

٧. ''قِيْلَ'' أي اللبن.

٨. ''قَيْلٍ'' اسم من أسماء الإبل.

٩. ''قِيلَ'' ماض مجهول.

١٠. ''قَيْلُ'' البعير.

١١. ''قَيْلٍ'' أي ذلك الرجل.

١٢. ''قُيِّلْ'' أعطى له اللبن.[64]

* * *

مصادر ومراجع التحقيق:

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٩٧٨م.

٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين–بيروت، الطبعة الخامسة: ١٩٨٠م.

٣. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي–بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ.

٤. تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق، بديع الزمان سعيد النورسي.

٥. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الفكر–بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

٦. حاشية على شرح سلم للملوي، محمد بن علي الصبان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر، الطبعة الثانية: ١٣٥٨هـ–١٩٣٨م.

٧. خلاصة المنطق، د. عبدالهادي الفضلي، الناشر باقيات–قم، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ.

٨. حاشية الشيخ ابراهيم الباجوري على سلم المرونق، مطبعة حجازي.

٩. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، دار المعارف النعمانية –باكستان، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

١٠. الشرح الواضح المنسق لنظم السلم المرونق، د. عبدالملك السعدي، دار النور المبين–الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ–٢٠١١م.

١١. قزل إيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي.

١٢. المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

١٣. مقاصد الفلاسفة، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية: ٢٠٠٨م.

١٤. المقدمة المنطقية، هشام الأسدي، مؤسسة مصر مرتضى–بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ–٢٠١٠م.

١٥. المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصرنا الحاضرة، د. علي سامي النشار، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الخامسة: ٢٠٠٠م.

١٦. الشفا –قسم المنطق–، أبو علي ابن سينا، تصدير: د. طه حسين باشا، تحقيق الأساتذة: الأب قنواتي ومحمود الخضيري وفئادالإهواني، مطبعة الأميرية–القاهرة: ١٣٧٢هـ–١٩٥٢م.

١٧. موقع الموسوعة العربية.

١٨. موقع وكيبيديا.

* * *

الهوامش

[1] وإنما سمي هَذَا العلمُ منطقا لأَن المنطق يُطلق بالاشتراك على ثلاثة معان: الأول: الإدراكات الكلية. الثاني: القوة العاقلة التي هي محل صدور تلك الإدراكات. الثالث: التلفظ ''النطق'' الذي يبرز الإدراكات التي قويت بها النفس العاقلة. فهذا العلم له ارتباط بمعاني المنطق الثلاثة، ولهذا سمي بالمنطق، فبه تتصبب الإدراكات الكلية، وتتقوى القوى العاقلة وتكمل، وبه تكون القدرة على إبراز تلك العلوم بالعبارات. حاشية على شرح سلم للملوي، محمد بن علي الصبان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي–مصر، الطبعة الثانية: ١٣٥٨هـ–١٩٣٨م: ٣١.

[2] وأمّا المنطقيونفيُطلقون كلمة النطق على تلك القوّة التي يكون الادراك والفكر بها، وهي موجودة في الإنسان خاصة وتسمَّى العقل أو الفكر أو غير ذلك، ومن هنا عَرَّفوا الإنسانَ بأنَّه: ''حيوانٌ ناطقٌ''، والمقصود بالحيوان، الموجود الحيّ، وبالناطق، العاقل المتفكِّر، فإذاً المقصود من النطق هنا التعقُّل الذي هو من مميِّزات الإنسان. والمنطق هو العلم الذي يرتبط بهذا الأمر، وجدير بالإشارة أن أرسطو رغم أنه مؤسس لعلم المنطق إلا أنه لم يستخدم لفظ المنطق، وإنما استخدم تسمية ''التحليلات'' وما يدل عليه ما نسميه اليوم بالمنطق الصوري، ويبدو واضحا بأن هذه اللفظة إستخدمها شُرّاح أرسطو.

[3] والمراد بالتوصل إلى مجهول: وصول العقل إلى معنى تصوري أو تصديقي، مثلاً في التصورات: كما إذا أردناأن نتوصل إلى معرفة الإنسان، نقول هو: الحيوان الناطق، وفي التصديقات كما إذا أردنا أن نتوصل إلى معرفة أن الإنسان متحرك بالإرادة: كل إنسان حيوان وكل حيوان متحرك بالإرادة، نتوصلإلى: كل إنسان متحرك بالإرادة.

[4] قال السيد الشريف في تعريف المنطق: هو آلة قانونية تعصِم مراعاتُها الذهنَ عن الخطأ في الفكر، فهو علم عمليّ آليّكما أن الحكمة علم نظريّ غير آليّ، فالالة بمنزلة الجنس، والقانونية يخرج الآلات الجزئية لأرباب الصانع، وقوله ''تعصم مراعاتُها الذهن عن الخطأ في الفكر'' يخرج العلوم القانونية التي لاتعصم مراعاتُها الذهن عن الخطأ في الفكر بل في المقال كالعلوم العربية. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ: ٣٠١.

[5] محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، ولد في فاراب (على نهر جيحون) سنة٢٦٠ هـ، وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام. وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩ ه، كان يحسن اليونانية، وعرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو، له نحو مائة كتاب، منها: ''المدخل إلى صناعة الموسيقى''، و ''أغراض ما بعد الطبيعة''، و ''السياسة المدنية''. وغير ذلك. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين–بيروت، الطبعة الخامسة: ١٩٨٠م: ٢٠/٧.

[6] الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي الفيلسوف الرئيس، صاحبُ التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخاري سنة ٣٧٠هـ. ونشأ وتعلم في بخاري، وطاف البلاد، وتقلد الوزارةَ في همذان،، ومات سنة ٤٢٨هـ. أشهر كتبه ''القانون'' في الطب، بقي معولا عليه في علم الطب وعُمِلَ به ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم. ومن تصانيفه: ''المعاد'' في الحكمة، و ''أسرار الحكمة المشرقية''، وأرجوزة في ''المنطق''، و ''الطير'' في الفلسفة، و ''العشق'' رسالة في فلسفته. وغير ذلك. الأعلام للزركلي: ٢٤١/٢.

[7] فهذان التعريفان نقلهما الدكتور علي النشار في كتابه القيم: المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصرنا الحاضرة، د. علي سامي النشار، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الخامسة: ٢٠٠٠م: ٧.

[8] محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي. مولده سنة ٤٥٠هـ، ووفاته سنة ٥٠٥هـ في الطابران''قصبة طوس، بخراسان'' رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، من كتبه: ''إحياء

علوم الدين''، و ''تهافت الفلاسف''، و ''محك النظر''، و ''مقاصد الفلاسفة''، و ''البسيط'' في الفقه، و ''المعارف العقلية''، و ''فضائح الباطنية'' ويعرف بفضائح المعتزلة. و ''المنخول من علم الأصول''، و ''ياقوت التأويل في تفسير التنزيل''، قيل: في نحو أربعين مجلدا، و ''عقيدة أهل السنة''، وغير ذلك، وله كتب بالفارسية. الأعلام للزركلي: ٢٢/٧.

[9] مقاصد الفلاسفة، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية: ٢٠٠٨م: ١٣.

[10] قديس وقسيس لاهوتي كاثوليكي إيطالي. من أكبر فلاسفة العصور الوسطى، يلقب بالدكتور الملائكي، ولد سنة 1225م في قصر روكاسيكا القريب من مدينة أكوينو، بدأ دراسته في الخامسة من عمره، في دير مونت كاسين للرهبان البنيدكتيين، والتحق بعد تسع سنواتبجامعة نابولي لدراسة الفنون الحرة السبعة ''النحو، المنطق، الخطابة، الهندسة، الحساب، الفلك، الموسيقى''، وانضم إلى نظام الرهبنة الدومينيكاني في نابولي على معارضة والده. تتلمذ على يد ألبرت الكبير في كولونية وباريس، توفي سنة 1274م. ينظر: موقع الموسوعة العربية.

[11] المنطق الصوري للنشار: ١٠.

[12] كريستيان وولف فيلسوف ألماني، (١٦٧٩م-١٧٥٤م)، نشرت كتابته كاملة في سنة ١٩٦٢م. ينظر: موقع وكيبيديا.

[13] المنطق الصوري للنشار: ١١.

[14] إعلم أن موضوع كل علم ما يبحث فيه عن أعراضه الذاتية كبدن الإنسان لعلم الطب، فإنه يبحث فيه من حيث الصحة والمرض، وموضوع علم النحو الكلمات العربية، وموضوع الفقه فعل المكلف كالصلوةوالزكات، وموضوع علم الأصول الأدلة السمعية، وموضوع علم الفرائض قسمة التركة بين مستحقيها. راجع: الشفا – قسم المنطق–، أبو علي ابن سينا، تصدير: د. طه حسين باشا، تحقيق الأساتذة: الأب قنواتي ومحمود الخضيري وفئاد الإهواني، مطبعة الأميرية–القاهرة: ١٣٧٢هـ–١٩٥٢م: ٢١.

[15] أو من الممكن أن نقول إن موضوع علم المنطق هو: التعريف والاستدلال ومناهج البحث. توضيح ذلك: يهيىء لنا علم المنطق قواعد التعريف وقواعد الاستدلال وقواعد المنهجة أو طريقة البحث العلمي.
أولاً– فيعلمنا كيف نعرِّف الأشياء تعريفاً يبين حقيقتها أو يوضح معناها.
ثانياً– ويعلمنا كيف نستدل على صحة الفكرة أو خطئها.
ثالثاً– ويعلمنا كيف نبحث عن المعلومات بحثا منظماً يبعد البحث عن العقم أو الوقوع في الخطأ. خلاصة المنطق، د. عبدالهادي الفضلي، الناشر باقيات–قم، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ: ٨.

[16] قوم زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها، وهميتشعبون إلى ثلث طوائف اللاأدرية: وهم الذين قالوا نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون وهلم جرا، والعنادية: وهم الذين يقولون ما من قضية بديهية أو نظرية إلا ولها معارضة ومقاومة مثلها في القبول، والعندية: وهم الذين يقولون مذهب كل قوم حق بالقياس إليهم وباطل بالقياس إلى خصومهم. ينظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الفكر–بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م: ٣٨. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، دار المعارف النعمانية–باكستان، ١٤٠١هـ–١٩٨١م: ٣٠/١.

[17] فيلسوف يوناني كلاسيكي، يعد من أعظم فلاسفة التاريخ، ولد في أثينا نحو عام ٤٦٩ قبل الميلاد، ويعتبر أحد مؤسسي الفلسفة اليونانية، لم يترك سقراط كتاباتٍ، وجلّ ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلامذته عنه، تعلم أسس الفلسفة على يد ''بارمينيدس''، فساعد تلاميذه على اكتشاف المعرفة بذاتهم بدلاً من اللجوء إلى الكهنة والعرافين، كما وقف في وجه السوفسطائيين لابتعادهم عن الأساليب العلمية التجريبية، فانتقدهم

وحاربهم، فاتهمه خصومه بالزندقة وحكموا عليه بالإعدام، ففضل الموت على الهرب احتراماً لشرائع مدينته، فشرب السم ومات في سجنه سنة ٣٩٩ قبل الميلاد. راجع: موقع ويكيبيديا.

[18] فيلسوف يوناني قديم، عاش بين (٤٢٧ ق.م.–٣٤٧ ق.م) أحد أعظم الفلاسفة اليونانيين، كانت كتاباته على شكل حوارات ورسائل، الفلسفة عند أفلاطون كانت تبدأ من الأفكار والمثل لتنزل بعد ذلك إلى تمثلات الأفكار و تطبيقاتها على أرض الواقع، أطلق عليه بعض شارحيه لقب ''أفلاطون الإلهي''. يقال إنه في بداياته تتلمذ على السوفسطائيين وعلى كراتيلِس، قبل أن يرتبط بمعلِّمه سقراط في العشرين من عمره. راجع موقع ويكيبيديا.

[19] فيلسوف يوناني قديم كان أحد تلاميذ أفلاطون و معلم الإسكندر الأكبر، كتب في مواضيع متعددة تشمل الفيزياء، والشعر، والمنطق، والأحياء، هو ابن طبيب ملك مقدونيا، ولد في مقدونيا سنة ٣٨٤ ق. م، فتوجه إلى أثينا كي يتتلمذ على يد أفلاطون، بقي معه نحو ٢٠ عاما، و بعد تولي الإسكندر السلطة، حيث أسس مدرسته الخاصة التي سماها الليسيوم أو المعهد. اتهم أهالي أثينيا أرسطو بتهمة عدم احترام الآلهة. وخوفا من مصير سقراط هرب أرسطو، ثم مات بعد عام واحد عام٣٢٢قبل الميلاد. ينظر: موقع ويكيبيديا.

[20] راجع: علم المنطق، د. محمد مهران، دار المعارف–القاهرة: ٤٢.

[21] خالد بن يزيد بن معاوية، حكيم قريش وعالمها في عصره. اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، فأتقنها وألف فيها رسائل. اختلفوا في سنة وفاته، وقال الذهبي: توفي سنة ٩٠هـ على الأصح. وقال البيروني: كان خالد أول فلاسفة الإسلام، خطر بباله حب الصنعة''الكيمياء'' فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مصر وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي. وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة. الأعلام للزركلي: ٣٠٠/٢.

[22] عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بنيالعباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب. كان عارفا بالفقه والأدب، مقدما في الفلسفة والفلك، محبا للعلماء. ولدسنة ٩٥هـ، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ وهو باني مدينة ''بغداد''، وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، وعمل أول أسطرلاب في الاسلام، توفي ببئر ميمون من مكة محرما بالحج سنة ١٥٨هـ. الأعلام للزركلي: ١١٧/٤.

[23] هارون ابن محمد ابن المنصور، خامس خلفاء العباسية، ولد بالري سنة ١٤٩هـ. وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي، وكان الرشيد عالما بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحا، وكان يحج سنة ويغزو سنة، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتاب، وفي أيامه كملت الخلافة بكرمه وعدله وتواضعه وزيارته العلماء في ديارهم، توفي في ''سناباذ'' من قرى طوس سنة ١٩٣هـ. الأعلام للزركلي: ٦٢/٨.

[24] عبد الله بن هارون الرشيد: سابع الخلفاء العباسية، نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند. ولد سنة ١٧٠هـ، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين، فتمم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة. وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلا أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وبقراط وجالينوس وإقليدس وغيرهم، وقرب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنساب، محبا للعفو. توفي سنة ٢١٨هـ. الأعلام للزركلي: ١٤٢/٤.

[25] إعلم أنه لا يستطيع أحدٌ أنيعيبَ هذا العلمُبأنه أولُ مَن حرَّرَه فيلسوفٌ يوناني؛ كما أننا لا نعيب على الرياضياتِ ما حرره فيها بعضُ نوابغ البشر من أمثال إقليدس وغيره، ولا على الفيزياء ما تَوَصَّلَ إليه غاليليو وأينشتاين وغيرهما. فإنّ هؤلاء قومٌ عقلاء، يُحترَمُ ما أضافوه لمعارفِ الإنسان، ولا يُلتفَت إلى كونهم غيرَمسلمين أو لا، وكلُّ علم فهو محمود من حيث هو علم وهبة من الله سبحانه وتعالى، إنما شرف العلوم

بشرف المتعلَّم فيها، أي بشرف متعلقاتها ومواضيعها والمبحوث عنه فيها. والعلوم كلها تلتقي مع بعضها، وفضله يعرف بمعرفة أنه من مبادئ علم الكلام الذي هو أشرف العلوم، وأنه من مبادئ علم أصول الفقه.

[26] عبد الله بن المقفع، أول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد سنة ١٠٦هـ في العراق مجوسيا (مزدكيا)، وأسلم على يد ''عم السفاح''، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له ''كتب أرسطوطاليس'' في المنطق، وكتاب ''المدخل إلى علم المنطق'' المعروف بايساغوجي، وأنشأ رسائل غاية في الإبداع، منها: ''الأدب الصغير''، و''الصحابة''، و''اليتيمة''، قتل في البصرة سنة ١٤٢هـ. الأعلام للزركلي: ٤/١٤٠.

[27] فرفوريوس الصوري: نابغة الفلسفة القديمة، وُلِد في صور سنة ٢٣٣م، وتتلمذ فيها على ''أوريجين''، وذهب إلى روما سنة ٢٦٤ والتحق فيها بمدرسة الأفلاطونية الحديثة التابعة لأفلوطين، وبلغ الذروة في دعوته إلى هذه الفلسفة، ويقال إن إسم فرفوريوس أُطلِق عليه في الاسكندرية عندما كان يتتلمذ على ''أمونيوس'' الذي رغب في أن يعطيه إسماً إغريقياً بدلاً من إسمه الصوري، مات في روما سنة ٣٠٥ بعد الميلاد. راجع: موقع ويكيبيديا.

[28] راجع: علم المنطق محمد مهران: ٤٥.

[29] محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، أبو سليمان المنطقي: عالم بالحكمة والفلسفة والمنطق، من أهل سجستان، سكن بغداد. وأقبل العلماء والحكماء عليه. وكان عضد الدولة فناخسروشاهنشاه يكرمه ويفخمه. له تصانيف، منها: رسالة في ''مراتب قوى الإنسان''، ورسالة في ''المحرك الأول''، ورسالة في ''اقتصاص طرق الفضائل''، وكتاب ''صوان الحكمة''، و''شرح كتاب أرسطو''، توفي نحو ٣٨٠ هـ. الأعلام للزركلي: ٦/١٧١.

[30] محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، فيلسوف، ولد سنة ٥٢٠هـ، من أهل قرطبة، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة، وصنف نحوخمسين كتابا، ''الحيوان''، و''فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال''، و ''الضروري'' في المنطق، و ''منهاج الأدلة'' في الأصول، و ''المسائل'' في الحكمة، و ''تهافت التهافت'' في الرد على الغزالي، و ''جوامع كتب أرسطاطاليس'' في الطبيعيات والالهيات، و''تلخيص كتب أرسطو''، ورسالة في ''حركة الفلك ''، وغير ذلك، عرف المنصور (المؤمني) قدره فأجله وقدمه. توفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ، ونقلت جثته إلى قرطبة. الأعلام للزركلي: ٥/٣١٨.

[31] عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل، ولد في أسنا (من صعيد مصر) سنة ٥٧٠هـ، وسكن دمشق، وماتبالأسكندرية سنة ٦٤٦هـ. من تصانيفه: ''الكافية'' في النحو، و''الشافية'' في الصرف، و ''مختصر الفقه'' استخرجه من ستين كتابا في فقه المالكية، و''المقصد الجليل'' قصيدة في العروض، و''منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل'' في أصول الفقه، و''الإيضاح'' في شرح المفصل للزمخشري، وغير ذلك. الأعلام للزركلي: ٤/٢١١.

[32] محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين البكري، المفسر الكبير. أوحد زمانه في المعقول والمنقول، أصله من طبرستان، ومولده في الري سنة ٥٤٤ هـ، وإليها نسبته، ويقال له ''ابن خطيب الري''، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ. أقبل الناس على كتبه في حياتهيتدارسونها. من تصانيفه: ''مفاتيح الغيب''تفسير، و ''محصلأفكار المتقدمين والمتأخرين''، و ''المباحث المشرقية''، و ''علم الفراسة''، و ''كتاب الهندسة''، و ''تعجيز الفلاسفة'' بالفارسية، وغير ذلك. وله شعربالعربية والفارسية، وكان واعظا بارعا باللغتين. الأعلام للزركلي: ٦/٣١٣.

[33] الشرح الواضح المنسق لنظم السلم المرونق، د. عبد الملك السعدي، دار النور المبين–الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ–٢٠١١م: ٧.

[34] أي المنطق الذي ليس مخلوطا بعلم الفلاسفة، بل ميّزه علماء المسلمين عن شوائب الفلسفة.

[35] عثمان بن عبد الرحمنالشهرزوري الكردي، تقي الدين، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال. ولد في شرخان (قرب شهرزور) سنة ٥٧٧هـ، وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان، فبيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية. وانتقل إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ. له كتاب: ''معرفة أنواع علم الحديث'' يعرف بمقدمة ابن الصلاح، و ''الأمالي''، و ''شرح الوسيط'' في فقه الشافعية، و ''فوائد الرحلة''، و ''أدب المفتي والمستفتي''، و ''طبقات الفقهاء الشافعية''، وغير ذلك. الأعلام للزركلي: ٢٠٧/٤.

[36] يحيى بن شرف بن مري بن حسن النوويالشافعي، محيي الدين، علامة بالفقه والحديث. مولده سنة٦٣١هـ ووفاته سنة ٦٧٦هـ في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته. تعلّم في دمشق. من أهم كتبه: ''منهاج الطالبين''، و ''الدقائق''، و ''المنهاج في شرح صحيح مسلم''، و ''التقريب والتيسير'' في مصطلح الحديث، و ''حلية الأبرار'' يعرف بالأذكار النووية، و ''بستان العارفين'' و ''الايضاح'' في المناسك، و ''شرح المهذب للشيرازي'' المعروف بالمجموع، و ''مناقب الشافعي''، و ''المنثورات'' فقه، وغير ذلك. الأعلام للزركلي: ١٤٨/٨.

[37] عبد الرحمن بن محمد الأخضري وهو من أهل بسكرة، في الجزائر، ولد سنة ٩١٨هـ، توفي سنة ٩٨٣هـ، له كتب: فمنها: ''السلم'' في المنطق، و ''شرح السلم''، و ''الجوهر المكنون'' نظم في البيان، و ''شرح السراج'' في علم الفلك، و ''الدرة البيضاء'' نظم في علمي الفرائض والحساب، و ''شرحها'' في جزأين، و ''مختصر'' في العبادات، يسمى ''مختصر الأخضري'' على مذهب مالك. الأعلام للزركلي: ٣٣١/٣.

[38] حاشية الشيخ ابراهيم الباجوري على سلم المرونق، مطبعة حجازي: ٢٤.

[39] نلخص فوائد وثمرة علم المنطق فيما يلي:

الأول: من الواضح أن الإنسان حينما يفكر قد يهتدي إلى نتائج صحيحة ومقبولة، وقد ينتهي إلى نتائج خاطئة وغير مقبولة، فالتفكير الإنساني إذن معرض بطبيعته للخطأ والصواب ولأجل أن يكون التفكير سليما، وتكون نتائجُه صحيحةً، أصبح الإنسان بحاجة إلى قواعد عامة تهيىء له مجال التفكير الصحيح متى سار على ضوئها، والعلم الذي يتكفل بوضع وإعطاء القواعد العامة للتفكير الصحيح هو علم المنطق. فإذن حاجتنا إلى دراسة علم المنطق شيء ضروري لابد منه وذلك لأجل أن يكون تفكيرنا العلمي صحيحا وذا نتائج مقبولة.

الثاني: يضاف إليه: أننا بتعلّمنا قواعد المنطق نستطيع أن ننقد الأفكار والنظريات العلمية فيتبيّن أنواع الخطأ الواقع فيها وأن نتعرف على أسبابها.

الثالث: وبمعرفتنا لقواعد المنطق نستطيع أيضا أن نميز بين المناهج العلمية السليمة والتي تؤدي إلى نتائج صحيحة وبين المناهج العلمية غير السليمة والتي تؤدي إلى نتائج غير صحيحة.

الرابع: ونستطيع كذلك على ضوء فهمنا لقواعد المنطق أن نفرق بين قوانين العلوم المختلفة، وأن نقارن بينها ببيان مواطن الالتقاء والشبه بينها ومواطن الاختلاف والافتراق.

والخلاصة: أن القيمة الدراسية لعلم المنطق هي بتوفره على تكوين قدرة التفكير السليم في البحث والنقد وتقييم الآراء والأفكار وتقدير الأدلة والبراهين في مختلف مجالات الفكر الإنساني. خلاصة المنطق: ٩.

[40] والعجب العجيب أنني سمعتُ من بعض الجهلة الذين لم يشمّوا رائحة العلم والمعرفة أن الغزالي ندم من قولته المشهورة التي قالها حول علم المنطق، وهذا مكذوب عليه، ودعوى بلا دليل، لا يعتدّ به ولا يلتفت إليه.

[41] واعلم أنّ الإمام الغزالي رحمه الله افتتح كتابه الأصولي ''المستصفى'' بقواعد منطقية، ثم قال: ''وليستْ هذه المقدمةُ مِن جملةِ علمِ الأصول ولا مِن مقدماتِه الخاصة به، بل هي مقدمةُ العلوم كلِّها، ومَن لا يحيطُ بها فلا

ثقةَ له بعلومِه أصلاً''. المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ: ١٠.

[42] وإنما سُمِّيَ بالميزان لأنه تُوزَن به الحجج والبراهين والتعاريف.

[43] سماه المعلم الثاني أبو نصر الفارابي بـ ''رئيس العلوم''، لكونه حاكماً على جميع العلوم في الصحة والسقم والقوة والضعف، وأجلها نفعا وأعظمها.

[44] سماه الشيخ الرئيس ابن سينا بـ''خادم العلوم''، لكونه آلةً في تحصيل العلوم الكسبية النظرية والعملية لا مقصوداً بالذات.

[45] باعتباره من العلوم الآلية التي تدرس وتطلب لأجل غاية أخرى غير مسائلها كالنحو والصرف وأصول الفقه فهذه العلوم مقصودة لغيرها وليس لنفسها.

[46] شاع هذا الاسم منذ القرن السادس للميلاد، والمقصود بالأرغانون آلة العلم أو الآلة الفكرية.

[47] المقدمة المنطقية، هشام الأسدي، مؤسسة مصر مرتضى–بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ–٢٠١٠م: ٥٣.

[48] عبد الرحمن بن محمد الأخضري: صاحب ''متن السلم'' أرجوزة في المنطق، و ''شرح السلم''، وُلِدَ سنة ٩٢٠ هـ= ١٥١٤م ببلدة بنطيوس التي تبعد عن بسكرة بحوالي ''٣٠ كم'' من عائلة شريفة عرفت بالعلم والتقوى في الجزائر، تُوفي بقرية قجال سنة ٩٨٣هـ–١٥٧٥ موقبرُه في زاوية بنطيوسمِن قُرى بسكرة له كتب أخرى، منها: ''الجوهر المكنون'' نظمٌ في البيان، أوجز فيه ''التلخيص'' وشرحه، و ''شرح السراج'' في علم الفلك، والأصل قصيدة لسحنون الوانشريسي، و ''الدرة البيضاء'' في علمي الفرائض والحساب، نظما، و ''شرحها'' في جزأين، و ''مختصر'' في العبادات، يُسمّى ''مختصر الأخضري'' على مذهب مالك. الأعلام للزركلي: ٣٣١/٣.

[49] إسماعيل بن مصطفى بن محمود أبو الفتح الكلنبوي الرومي، ويُعرف بشيخ زاده: قاض حنفي عثماني. اشتهر بالرياضيات والمنطق. نسبته إلى بلدة ''كلنبة''~|| مِن ولاية ''آيدين''~|| ووفاته سنة ١٢٠٥ هـ في تسالية ''من يني شهر''~|| وكان قاضيا فيها. له تصانيف، منها: ''دقائق البيان في قبلة البلدان''~|| في فقه الحنفية، و ''البرهان''~|| رسالة في المنطق، و ''حاشية على البرهان''~||، ورسالة في ''الربع المجيب''~|| فلك، و ''رسالة في القياس''~||، و ''حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية''~||، ورسالة في ''آداب البحث والمناظرة''~|| وكتاب سمي ''كلنبوي على التهذيب''~|| في المنطق، و ''المراصد لتبين الحال في المبادي والمقاصد''~||. الأعلام للزركلي: ٣٢٧/١.

[50] مثل: –شرح الأخضري نفسه على نظمه السلم المنورق.– إيضاح المبهم من معاني السلم للدمنهوري. –شرح القويسني على السلم.– شرح الملوي على السلم. –حاشية الصبان على شرح الملوي.– حاشية الباجوري على السلم. وغير ذلك كثير.

[51] مُتَّقِد: اسمفاعل مِن اِتَّقَدَ يَتَّقِدُ اتّقادًا، فهو مُتَّقِد يقال: ضَوْءٌ مُتَّقِد: مُتَلَأْلِئٌ، نَارٌ مُتَّقِدَةٌ: مُشْتَعِلَةٌ، حُبٌّ مُتَّقِدٌ: حُبٌّ عَنِيفٌ، قَوِيٌّ، مُلْتَهِبٌ، ويقالُ: اتَّقدتِ النَّارُ: وقَدَت: اشتعلت، التهبت.

[52] مقدمة كتاب قزل إيجاز: ١٥٤.

[53] مقدمة كتاب قزل إيجاز: ١٥٤.

[54] قزل إيجاز: ١٥٤.

[55] قزل إيجاز: ٢١٢.

[56] مقدمة تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق: ٢١٧.

[57] مقدمة تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق: ٢١٨.

[58] مقدمة تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق: ٢١٨.

[59] مقدمة تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق: ٢١٧.

[60] مقدمة تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق: ٢١٩.

[61] تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق: ٢٢٠.

[62] الواجبُ على مَن شرع في شرح كتاب ما أن يتعرض في صدره لأشياء قبلَ الشروع في المقصود يُسمّيها قدماء الحكماء: الرؤوس الثمانية: أحدها: الغرض من تدوين العلم أو تحصيلهأي: الفائدة المترتبة عليه لئلا يكون تحصيله عبثا في نظره. وثانيها: المنفعة وهي ما يتشوّقه الكلّ طبعا وهي الفائدة المعتدّةبها ليتحمل المشقّة في تحصيله، ولا يعرض له فتور في طلبه، فيكون عبثا عرفا. وثالثها السّمة وهي عنوان الكتاب، ليكون عند الناظر إجمال ما يفصّله الغرض. ورابعها: المؤلِّف وهو مصنّف الكتاب ليركن قلب المتعلّم إليه في قبول كلامه، والاعتماد عليه لاختلاف ذلك باختلاف المصنّفين؛ وأما المحقّقون فيعرفون الرجال بالحق لا الحق بالرجال، و لنعم ما قيل: لا تنظر إلى من قال و انظر إلى ما قال. وخامسها: أنه من أيّ علم هو، أي من اليقينيات أو الظنّيات، من النظريات أو العمليات، من الشرعيات أو غيرها، ليطلب المتعلّم ما تليق به المسائل المطلوبة. وسادسها: أنه أيّة مرتبة هو، أي بيان مرتبته فيما بين العلوم، إمّا باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه، أو باعتبار توقّفه على علم آخر، أو عدم توقّفه عليه، أو باعتبار الأهمية أو الشرف، لتقدّم تحصيله على ما يجب، أو يستحسن تقديمه عليه، و يؤخّر تحصيله عما يجب أو يستحسن تأخيره عنه. وسابعها: القسمة، و هي بيان أجزاء العلوم و أبوابها ليطلب المتعلّم في كل باب منها ما يتعلّق به، و لا يضيّع وقته في تحصيل مطالب لا تتعلّق به، كما يقال: أبواب المنطق تسعة، كذا و كذا؛ و هذا قسمة العلم، و قسمة الكتاب كما يقال: كتابنا هذا مرتّب على مقدمة، و بابين و خاتمة. وثامنها: الأنحاء التعليمية وهي أنحاء مستحسنة في طرق التعليم. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٩٧٨م: ١/٨٥.

[63] تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق: ٢٢٠.

[64] قزل إيجاز: ٢١٣.

* * *

إعلان عن المؤتمر العالمي الثاني عشر
لبديع الزمان سعيد النورسي

أعلنت مؤسسة استنبول للثقافة والعلوم ممثلة في رئيسها السيد سعيد يوجا عن استعدادها لتنظيم فعاليات المؤتمر الثاني عشر لبديع الزمان النورسي في اسطنبول في أيام ٣-٤-٥ من شهر أكتوبر ٢٠٢١ تحت عنوان الإيمان في حياة الفرد والمجتمع. وقد دأبت هذه المؤسسة العريقة على تنظيم مثل هذه المؤتمرات العالمية العلمية في فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي منذ سنة ١٩٩١ فهي تهتم بالتعريف برسائل النور داخل الأوساط الأكاديمية كي يتسنى للأساتدة والطلاب والباحثين الأكاديمين الاستفادة من هذه المؤلفات الإيمانية القرآنية. وستستوعب فعاليات هذا المؤتمر الناطقين باللغة التركية والعربية والانجليزية على حد سواء حيث ستفتح المؤسسة أبوابها للباحثين من مختلف أنحاء العالم للمشاركة في هذا المؤتمر العلمي بعد إجازة بحوثهم من قبل الهيئة العلمية للمؤسسة.

* * *

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

عنوان التوزيع

عبد الكريم بايبارا kerimbaybara"gmail.com
شركة سوزلر للنشر
٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

Contents

Editorial

• Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note 3

Miscellaneous Studies

• **Dr. Ibrahim al-Wajaji**: The Sings of Mutual Revival and Reform by Shah Walliyyullah ad-Dahlawi and Said Nursi.....9

• **Prof. Dr. Amar Djidel**: The Significance of Faith (Iman) in Social Life...35

Dossier: Studies on the Risale-i Nur

• **Dr. Umid al-Mufti**: Man: known or unknown?.....61

• **Prof. Dr. Deldar Ghafur Hamadameen**: Semantic Search in Said Nursi's "Rasa'il un-Nur": with "The Epistle of Ahmediyyah Miracles" as a sample85

• **Assistant Professor Dr. Adel Abdullah Hamad**: Knowing and obeying Allah Almighty and its impact on positive action, through Risa'il al-Nur by Imam Badi' al-zaman al-Nursi.....121

• **Dr. Loqman Uthman Oamr**: Mulla Said Nursi's Efforts in Logic.....167

• Information on Publishing Papers in al-Nur 192

• Contents / Annual Subscriptions.....193

Only papers conforming to academic standards will be considered for publication

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January-July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 11, Number 21 (July 2021)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 2 22 602 938

https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur

ISSN 1309-4424
9 771309 442006 21